- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية -

- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-

- جـامـعـة الـعـربـي بن مـهـيدي-

- أم البواقـي-

- كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية-

- قسم اللغـة العربية وآدابها-

الخـطاب الـقرآنـي

(في سورة الشعراء)

(دراسة في النسيج اللغوي والدلالي)

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب القديم

إعداد الطالب **إشراف الأستاذ**

لـزهـر اسـماعـيلي **د . حـسـن كـاتـب**

أعضاء لجنـة المناقشة

1- **أ.د. الأخضر عيكوس.**	جامعة العربي بن مهيدي. أم البواقي.	رئيسا
2- **أ. د. حسن كـاتـب.**	جامـعـة منتوري. قـسنـطـيـنـة.	مشرفا ومقررا
3- **أ. د. صـالـح خـديـش.**	جامـعـة خـنـشلـة.	عضوا مناقشا
4- **أ. د. سـامي الكـنـاني.**	جامـعـة الأمير عبد القادر. قسنطينة.	عضوا مناقشا

السنـة الجـامعيـة: 2009 / 2010 م

" وأسرار القرآن الكريم أكثر وأعظم من أن يحيط بها عقول البشر "

– ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 44/1 –

" وإن العقل البشري ليقف حائرا أمام رحابة القرآن وعمقه، إنه بناء فريد ذو هندسة ونسب فنية تتحدى المقدرة المبدعة لدى الإنسان"

– مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص196 –

المُقَدّمَة

إن القرآن لعظيم، وإن عظمته لطافحة زاخرة باهرة، وإنها لتشع فيّاضة وهّاجة ثجّاجة من حيثما جئناه؛ فهو كون حي ثري مفتوح، مكتنز متزن غاية الاتزان. وهو خارق في منظومته التعبيرية الإفضائية، وهندسة بنائه، وعلائق دواله ومدلولاته. ثم إنه فعالية قولية محكمة المنطقية والإقناع، عجيبة التأثيرية، تمارس بمقولها الفكري الوجداني على المتلقي سلطة فنية روحية، في حداء رفيق رقيق لروحه وضميره وعقله، وذوقه. والقرآن في ذلك منهل للإنسانية كلها، وعطاء مبسوط بين يديها، ولا ينقطع.

ثم إنه قلْب الثقافة العربية، وكتاب العربية الأكبر؛ جدّدها، ووسّع آمادها، ومد أبعادها، وأعاد بناء منظومتها وفق منطق جديد.

وقد كانت حركة العقل العربي عند أسلافنا، طائفة حوله، تتحسس بناءه، وتبحث عن مداخله، وكلٌّ ينطلق من فضائه المعرفي الذي يشغله، ويتقنه، وكان أهم هذه المداخل: الإعجاز البياني.

وعلى عظمة المنجز الذي حققه القدامى في جهودهم حوله – وقد كان آخره وأكمله ما توصل إليه الإمام عبد القاهر الجرجاني في " نظرية النظم "، ما دعا الكثير من المحدثين إلى بحث نقاط تقاطعها مع النظريات اللغوية والنقدية الغربية الحديثة([1])–، وعلى أهمية ما قدمه البحث الحديث وجدّته ؛ فإن القرآن العظيم يبقى أكبر من كل الفهوم، والمشارب، والاتجاهات، والأرصدة المعرفية، يتحدى التأطير، ويُحوِج البشر دوما إلى قراءته والتفاعل معه؛ غير أنه "لا يُنال إلا بحياء وإحساس بالمشقة والإكبار"([2]).

من هذا المدخل، يستمد البحث أهميته، وشرعية وجوده؛ فالسعي فيه متجه إلى محاولة اكتشاف كيفية توظيف الخطاب القرآني لمقوله بنسيجيه: التركيبي، والدلالي متفاعلين؛ لتحقيق التأثيرية الكاملة في الكيان الفكري والنفسي للمتلقي ، وإلى محاولة معرفة ملامح وعناصر النسيجين، ووصف ترابطه وانسجامه، والوقوف على بعض مظاهر فرادته، وتميزه الفني الجمالي، وسبر أغوار بنيته الدلالية، وتلمّس خيوط علائقها وحركتها. وقد كان النص المنتقى للتطبيق عليه هو سورة " الشعراء".

وتُعلل اختيار موضوع البحث أسباب أحصرها في:

---

(1) من أبرز هذه البحوث دراسة: د.جعفر دك الباب ، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني؛ نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث. مطبعة الجليل، دمشق. ط1، 1400هـ– 1980م.

([2]) د.مصطفى ناصف، مسؤولية التأويل. درا السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة– الإسكندرية. ط1، 1425هـ – 2004م . ص:178.

1- جمالية المتن القرآني الحدّيّة المطلقة، وتبليغيته الفذّة على مستوى التوصيل القولي، والتي يجب ربط العقل والذوق الجمالي العربي المسلم بها. وقد لمسنا تأثيرها الجليل في متون نحارير البيان العربي، وخير شاهد، أمير البيان: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

2- الرغبة الذاتية في اكتناه مظاهر أدبية النص القرآني، وإلقاء شيء من الضياء على نسيجه الإبداعي المتفرّد.

3- اختيار سورة " الشعراء" مبعثه كونها نصا كاملا، مكتفيا بذاته في المستويات الثلاث: التركيبي، والدلالي، والتواصلي، وهذا من شأنه أن يحقق الغايات المرجوة من البحث؛ فالنص هو الإطار الأنسب لتشكيل خطاب متكامل، يحقق غرضه الإبلاغي. كما أن التماسك بين الأبنية الدلالية، والترابط النحوي، وبالتالي النسيج المتفرد، أوضح في النص، وتقصر دونه الجملة. وحجم سورة الشعراء وسط بين الطول والقصر، وفي ذلك مراعاة لحصر مادة البحث؛ سعيا إلى نجاعته.

4- هي أنموذج، يمثل عددا من السور المشاكلة لها في بنائها العام، وإطارها الموضوعي؛ فالعقيدة هي القاسم المشترك بينها. من تلك السور لاحقتاها: النمل والقصص.

5- وفيها، أخيرا، كلمة " الشعراء" عنوانا وخاتمة، وهي من الكلمات الأثيرة في وجداني وعقلي، وسحرها الحلال يأسرني!.

وهدف البحث هو دراسة النسيج التركيبي والدلالي لنص سورة الشعراء؛ بتحديد الأنساق القولية المشكلة كيانه، ثم الانطلاق من النسيج التركيبي لكل نسق؛ بتقسيم جمله بحسب أصنافها، أو الاكتفاء بضمها في مجموعات تركيبية كلما أحوج الترتيب إلى ذلك – وهي سيرة إجرائية استدعاها تجنب الإطالة، ومحاولة تحقيق التوازن بين الفصول-. وقد كان تقسيم المجموعات على أساس ترابطها النحوي، وتعالقها الدلالي. ومنه أشرع في وصف البناء الهيكلي العام للتراكيب، أو مجموعة التراكيب، مع تحديد مظاهر تشاكلها ومظاهر تباينها. ومن ثم أحللها وعناصرَها تحليلا أحرص على أن يكون علميا، معتمدا على جمع الأشباه والنظائر والخصائص التركيبية العامة، مع تخصيص الظواهر والنكت الأسلوبية المتفردة بوقفة

تحليلية أعمق. كل ذلك، مع إبراز كيفية إسهام التركيب – مدمجا فيه معطيات الصوت والصرف– في خدمة الأبنية الدلالية، وما يؤديه كلا المستويين، متحدين، من وظيفة تواصلية محكمة مؤثرة في المتلقي الداخلي والخارجي. لأصل في آخر كل نسق إلى استخلاص الأبنية الدلالية الكبرى المنبثقة منه، وبحث أوجه تقاطعها مع ما تفرزه الأنساق الأخرى؛ سعيا إلى تحديد البنية الدلالية الشاملة للنص، محاولا في الآن ذاته، التوصل إلى تحديد أهم الغايات الإبلاغية التي تتجه إليها المدونة.

ولم يسبق تناول سورة الشعراء – حسب ما بلغنيه علمي– بدراسة مستقلة، كما أن التحليل النصي للخطاب القرآني – في حدود معرفتي– من الدراسات التي لمّا تنل قسطها من الاهتمام والتطبيق، ولم أجد غير ملامح لها في بعض التفاسير كـ: " نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور" للبقاعي، و" في ظلال القرآن" لسيد قطب. وقد عثرت على نهج قريب منه يدعى " التفسير الموضوعي الكشفي"، في دراسة تنظيرية للدكتور أحمد رحماني، موسومة بـ" التفسير الموضوعي؛ نظرية وتطبيقا. 1998 ".

لذلك؛ استهديت ببعض الدراسات التطبيقية القريبة من مجال البحث، والتي ركزت على تحليل أنواع خاصة من الجمل، أبرزها دراسة سعودي النواري: " بناء الجملة الخبرية البسيطة ودلالتها في جزء "عم" – مثبتة ومنفية–(1995–1996م)"، وتلك التي تناولت اللغة في جميع مستوياتها، أهمها بحث محمود أحمد نحلة: " لغة القرآن الكريم في جزء "عم"(1981م)". كما استفدت من دراسات طبقت المناهج الحداثية، أخص منها دراسة الدكتور عبد الملك مرتاض: " نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيمائي مركب لسورة الرحمان (2001)"، ومقاربة الدكتور سليمان عشراتي: " الخطاب القرآني؛ مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي (1998م)".

ولقد كانت قلة الدراسات التطبيقية، وعدم القدرة على الحصول على بعض المراجع، قياسا إلى مغامرة البحث الشاقة، والمحفوفة بالمخاطر والمزالق، وما يحتاجه البحث من تفرّغ عزّ علي، إلى جانب طراوة وأولية تجربتي في مجال البحث العلمي المتخصص. كل ذلكم، كان من أشق ما اعترض سبيلي من عقبات.

وأما موضوع البحث، فقد وزعته على أربعة فصول، يحتضنها عن يمينها مدخل، وعن شمالها خاتمة:

1- قسمت المدخل قسمين: نظري، وتطبيقي. تناولت في أولهما المنطلقات المنهجية الإجرائية للبحث، مهّدت لها بتبيين مميزات النص المدروس، والأداة الأنسب للولوج إلى عالمه. ثم وقفت عند المتكآت المنهجية الإجرائية بتحديدها، وتعليل اختيارها، وهي: التحليل الأسلوبي، إجراء التشاكل، علم النص وأبرز مقولاته، وأخيرا الجملة، على اعتبار أنها منطلق عملية الوصف والتحليل، وحددت بعدها أصناف الجمل المعتمدة في التحليل.

2- يدور الفصل الأول حول النسق الأول من النص، والذي أسميته "مقدمة" لموضعه منه، وتُشكله الآيات التسع الأولى. وقد بدأته بتمهيد تعليلي للترتيب التحليلي للأنساق، المخالف ترتيبها النصي، ووقفت فيه أولا عند الحروف المقطعة في محاولة تأويلية، وسعي إلى كشف ما لها من علاقة بالنص. ثم حللت أول تراكيبه تحليلا وافيا شاملا جميع عناصره. وانتقلت إلى باقيه، حاصرا إياه في مجموعة من التراكيب، محددا أصنافها، متتبعا أوجه تشاكلها وتباينها هيكليا، ثم محللا مكوناتها المباشرة، بدءا بطرفي الإسناد، فالمتممات، مختارا نماذج تحليلية من التراكيب، مع الحرص على تغطية كل ما له تأثير في التميز الفني لبنائها مستوياتها، مستعينا في ذلك بالجداول الإحصائية، والرسوم التوضيحية. ثم تأتي محاولة تحديد البنية الدلالية الموحّدة تراكيبَ النسق، وعلاقاتها مع لواحقه، مما لن يتضح كاملا إلا بتناول بقية الأنساق، وفي الآن ذاته أحدد الأغراض الإبلاغية المؤطرة للنسق.

3- أخصص الفصل الثاني لتحليل النسق الأخير في النص الممثل الخاتمة. ويتشكل من ست وثلاثين آية. نهجت في دراسته نهجي مع سابقه، غير أن طوله فرض، أولا: تقسيمه كله إلى مجموعات تركيبية، مبرزا ما بينها من ترابط، وثانيا: التركيز على جمع الأشباه والنظائر، وعلى الخصائص التركيبية العامة المشتركة، مع التمثيل بنماذج تحليلية موضحة. وقد سار وصفها التحليلي كما يأتي: وصف المجموعة التركيبية وأصناف جملها، ثم الانتقال إلى تناول الوحدات الإسنادية بقسميها: الفعلية والاسمية، فتحليلها وعناصرَها، مع الوقوف عند الظواهر البارزة، ومن ثمة تحديد بنياته الدلالية الكبرى، ومقاصده الإخبارية.

4- الفصل الثالث أفردته لتحليل ثاني أنساق النص، وهو أطولها على الإطلاق؛ إذ يغطي ما يربو على ثمانين بالمائة من حجم المدونة. وقد أسميته جسم السورة. تكونه قصص الأنبياء مع أقوامهم، ويتشكل من ثلاث عشرة مجموعة تركيبية، تستأثر قصتا موسى وإبراهيم عليهما السلام بأكثر من نصفها. وكان الاعتماد في تحديد المجموعات التركيبية على مشاهد القصص. وقد حللتها بطريقة تحليل الفصل السابق، مع الميل أكثر إلى ضغط التحليل في صورة الأشباه والنظائر والخصائص العامة، والحرص، قدر المستطاع، على تجنب الإخلال والإهمال والإغفال، ومع الوقوف، في الوقت نفسه، عند النكت الأسلوبية وملامح الإعجاز، وما يؤدي أبرز الأدوار في تشكيل المحتوى الدلالي، وفي الأثر التواصلي. وكانت الوقفة الأخيرة محاولة لتعليل وتفسير أوجه التباين بين القصص، أبرزها: ترتيبها؛ فهي مخالفة الترتيب التاريخي، وأحجامها. مع محاولة تحديد أبنيتها الكبرى، وعلاقاتها بالبنية الكلية للنص، وبمستواه التواصلي. وقد كان الاعتماد فيه أيضا على الجداول، والمشجرات، والرسوم التوضيحية التقريبية.

5- تناولت في الفصل الرابع التراكيب المكرَّرة، وهي مجموعتان تركيبيتان: أولها جاءت مفاصل في نهايات النسق الأول والقصص، والثانية مداخل لمجموعة القصص بعد القصة الثانية. وقد فرض إفرادها وتأخيرها: تكرارها، ومواضعها المتفرقة. وكان تحليلها موسَّعا، مع التركيز على دور قضاياها المفهومية المنطقية المبطّنة ظاهرها، في البنية الكلية للنص، وأثرها التواصلي. وسبب ذلك تكرارها.

6-ضمّنت ما توصل إليه البحث من نتائج الخاتمة.

وقد استدعى البحث اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، الأنسب للدراسة التطبيقية، وهو أكثر المناهج شيوعا في دراسة اللغة لما يتميز به من موضوعية في رصد الملامح البارزة المميزة للنص، ولدقته ومرونته.

أما مصادر ومراجع البحث فمتنوعة، أولها: القرآن الكريم، ثم كتب التراث، كدلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، ومعاني القرآن للفراء. وكتب التفسير، منها: الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان، وفي

ظلال القرآن لسيد قطب. وأكثر التفاسير فضلا على البحث اثنان: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، والتحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور. والمعاجم، كلسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي.

وبعد، فهذا الجهد مبذولا بسلامة مبعث ومقصد، وبأقصى المقدور دون ادّعاء جدّة له ولا تفرّد، فلعل الترهّل مصيب فيه أكثر من موضع، غير أني أرجو أن يكون محفزا لغيري على التحليق في فضاءات جديدة أرحب، في الكون القرآني غير المحدود ولا المحدّد. فإن بلغ ذلك؛ فقد خدم البحث العلمي المتخصص، والقرآن العظيم الأمجد، وذاك حسبي.

وأوجه جزيل شكري وامتناني للأستاذ الدكتور المشرف: حسن كاتب، على حسن التوجيه وجميل الصبر، وإلى قسم اللغة العربية وآدابها على المساعدة وسعة الصدر، وإلى كل من أحب لي، بكل أشكال العون، أن أبلغ والبحث المستقر.

- ثبت الرموز المتوخاة في الوصف -

1- ت ..... تركيب

2- مج ت ..... مجموعة تركيبية

3- وح إ ..... وحدة إسنادية

4- ج ..... جملة

5- ج ف ..... جملة فعلية

6- ج ا ..... جملة اسمية

7- ا ب مج ..... جملة اسمية بسيطة مجردة

8- ا ب مو ..... جملة اسمية بسيطة موسعة

9- ف ب مج ..... جملة فعلية بسيطة مجردة

10- ف ب مو ..... جملة فعلية بسيطة موسعة

11- م ت إ ..... جملة مركبة تركيب إفراد

12- م ت ت ..... جملة مركبة تركيب تعدد

13- مت ..... جملة متلازمة

14- ج ش ..... جملة جواب شرط

15- ج ح ..... جملة حالية

16- ن ت ..... نموذج تحليلي

17- م ..... مسند

18- م إ ..... مسند إليه

19- ف ..... فعل

20- فا ..... فاعل

21- مف ..... مفعول به

22- مف مط ..... مفعول مطلق

23- مف م ..... مفعول معه

24- مف فيه ..... مفعول فيه

25- مف غ م ..... مفعول غير مباشر

26- مم ..... متمم(ات)

27- ع مو ..... عن(ا)صر موسع(ة)

28- ع س ..... عنـ(ا)صر سابق(ة)

29- ع ل ..... عنـ(ا)صر لاحق(ة)

30- ا ظ ..... اسم ظاهر

31- ض ..... ضمير

32- ض ف ..... ضمير منفصل

33- ض ت ..... ضمير متصل

34- ض ن ..... ضمير منصهر(مستتر)

35- ض م ..... ضمير مفرد

36- ض ج ..... ضمير جماعة

37- ض ك ..... ضمير متكلم(ين)

38- ض خ ..... ضمير مخاطب(ين)

39- ض غ ..... ضمير غائب(ين)

40- مض ..... مضاف

41- مض إ ..... مضاف إليه

42- مر إض ..... مركب إضافي

43- م و ..... مركب وصفي(نعت ومنعوت)

44- ن ..... نعت

45- ح ..... حال

46- ب ..... بدل

47- م ن ..... مركب نسبة

48- ظ ..... ظرف

49- ح ج ..... حرف جر

50- مج ..... اسم مجرور

51- أد ..... أداة

52- ز ص ..... زمن صرفي

53- ز س ..... زمن سياقي

54- قر ..... قرينة

55- (+ ال) ..... معرفة

56- (- ال) ..... نكرة

57- / / ..... حدا الجملة

58- x ..... علامة التعدد

59- Ø ..... علامة الشغور من الملفوظ

60- ∨ ..... أو

61- ≠ ..... تقابل

المَدْخَلْ

1- النظري:

- المنطلقات المنهجية الإجرائية -

2-التطبيقي:

- بناء النص -

1- المنطلقات المنهجية الإجرائية

تمهيد:

يؤطر السير التطبيقي للبحث – بداهة– مبادئ نظرية منهجية، وتسنده عدة إجرائية تحكم وتوجه حركته الوصفية والتحليلية، مما بدا – بعد نظر وتقليب– ملائما طبيعة المدوّنة المدروسة، والمقاصد المبتغاة من وراء السعي.

ولأن تلك المبادئ، وهاتيك العدة الإجرائية، منبثّة في كل الفصول، هي نفسها فيها جميعها؛ اتجه الفكر إلى أنه من الأنسب إفرادها بوقفة توضيحية تعليلية في المدخل؛ لغلبة الاعتقاد بأن في ذلك سدا لثغرات منهجية، ومنعا لغموض وقصور قد يشوبان البحث.

يشكل كيان الوقفة مادتان :

أ– النص:

هو النص القرآني الإلهي، ذو الصفتين المتداخلتين:

"وإنه لتنزيل رب العالمين"[1] من جهة، ومن الأخرى " بلسان عربي مبين"[2].

وبعبارة أوضح: الاستخدام الإلهي للمادة اللغوية " يختلف نوعيا من الاستخدام البشري مع وحدة خصائص المادة "[3]. فمقوله جار "على السنن العربي، في أجلى تمظهراته البيانية ". لكنه في الآن ذاته " لا يمكن أن يتماهى في مرجعية ذهنية، أو إبداعية، بشرية محددة ".[4] وذلك راجع إلى مصدريته. ما جعل استخدام اللغة فيه "وفق مستوى إلهي، يقوم على الإحكام المطلق"[5]. خلاصة القول: هو كيان متفرد مطلق.

ب– أدوات تحليله:

تصل بنا الخلاصة السابقة، إلى أن محاولة اكتناه إبداعية وجمالية الخطاب القرآني الإعجازية، أمر غير ممكن بالضوابط المنهجية الإنسانية، التي لا تعدو كونها " تحديدات نسبية إيجابية تساعد على الفهم، ولكنها لا تقنّن المطلق"[6]. وفي الكلام فتح لنافذة الإمكان في جدار الاستحالة.

تحدّد وتشكّل معالم هذا الإمكان مجموعة مبادئ منبثقة مما سبق:

1– المنحى الإنساني للمقول القرآني، وجريه على السنن العربي.

2– حدّيته وتفرّده وإطلاقه .

---

[1]- الشعراء، 192.

[2]- الشعراء، 195.

[3]- محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية؛ أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ط1، 1424هـ - 2003م. ص:97.

[4]- د.سليمان عشراتي، الخطاب القرآني؛ مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 1998م. ص:03.

[5]- محمد أبو القاسم حاج حمد، المرجع السابق.

[6]- المرجع السابق. ص:211.

3- قصور العدة الإجرائية الإنسانية عن إضاءته.

4- اتجاهه الفاعل نحو الملتقى، فهو "مرجعية حدّية، تتفاعل معها العقول والعواطف، مفاعلة تظل تتجدد، بتجدد أسباب الاستيعاب"[1]. وهذا يجعلنا في حاجة مستمرة إلى قراءته، مع تجديد أدوات القراءة.

تتضح بما سبق، معالم الإمكان كما يأتي :

قراءة النص الأدبي الإنساني عسيرة " بأدوات أحادية المنظور، أحادية التقنيات"[2]. فكيف والنص الهي؟ لذلك؛ كان الاتكاء على ما اصطلح على تسميته " التركيب المنهجي"[3] لاختيار ما يعين على تحليل الخطاب، ووصف ترابطه وانسجامه، وملامسة بعض مظاهر فرادته، وتحسّس سطح الإفضاء الإعجازي للمقول القرآني، دون تعسف ولا شطط، مع اتقاء مخالفة الصواب، إن لم يمكن بلوغه، قدر المستطاع.

فالاختيار المنهجي المُتبنّى، أقرب إلى الاستفادة والتطويع، منه إلى التطبيق والتمثّل الكامل لهذا المنهج أو ذاك، ولذي العدة الإجرائية أو هاتيك.

وعودا على ذي بدء، إلى المتكآت المنهجية الإجرائية الأساسية للبحث :

1- **التحليل الأسلوبي:**

الذي يسعى إلى " تفسير ما ينتج عن التقلب اللغوي من مميزات تهيئ للغة إبداعيتها. وبذلك يتولى عملية استنطاق بنى النص في دواله وفي مداولاته، ثم يعمد إلى تفسير طبيعة الاقتران بين هذه وتلك، مما يكون قد أثمر شعرية النص، فحوّل لغته من أداة إبلاغية إلى بنية إبداعية "[4].

وأهم مناهج التحليل الأسلوبي التي استفاد البحث من مقولاتها:

1- د سليمان عشراتي : الخطاب القرآني ، ص: 05.

2- د.عبد المالك مرتاض: التحليل السيمائي للخطاب الشعري؛ تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي. دار الكتاب العربي، الجزائر. 2001. ص:08.

3- المرجع السابق .ص:09.وقد قدم الدكتور تعليلا مفصلا لهذا الاختيار المنهجي ، مستدلا بكون معظم المناهج (مورث بعضها عن بعض ، وقائم بعضها على بعضها الآخر): أنظر التفصيل في الصفحة نفسها وما بعدها .

4- عبد السلام المسدي : في آليات النقد الأدبي . دار الجنوب للنشر ، تونس.1994م.ص47.

أ- **منهج النظم** : الذي مفاده أن " الأسلوب الأدبي يتميز بما يوفره من نَظم أجزائه وتناسقها في إطار التركيب النموذجي، وعناصر التركيب(الصوتية، النحوية، والدلالية) تؤلف شبكة من العلاقات المتناسقة "[1].

ب- **منهج تحليل الانحراف** : والانحراف هو " مخالفة قواعد تركيب الجملة "[2] . وهو ما يميز الأسلوب الأدبي عن العادي؛ لأن غرضه جمالي ؛ لذلك ، فهو" يساعدنا على شرح كثير من الظواهر اللافتة للنظر في النصوص الأدبية "[3].

2- **إجراء التشاكل:**

والمقصود به هو: " تبادل الخصائص الشكلية بكل مظاهرها النحوية والمورفولوجية والإيقاعية."[4] إضافة إلى التشاكل المعنوي الذي " يقوم على توحّد التجانس المدلولي"[5]. وهو إجراء يساعد، مع نظيره ومقابله: التباين، في عملية الوصف والتحليل، و خاصة في كشف أوجه الترابط في النص، والعلاقات الدلالية المتحركة في مستواه الباطني.

3- **علم النص:**

أو، علم لغة النص: الذي يتحقق البحث فيه على المستويات الثلاث: النحوي، والدلالي، والتداولي بمفهومه الواسع، دون فصل بين هذه المستويات[6].

وقد كان لمنظومته المفاهيمية دور أساس في تجاوز الكثير من الإشكالات ، منهاجا وتطبيقا ، وفي ضبط تصور واضح للنص، ولأجزائه المشكلة إياه ، وبالتالي، لعمليتي التحليل والتركيب، بحيث اكتسبتا قدرا، نراه مقبولا، من الانسجام والتناغم والاتساق والضبط، خاصة وأنهما قائمتان على المزج بين المستويات: الشكلي ببنياته: الصوتية والمورفولوجية والتركيبية، والباطني الدلالي، والتداولي.

---

[1]- د.محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا .وزارة الثقافة .دمشق.ط1.1989م.ص47.
[2]- المرجع السابق.ص51.
3- المرجع السابق . ص : 53
[4]- د.عبد المالك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيمائي مركب لسورة الرحمان، دار هومة، الجزائر.2001.ص59. وقد أشار إلى أنه مصطلح كان مستخدما في التراث العربي بمعنى قريب. أنظر ص:157.
[5]-المرجع نفسه، ص157.
[6]-د.سعيد حسن بحيرى: علم لغة النص؛ المفاهيم والاتجاهات. الشركة المصرية العامة للنشر- لونجمان، مصر- مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.ط1، 1997. المقدمة(أ).

وأهم إشكال يظهر بأنه أمكن تجاوزه بالاستهداء بعلم النص، هو: تحديد نقطة انطلاق العملية الوصفية التحليلية، ونقطة انتهائها، والتعاليق المنطقي الذي يجب الحرص على تحقيقه بينهما ، من خلال تحديد مسار العملية.

ولما سبق؛ نجد بأن تحديد المفاهيم النصية التي انبنى عليها البحث، أمر لا مندوحة عنه.

أولا: مفهوم النص:

الذي نجد اختلافا بين رواد نظرية النص حوله[1]، وما نحن بصدده لا يتيح الوقوف عندها. وقد كان التبني لتعريف مستخلص مما قدمه علماء النص، وهو أنه " وحدة كبرى شاملة... تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية."[2] كما نجد له تعريفا آخر موجز العبارة: " شبكة من العلاقات الناتجة من تضافر نظمه بمستوياتها المختلفة "[3]. وقد وقعنا على تعريف لأحد المشتغلين بهذا الميدان البحثي، هو الآخر موجز أجمَلَ نتائج بحث في تعريفات غيره من المنظرين، نراه حقيقا بالإيراد، فقد قال:" نفهم من" نص" مكوّنا لغويا أفقيا، نهائيا، مقصودا به التطابق لواقعة التواصل المختصة، يصير من خلال الدمج الإنجازي، وأوجه التناظر الدلالية – الموضوعية، والترابطات النحوية، تتابعا متماسكا من الجمل"[4].

ولعل هذه التعريفات، تقدم صورة تتسم بدرجة من الوضوح، تتيح اتخاذها منطلقا للتطبيق.

ثانيا: الأبنية الكبرى والأبنية الصغرى:

– أما البنية الكبرى، فهي بنية مجردة دلالية، تمثل منطق النص، وهي كامنة في المستوى العميق[5]. أو هي الوحدة البنيوية الشاملة للنص[6]. ويتم تحديدها بالنظر إلى النص بكامله، لا

---

[1]- المرجع السابق، تعريفات النص. ص99 وما بعدها.
[2]-المرجع السابق، ص:119.
[3]-المرجع نفسه. ص:75.
4-زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص؛ مشكلات بناء النص . ترجمه وعلق عليه:أ.د.سعيد حسن بحيرى. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. ط 1، 1424هـ - 2003 م. ص:60.
[5]- د.سعيد حسن بحيرى:علم لغة النص. ص125.
[6]- د.صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص. سلسلة العالم المعرفة. رقم164. أغسطس 1992م. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ص:236.

إلى جمل، أو متتالية من الجمل فحسب. مع الملاحظة أن النص الواحد يحتوي مستويات عدة للأبنية الكبرى؛ لذلك أصطلح على تسمية أشملها: البنية العليا. وهي المتحكمة في تحديد النظام، والترتيب الكلي لأجزاء النص[1].

– وأما الأبنية الصغرى، فتتمثل في القضايا المُعبَّر عنها بجمل النص، أو بمتتالية من الجمل[2]، مع الإشارة إلى أنه قد يشكل مفهوم قضية واحدة الأساس الدلالي للنص كله.

ثالثا: الربط النحوي، والتماسك الدلالي:

يعتبر الأول خاصية دلالية للخطاب؛ إذ يقوم على العلاقة بين الجمل فيما يفهم منها. وهو ترابط على المستوى السطحي للنص، يعتمد على مؤشرات لغوية، كعلامات العطف، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة وغيرها. وتتمثل وظيفته في إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص في مستواه الأفقي[3].

وفي مقابل الأول، فإن التماسك يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويتحدد على المستوى العميق للنص، ويتمثل في "العلاقات القائمة بين التصورات والتطابقات والمقارنات والتشابهات في المجال التصوري"[4]، كما يتحدد على مستوى "ما تحيل إليه الوحدات الوحدات المادية في متوالية نصية"[5]. فهو يتجاوز سطح النص إلى عالمه الدلالي، ويظهر في في البنية العميقة المحكمة التماسك، والتي تفسر وتضمن تشاكل واتساق الأجزاء التي قد تبدو في السطح مفككة.

رابعا: أهم مبادئ وضوابط التحليل النصي:

ونحصرها في النقاط الآتية[6]:

---

[1]- د.سعيد بحيرى:علم لغة النص. ص:121.

[2]- المرجع نفسه. ص:148.

[3]- د.صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص. ص:244. وقد سماه "التماسك"، وآثر د.بحيرى تسميته ربطا نحويا تمييزا له عن التماسك الدلالي. ونراه المذهب الأصوب.

[4]-د.سعيد بحيرى: المرجع السابق، ص22.

[5]-المرجع نفسه، ص 22.

6-لمعرفتها مفصلة يرجع إلى: د.صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص:ص ص:234،235،237. و: د.سعيد حسن بحيرى: علم لغة النص. ص ص:124،125،126 و 148،149.

أ- لتحليل التماسك الدلالي للنص، يتم الانطلاق ضرورة من الجملة، دون الوقوف عندها بوحداتها؛ فذلك لن يفيد في الكشف عن الخواص النوعية المميزة للنص. فيجب أن يكون تحليل الجملة إلى جوار سوابقها ولواحقها، فهي أبنية صغرى تتجاور في التحليل مع الأبنية الكبرى، وتتضح العلاقة بينهما بتحديد وظيفة كل منها، وربط كل منها بنوع التماسك الذي تؤديه في بنية النص الداخلية والخارجية.

ب- تحديد الأبنية الكبرى هو اختيار القراء العناصر المهمة من النص، وهو متباين باختلاف معارفهم، واهتماماتهم، وآرائهم.

ج- يراعى في الدراسة النصية بصورة حتمية الجوانب: النحوية، والأسلوبية، والدلالية، والتداولية.

د- عملية الفصل الحاد داخل مجالات علم النص "الفونولوجي، والمورفولوجي، والنحوي، والأسلوبي" لا موضع لها في الأغلب، وغير ممكنة.

4- أولا: من أهم ما نستخلصه من الوقفة الآنفة، أن التركيب النحوي هو منطلق التحليل النصي، وأن الفصل بينه وبين سائر المستويات غير ممكن.

وهذا يوافق ما نسعى إليه من محاولة كشف بعض ملامح النسيج الإعجازي للنص القرآني، الذي يراه بعض كبار الغوّاصين في بحره، مَجسَّدا "في هذه الظاهرة النظمية العجيبة، والفريدة، والبديعة الأسلوب...هذا الجبروت الخارق من النسج"[1].

والنحو يعتبر أهم مؤثر في خلق الإطار الدلالي في مستواه الخارجي الشكلي، أو في مستواه النفسي العميق[2]. فالنظام النحوي التركيبي هو المسئول عن بناء الجملة، وصاحب السلطان على النظامين الصوتي والصرفي، اللذين جندتهما اللغة ليصوغا له صيغا متعددة في

[1]- د.عبد المالك مرتاض: نظام الخطاب القرآني. ص16.
[2]- د.محمد عبد المطلب:جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم. مكتبة لبنان ناثرون- الشركة المصرية العامة- لونجمان. ط1، 1995م. ص134.

الاستعمال النحوي. فدراسة البنية التكوينية للكلمات ومكوناتها الصغرى، منطقيا، جزء من دراسة نظم الجملة، وهو ما يسعى الوصف النحوي إلى تفسيره[1].

لكل ما سبق؛ تم اختيار بناء العملية الوصفية التحليلية على أساس النظام التركيبي، مدمجا فيه النظامان الصوتي والصرفي، بتوظيف معطياتهما في إطاره ولمصلحته.

ثانيا: تعريف الجملة:

يصعب تحديد تعريف جامع مانع للجملة؛ إذ لا نعثر على واحد متفَق عليه بين الباحثين: عربا وغربيين، قدماء ومحدثين. فقد ذكر أحدهم أن عددها أربى على ثلاثمائة تعريف[2]. لذلك، وللطابع التطبيقي للبحث، ولتفرّد المدونة قيد الدراسة؛ حاولنا استخلاص صورة عامة للجملة، تحدد مجموعة من الخصائص[3]، هي التي سيتم الارتكاز عليها في عملية الوصف والتحليل. وهو إجراء تيسيري لإكساب العملية مرونة وقدرة على تغطية كل أشكال الجملة:

1-الجملة وحدة نحوية تركيبية.
2-مجموعة عناصر متفاعلة متعالقة متماسكة، وفق قواعد النحو.
3-تؤدي معنى واحدا، ووظيفة إبلاغية.
4-استقلالها فكرة نسبية، تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال في السياق.

- ثالثا: أصناف الجمل:

يخضع تصنيف الجمل لمجموعة من المعايير[4]، بحسب زاوية النظر، والغاية المقصودة. وقد وقع الاختيار على معيارين هما:

---

[1]- د.مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية. مكتبة لبنان ناشرون- الشركة المصرية العامة- لونجمان.ط1، 1997. ص: 130،131بتصرف يسير.

2- د.محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية.دار النهضة العربية .بيروت.1408هـ - 1988م.ص11. ونجد في الصفحة نفسها وما بعدها استعراضا لأهم التعريفات عند الغربيين والعرب. كما نجد عرضا تفصيليا لتعريفات العرب: قدماء ومحدثين، في: سعودي النواري:بناء الجملة الخبرية البسيطة ودلالتها في جزء (عم) - مثبتة ومنفية –. دراسة وصفية تحليلية . رسالة ماجستير مخطوطة جامعة قسنطينة .1995/1996م.ص ص:03-13.ويمكن كذلك العودة إلى المنصف عاشور: التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة ؛ دراسة وصفية إحصائية . ديوان المطبوعات الجامعية. بالجزائر .1982م.ص ص:12-15.

[3]- اعتمدنا في ذلك خاصة على تعريفات: د. مصطفى حميدة : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية. ص: 130،131. والمنصف عاشور: المرجع السابق.

[4]- وقد حصرها د.محمود أحمد نحلة في ثمانية معايير. انظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية .ص 23، وما بعدها. وهو المرجع الذي سأعتمده في تصنيف جمل المدونة ، وتعريف كل صنف منها.

1- البساطة والتركيب 2- التركيب الداخلي.

هي بحسب المعيار الأول:

أ- الجملـة البسيطـة:

1-**مجردة:** تتشكل من مسند ومسند إليه، دون إضافة عنصر لغوي آخر.

2-**موسعة:** وهي التي يضاف إلى ركني الإسناد فيها عناصر مؤثرة في دلالتها، وموسعة لها عن يمينها أو يسارها، أو عن كليهما.

ب- الجملة المركبة:

1/أ- تركيب إفراد: تتشكل من جملتين، مرتبطة إحداهما بالأخرى، أو مفرّعة عنها.

ب- تركيب تعدد: تتكون من أكثر من جملتين عن طريق الربط، أو التفريع، أو هما معا[1].

ويتفرع الشكل الأول منهما، بحسب نوع الرابط ونوع التفريع، إلى:

1- **الربط برابط:** والمقصود به الروابط اللفظية : الواو، الفاء، ثم، حتى، أم المنقطعة.

2- **الربط دون رابط:** ويتعلق الأمر بالجملة الاعتراضية، والتفسيرية، والأمر وجوابه.

ب/1- التفريع برابط: ويدخل ضمنه:

أ- ما لا يحل محل المفرد: يحتوي :- الجملة الشرطية - الجملة الظرفية غير المتضمنة معنى الشرط.

ب- ما يحل محل المفرد: ويحتوي:

1- التفريع بالربط: جملة المصدر المؤول، الجملة الحالية، الجملة الموصولة، الجملة المضاف إليها.

[1]- كل شواهد هذا النوع من القرآن الكريم .أنظر :المرجع السابق.ص182

2- التفريع دون رابط حرفي: ويتضمن: جملة النعت، جملة الحال دون واو، جملة المفعول به. غير أن الجمل المركبة تركيب إفراد، تحتوي نوعا يتميز بعلاقة خاصة بين طرفيها، وبخصائص مميزة، دفعت إلى إيثار إفرادها، وهي:

ج- الجملة المتلازمة:

نجد لها أكثر من تعريف[1]؛ لذا نجنح إلى أكثرها مرونة واتساعا[2]، والذي كان منطلقُ صاحبه تطبيقيا، وهو أنها: معادلة يتوازى فيها هيكلان، يتماسكان عضويا. وتتكون من ملفوظ أول يليه ملفوظ ثان يجمع بينهما: الإسناد أو الدلالة أو النغم والإيقاع، ويعتمد المخبر كل ذلك لتحقيق البلاغ.

وهي ثلاثة أقسام:

1- ما بدأت بأدوات الشرط والفرض.
2- ما بدأت بأدوات الظرف.
3- ما بدأت بأدوات النفي والنهي: وهي تؤلف مع الأداة الثانية وحدة الحصر.

وأما أصناف الجمل بحسب المعيار الثاني(التركيب الداخلي)، فهي:

1- الجملة الاسمية. 2- الجملة الفعلية .

والأخذ بالمعيارين السابقين في التصنيف، لا يعني استبعاد غيرهما، بل أستعين بها في عملية الوصف والتحليل.

وهذا، أخيرا، مشجر تلخيصي لأصناف الجمل المتعددة:

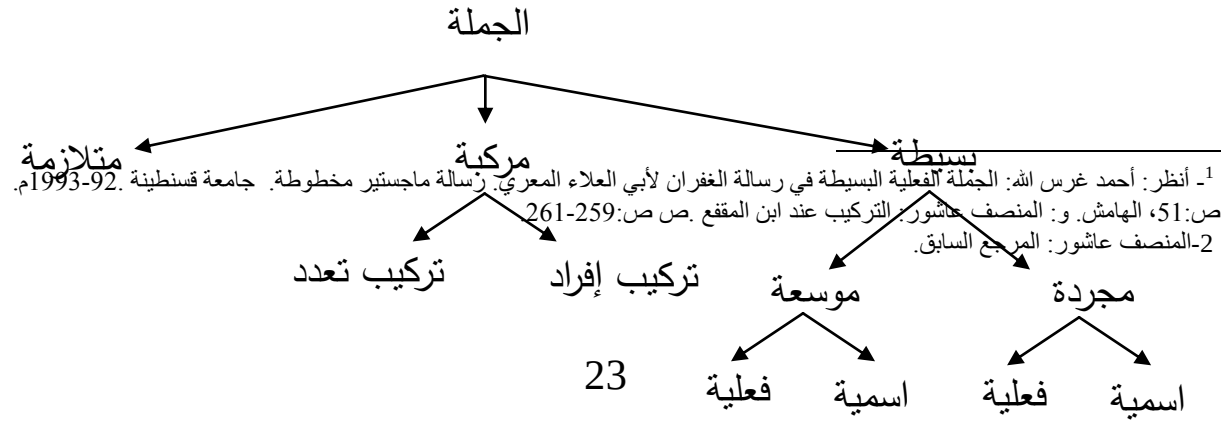

[1]- أنظر: أحمد غرس الله: الجملة الفعلية البسيطة في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري. رسالة ماجستير مخطوطة. جامعة قسنطينة .92-1993م. ص:51، الهامش. و: المنصف عاشور: التركيب عند ابن المقفع .ص ص:259-261.
2-المنصف عاشور: المرجع السابق.

2- بنـــــاء الـنـــــص

1- مواضيع السورة :

- سورة الشعراء:

سميت سورة "الجامعة"، وقع ذلك في تفسير الإمام مالك المروي عنه، كما أورده ابن كثير[1]، وما وجدت فيما اطلعت عليه من تفاسير تأويلا لهذه التسمية، إلا في التحرير والتنوير[2] ترجيحُ كونها أولَ سورة جمعت الرسل أصحاب الرسالات المعلومة إلى الرسالة المحمدية، وهو – كما أشار صاحبه– ترجيح لا جزم، ففيه كلام.

– وهي مكية في قول الجمهور[3]، وقول آخر بمكيتها، عدا الآية التي يذكر فيها الشعراء، وقوله: "أو لم تكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل". وعن ابن عباس وقتادة أنها مكية، إلا أربع آيات من قوله "والشعراء يتبعهم الغاوون" إلى آخرها[4].

– وهي في ترتيب نزولها السابعة والأربعون، بعد الواقعة، وقبل سورة النمل[5]. مع الإشارة إلى أن عدد السور المكية هو أربع وستون سورة.

– وقد جعل أهل المدينة وأهل مكة وأهل البصرة عدد آيها مائتين وستا وعشرين. وجعله أهل الشام و أهل الكوفة مائتين وسبعا وعشرين[6].

– وأورد القرطبي[7] من حديث له صلى الله عليه وسلم، عن ابن عباس "... وأعطيت طه وطسم من ألواح موسى ...".
وفي حديث آخر عن البراء بن عازب: "...وأعطاني الطواسين مكان الزبور ..."[8].

– أما عن أسباب نزولها، فلم يذكر السيوطي إلا أسباب نزول الآيات: "أفرأيت إن متعناهم سنين" إلى "يمتعون". "وأنذر عشيرتك الأقربين". " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين".

---

[1]- الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم . دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. طبعة مقابلة مدققة على جميع النسخ الخطية في دار الكتب المصرية وعلى جميع النسخ المطبوعة . أشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء .د.ت.ج175/5.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر ، تونس.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. النشرة الثانية.1973م. ص89.

[3]- أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن . ضبط ومراجعة على الأصول: صدقي جميل العطار.خرج حديثه: الشيخ عرفان العشا. دار الفكر، بيروت. ط1، 1424هـ-2003م. مج7.ج13. ص 69.

[4]- المصدر السابق.

[5]- التحرير والتنوير. ص 90.

[6]- المصدر السابق.

[7]- الجامع لأحكام القرآن. 69/13/7.

[8]- المصدر السابق.

وآية الشعراء ، أورد رواية عن سبب نزول "والشعراء" إلى "ما لا يفعلون"، وروايتين عن "إلا الذين آمنوا"[1].

– ويمكن أن نفهم من مكيتها، وترتيب نزولها، أنها نزلت في مرحلة متقدمة من مراحل الدعوة المكية، اشتد فيها تضييق المشركين وعنادهم، وفيما أورده الشيخ ابن عاشور ترجيح لذلك، إذ قال: "وأحسب أنها نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسول بخوارق"[2].
وهذا يخالف القول بأنها نزلت "مع بداية الدعوة الجهرية، وخاصة بعد وقوف النبي على جبل الصفا، وإعلان الإسلام أول مرة في مكة كدعوة علنية"[3]. إلا إذا كانت المدة الزمنية المقصودة في "بعد" فيها شيء من الامتداد.

– أما الموضوع الرئيس للسورة[4]، فهو موضوع السور المكية جميعها: العقيدة، والذي يتكون من مجموعة عناصر، يمكن حصرها في:

1– توحيد الله.
2– التنويه بالقرآن والتصديق به، والرد على مطاعن المشركين.
3– تهديد المشركين، وتخويفهم من عاقبة التكذيب.
4– تسلية الرسول ρ، وتثبيته والمؤمنين، وطمأنة قلوبهم.

وذهب البعض إلى أنها تدور حول "أهمية توصيل الرسالة إلى الناس بأحسن الوسائل المؤثرة"[5]. هذه الوسيلة كانت السحر في عهد موسى عليه السلام، والشعر والشعراء في عهد محمد ρ؛ ومن هنا اسم السورة.

– هذا التحديد الأولي لمواضيع السورة، ذو منطلق تأويلي، يرتكز على ما يعرف بـ:

---

[1]- لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم. بيروت.ط4، 1403هـ-1983م، ص164.
[2]- التحرير والتنوير، ص.90.
3- خواطر قرآنية (نظرات في أهداف سور القرآن) : عمرو خالد. الدار العربية للعلوم . بيروت .ط1، 1425هـ-2004م. ص 274.
4_ في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشرق، القاهرة، بيروت. الطبعة الشرعية السادسة عشر 1410هـ-1990م مج5/ج19/ص 2583..
[5]- خواطر قرآنية، عمرو خالد، ص 274.

"الحلقة الهيرمنيوطيقية"[1] التي خلاصتها: لفهم أجزاء أية وحدة لغوية، لابد من التعامل مع هذه الأجزاء وعندنا حس مسبق بالمعنى الكلي، لكننا لا نستطيع معرفة المعنى الكلي إلا من خلال معرفة معاني مكونات أجزائه.

– يصل بنا ما سبق إلى أن تضييق المشركين، وعنادهم، وتحديهم، مقام يحتاج إلى مقال خاص يوافق مقتضى الحال، فيحقق للرسالة غرضاها: التبليغ، والتأثير، في أسمى صور البيان والتعبير، باستثمار كل الطاقات الكامنة في اللغة، وإحداث التفاعل التام بين الشكل والمضمون، ونسج خطاب يحتوي هذا التضييق والعناد، وما يترتب عنهما من آثار في نفس الرسول ρ ومن آمن معه، ولا يقف فقط عند أداء هذه المهمة، بل يحقق في نفسه خاصية الانفتاح، والقابلية للحركة والتجدد، والإباء على التأطير الزمكاني، والتحديد التاريخي.

لذا، سنحاول استقراء شكل النص وتفكيكه، للوصول إلى مدلوله، واكتشاف العلاقات القائمة بينهما، وحركة العلاقات الداخلية.

والمرحلة الوصفية الظاهراتية المتقصية تشكلات الإشارات اللغوية والظواهر الأسلوبية، تفرض الوقوف أولا على النسق العام للنص وخصائصه؛ لنصل منه إلى مكونات الأجزاء.

2– النسق العام للنص:

أول ما نقف عليه في النص، عدة ظواهر، أشار إلى بعضها صاحبا "الكشاف"[2] و"الظلال"[3]:

1– أن النص شكلا ليس نسقا واحدا، بل هو مجموعة من الأنساق القولية تأتي على الشكل الآتي :

أ– مقدمة : تضم تسع آيات.

1_ 3 عمرو خالد خواطر قرآنية :.ص274.

4 :– د.ميجان الرويلي، سعد البازعي دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء المغرب بيروت .ط2، 2000م، ص48.

2– للإمام الزمخشري تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فيروجوه التأويل : ، تحقيق و تعليق محمد مرسي عامر. مراجعة الطبع: د.شعبان محمد إسماعيل، دار المصحف، القاهرة. د.ت.ج182/4.

3– في ظلال القرآن: ص 2583– 2584 .

ب- مجموعة من قصص الأنبياء المتتابعة، لكنه مفصول بينها بفاصل يتكون من مجموعة من الآيات تخرج عن القصص إلى موضوع آخر بعد القصة الثانية، ثم يعود الخطاب القرآني لإتمام بقية القصص.

ويأتي هذا الجزء بهذا التوزيع:

1- قصة موسى عليه السلام مع فرعون: ثمان وخمسون آية.
2- قصة إبراهيم عليه السلالم مع قومه: إحدى وعشرون آية.
3- استطراد إلى حال الكافرين في جهنم: خمسة عشرة آية.
4- قصة نوح عليه السلام مع قومه: ثماني عشرة آية.
5- قصة عاد: ثماني عشرة آية.
6- قصة ثمود: تسع عشرة آية.
7- قصة قوم لوط عليه السلام: ست عشرة آية.
8- قصة أصحاب الأيكة: سبع عشرة آية.

ج- خاتمة أو تعقيب: عدد آيها: ست وثلاثون.

يؤكد التمايز الظاهري للأنساق، ما ذكره صاحب "الكشاف" من أن كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتنزيل برأسه[1].

3- الخصائص الظاهراتية العامة للأنساق:

التعدد والانفصال النسقي السابق، يخفت قليلا، بفعل ظاهرة تلحظ في شكل النص، تتمثل في تراكيب نمطية تتكرر في مواضع محددة من النص. ولعله يمكننا أن نصفها وصفا مبدئيا، بأنها نقاط تقاطع بين الأنساق القولية، ومفاصل رابطة بينها. وهذا يجرنا إلى الإمعان في الافتراض بالتقدم خطوة أخرى فيه، والقول بأن ما سبق يجعل النص هيكلا واحدا، ونسيجا

[1]-الكشاف، 182/4.

موحّدا إلى درجة معينة، وقد شجعنا على هذه الخطوة القائلون بوحدة السورة في القرآن الكريم، وهم كثر، ومن العلماء الأعلام[1].

غير أن الحكم السابق قابل للاستئناف – بلغة أهل القانون–، فلن نتأكد من نسبة هذا التوحد والانسجام، إلا بعد تفكيك النسيج اللغوي إلى الدلالي الباطني، وكشف مدى التفاعل بينهما.

والتراكيب النمطية هي الآتية، مع تحديد مواضع ترددها.

1– الآتيان: "إن في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم".
نجد هذه الصيغة في المواضيع الآتية:

أ– في نهاية المقدمة.
ب– في نهاية قصة موسى عليه السلام.
ج– في نهاية الحديث عن مصير الكافرين يوم القيامة (والملاحظ أننا لا نجدها في نهاية قصة إبراهيم عليه السلام).
د– في نهاية قصص: قوم نوح، عاد، ثمود، قوم لوط، أصحاب الأيكة.

أما نهاية السورة (التعقيب) فنجدها مختومة بغير هذه الصيغة من جهة أولى، ومن جهة ثانية، نجدها مخالفة الصيغة النمطية المكررة، وتقف من حيث خصائصها اللغوية في طرف مقابل؛ فهي فعلية مضارعية استقبالية، وأما المكررة فيطغى عليها الطابع الاسمي التأكيدي.

2– الآيات: " كذبت قوم نوح المرسلين، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على رب العالمين، فاتقوا الله وأطيعون".

1-أنظر : "وحدة السورة القرآنية بين القبول والرفض": د. محمود توفيق محمد سعيد : مجلة الفيصل – العدد : 111 – رمضان 1406هـ – ماي /جوان1986م- السنة العاشرة .ص ص :22-24.

نجد هذه الصيغة في بدايات قصص : قوم نوح، عاد، ثمود، قوم لوط، أصحاب الأيكة. والملاحظ أن هذه الصيغة حدث فيها تغيير، عكس الأولى التي تكررت كما هي، دون أدنى تغيير.

أما بدايتا قصتي موسى وإبراهيم، عليهما السلام، فمختلفتان؛ إذ تبدأ قصة موسى بـ " وإذ نادى ربك موسى"، وتبدأ قصة إبراهيم بـ" واتل عليهم نبأ إبراهيم".

3- الشكل الثالث من الصيغ المكررة هو الأقل نمطية؛ إذ إنّ التعديل والتغيير فيها أوسع من سابقتيها.

ونجدها قاسما مشتركا بين نهايات جميع القصص، باستثناء قصة إبراهيم؛ إذ نجد الصيغة في نهاية الحيز الاستطرادي الأخروي بعدها دونها.

وقد جاءت هذه الصيغ مباشرة قبل الشكل الأول المذكور آنفا. وهي الآتية، بحسب ترتيبها:

1- " ثم أغرقنا الآخرين".

2- " فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون". وهذه بينها وبين النهاية المتكررة فاصل من آيات تسع.

3- " ثم أغرقنا بعد الباقين".

4- " فكذبوه فأهلكناهم".

5- " فأخذهم العذاب".

6- " فدمرنا الآخرين".

7- " فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة".

ونشير هنا إلى خاصية واحدة من خصائصها، وهي أنها جمل فعلية ماضوية، ونرجئ الحديث عن باقي خصائصها إلى حينه، فإنه لمّا يحن.

4- بناء النص:

نعود الآن إلى الأنساق، التي تشدنا فيها خاصة أخراة، هي انتشارها على سطح النص؛ لنلاحظ ما يأتي:

1- تمثل القصص أكبر جزء من النص؛ إذ تشغل ثمانين ومائة آية. وهي تشكل بذلك "جسم السورة " كما وصفها سيد قطب[1].

2- وهي نفسها تشد فيها مجموعة من الخصائص:

أ- أولى القصص هي أطولها؛ إذ تشغل ثمان وخمسين آية. ثم ينزل العدد قليلا في قصة إبراهيم عليه السلام، مدمجا معها الحيز الاستطرادي، فنجد عدد آيها ستا وثلاثين.

ب- بقية القصص نجدها متقاربة في أحجامها، إذ لا تتجاوز أقصرها ست عشرة آية، وأطولها تسع عشرة آية.

3- الجزء المتبقي من النص يشمل: المقدمة، والتعقيب. ويشغل الطرفان مجتمعين خمسا وأربعين آية. مع ملاحظة أن التعقيب الممتد إلى ست وثلاثين آية، يمثل ثلاثة أضعاف المقدمة، المتشكلة من تسع آيات.

4- عدد أجزاء النص، أو الأنساق القولية، هو نفسه عدد آي النسق الأول (المقدمة).

5- لا يتطابق التتابع التاريخي للقصص وتتابعها السياقي.

ولعله يمكننا الآن توضيح هيكل وبناء النص، من خلال الرسمين الآتيين: الأول جزئي خاص شامل النص بكامله بالقصص، والثاني عام.
نرمز في الرسم الأول للقصص بـ: ق، ولترتيبها في النص بالأرقام، وللترتيب التاريخي بالسهم.

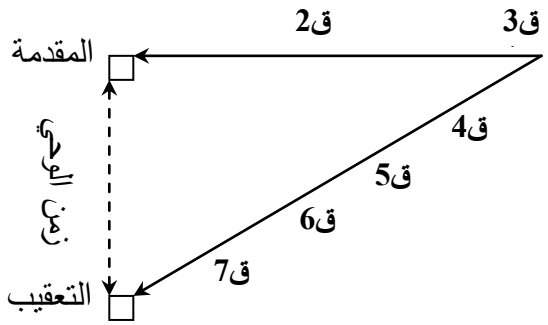

[1]- الظلال، ص 2583.

فوقفة تأمل عند بدايتي المقدمة والتعقيب، نجدهما يبدآن بما يأتي:

أ- المقدمة: " تلك آيات الكتاب المبين، لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين".

ب- التعقيب: "وإنه لتنزيل رب العالمين، نزح به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين". وهو خطاب موجه إلى الرسول ρ.

وبهذا يتضح بناء النص. الذي يمكننا الآن تمثيله في الخطاطة الآتية:

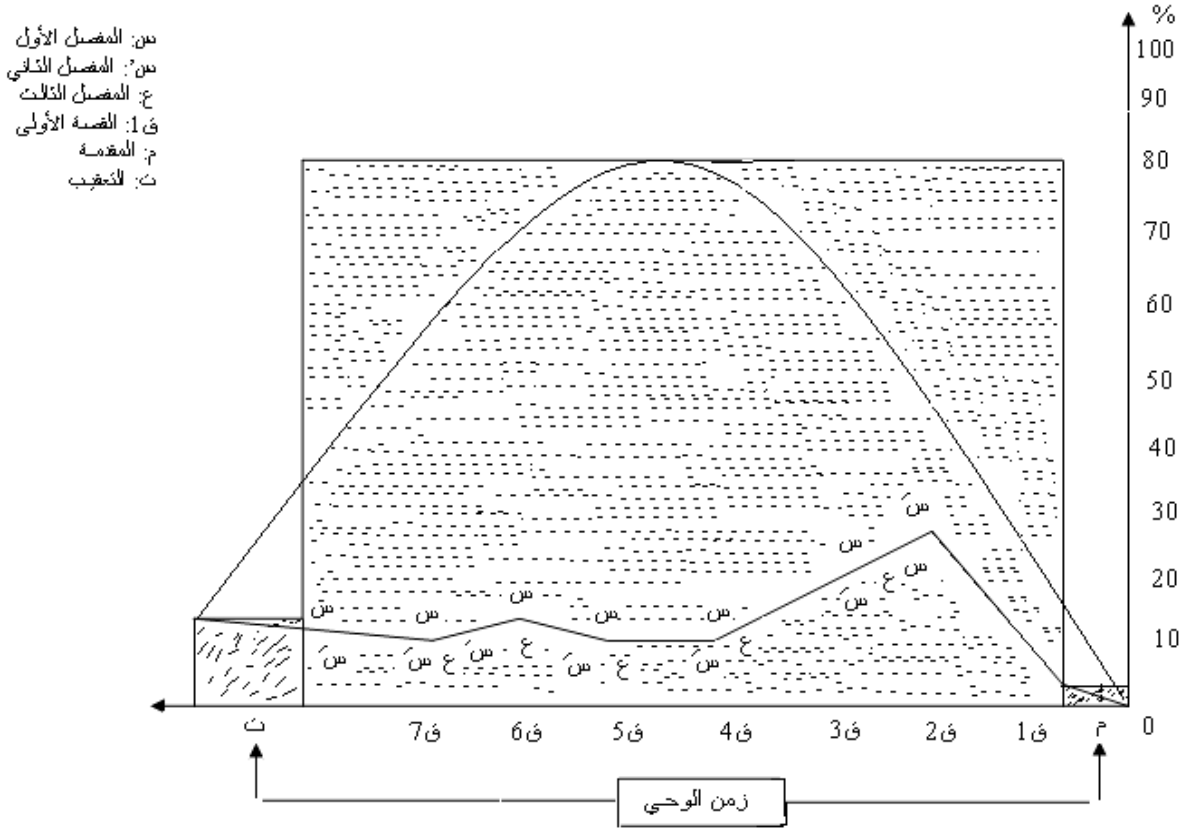

توجه الخطاطة إلى ما يأتي :

1- أكثر النص قصص.

2- حركته دائرية؛ إذ يبدأ بخطاب الرسول ρ، أي فترة النزول، ثم يرتد إلى قصة موسى عليه السلام، فإبراهيم، فتوح عليهما السلام، ثم يعكس اتجاه حركته إلى عاد، فثمود، ثم يرجع إلى قوم لوط، فأصحاب الأيكة، ويرجع أخيرا إلى نقطة البدء: فترة الدعوة المحمدية.

كل ما سبق الوقوف عليه فيما يخص بناء النص، يطرح مجموعة من التساؤلات، حول شكل النص ومحتواه:

أ- هذا التباين النسقي، هل يستتبع تباينا في النسيج اللغوي، أم لا ؟، وان كان كذلك، فما خصائص النسيج اللغوي في كل تنسيق؟ ولم كان كذلك؟. وإن كان الأمر خلاف ذلك (لا تباين في النسيج اللغوي)، فلم كان كذلك أيضا؟.

وهذا يدخلنا باطن النص ، لنساءل .

ب- هل لتباين النسيج اللغوي في خصائصه، أو لاتفاقه فيها، علاقة معينة بمضمون النص أم لا؟ أو بصيغة أخرى، لعلها أدق، ما أثر النسيج اللغوي المتفق الخصائص، أو المتباينها ، في النسيج الدلالي؟. وما دور المفاصل المحددة آنفا؟، وهل هي، بصيغة أخرى، مجرد وسائل للتضافر الشكلي، أم له وللباطني؟ وما خصائص شكلها؟ وما علاقة ذلك بما تخدم به المدلول؟، ولم تكرر بعضها في مواضع دون أخرى؟. وما لانتشار الأنساق على سطح النص من أثر على المضمون؟. وهل يمكن اعتبار المقدمة والتعقيب نسقا واحدا باعتبار اتحاد زمنيها؟ وهل في مضمونهما ما يعزز هذا الجمع، أم فيه ما يضعفه فينفيه؟. فيم، وكيف يخدم كل ذلك الدلالة؟ وما شبكة العلاقات الدلالية التي ينشئها هذا التنسيق؟.

لعل هذا أهم ما يثيره البناء الظاهراتي للنص من تساؤلات. ولمحاولة الإجابة عنها، نعمد إلى تفكيك النص مستوياتيا. وبديهي - كذلك نراه- أن نبدأ بنسيجه التركيبي .

-الفصل الأول-

-النسق الأول-

- المقدمة -

- تمهيد:

التتبّع التّحليلي للنّسيج اللّغويّ لن يكون وفق السّير الأفقيّ للنّص، بل سننهج نهجا آخر هو جمع أوّل الأنساق وآخرها متعاقبين، لاتّفاقهما في مجموعة خصائص[1]، هي غيرها في النّسق الثّاني، وذلك قصدا إلى محاولة معرفة إن كانا متّفقين في خصائصهما اللغوية كذلك، أم لا، وما لذلك من أثر على النّسيج الباطنيّ للنّصّ. ثمّ نعقبهما بتحليل النّسق الثّاني، ونصل أخيرا إلى التّراكيب المكرّرة الّتي يعلّل إفرادها بالتّحليل سببان:

1- ترددها.

2- موضعتها النّصّيّة.

يمتدّ النّسق الأوّل – بعد حذف التّراكيب المكرّرة، وحتّى دون حذفها- على أصغر مساحة نصّيّة، غير أنّه يتميّز بمجيئه في أوّل النّصّ، وهذا يكسبه أهمّيّة خاصّة، فهو المدخل إلى عقول ونفوس المتلقّين، وبه يهيئ الخطاب القرآنيّ للدّخول إلى عالم النّص والتّفاعل معه، ولذلك سمّاه "سيّد قطب" مقدّمة[2].

وقلّة تراكيبه تتيح تحليلها جميعها، وموضعه يفرض ذلك.

ويتمثّل في الآيات الآتية:

" **طسم، تلك آيات الكتاب المبين، لعلّك باخع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين، إن نشأ ننزّل عليهم من السّماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين، وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاّ كانوا عنه معرضين، فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم** ".

1- طسم :

كثيرة متعدّدة هي الأقوال في تأويلها، تعدّد مشارب ومذاهب وفهوم أصحابها، حتّى أنّ صاحب البحر المحيط[3] رفض كلّ ما قاله فيها المفسّرون؛ على اعتبار أن لا دليل عليه.

وليس هذا مقام عرض وتفصيل هذه الأقوال ومراجعتها، وما على المهتمّ إلاّ طلبها في كتب التّفسير وعلوم القرآن.

---

[1] انظر: " بناء النص "، في المدخل.
[2] سيد قطب: في ظلال القرآن. 5 / 19 / 2523.
[3] أبو حيّان الأندلسي: البحر المحيط 05/7.

على أنّنا نجد أحد المحدثين[1] قد تتبّعها عرضا ومراجعة ونقدا، ثمّ استفادة من إشارات فيها وجدها صائبة، ليبني من كلّ ذلك تأويلا جديدا لهذه الأحرف المقطّعة في جميع القرآن يراه الصّواب.

وقد أقام بناءه على أسس هي:

1) إجماع المسلمين – على اختلافهم حولها – على أنّها استهلالات ابتدئ بها، فبراعة الاستهلال إشارة في الصّدر إلى المقصود.
2) الإطار العام: الشعر الجاهلي.
3) الإطار الخاص: النّظم القرآني.

وكلّ من الإطارين يكشف معاني ويحدّد دلالات.

4) المعنى المعجمي: بالرجوع إلى أمّهات المعاجم، كاللسان، والقاموس المحيط.

وقبل عرض رأي الدّكتور بشيء من الإجمال المفصّل، أو التّفصيل المجمل، لعلّه من الواجب التّنويه بأنّ اصطفاءه دون سواه يرجع إلى:

أ- أنّه بنّاء يبدو على درجة من الإحكام، بحيث يمكن أن يُعمر ويُتّخذ سكنا، ولو إلى حين.

ب- كونه تأويلا دلاليّا، يربط فيه بين الحروف المقطّعة، وبين مضامين ومواضيع السّور الواردة فواتيح لها[2]، وهذا من شأنه أن يعيننا في سعينا – من بين ما نسعى إليه- لاكتشاف العلاقات الدّلاليّة بين الأجزاء المشكّلة للنّصّ.

وخلاصة تأويل الدّكتور، أنّه انطلق من المواضيع التي رأى بأنّ الأحاديث في السّور المفتتحة بهذه الأحرف دائرة حولها، ثمّ وقف عند معنى الحروف؛ ليكشف اتّفاقا وتقاطعا بين هذه وتلك.

فسورة الشّعراء دائرة حول مواضيع هي:

---

[1] د. محمد بدري عبد الجليل: دراسات في النّصوص القرآنيّة . مكتب كريدية إخوان. بيروت.1984. ص:44 وما بعدها. وما سيأتي من عرض لرأي الدّكتور مصدره كتابه هذا.

[2] للجابريّ رأي وسط، إذ يرى أنّه صعب إن لم يكن مستحيلا فكّ رموز هذه الحروف، مع ملاحظة اتّفاقها في بداية سورها بالحديث عن القرآن، وأنّ سورها تحتوي مقدّمات تؤدّي إلى محور تلتئم جميعا عند خاتمة، وأنّها تقرّر مبادئ الدّعوة المحمّديّة. أنظر: د. محمّد عابد الجابريّ، مدخل إلى القرآن الكريم (الجزء الأوّل: في التّعريف بالقرآن) مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت. ط2: 2007. ص359-360.

أ-1- الإسراف في الحزن والتّوغّل في الإشفاق.

2- إسراف فرعون في الإبعاد، لأنّه لم ينكر ولم يدّع نبوّة، ولا أنكر ربّا، بل ادّعى الألوهية. ولم يسرف على نفسه فحسب، بل عليها وعلى أهله وقومه. وهذا في رأيه متّفق "وطاء"؛ فطاء في الأرض يطاء: ذهب أو أبعد في ذهابه، وجاء في اللّسان:"وطاء في الأرض يطوء: ذهب"[1].

ب- الحديث عن الوعد والوعيد، والذي نجده في مواضع عدّة في كامل النص، نذكر منها:" **فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون** "، وفي قصّة موسى:" **إنّ معي ربّي سيهدين**" و" **فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر**". وفي قصّة إبراهيم وعد بإزلاف الجنّة ووعيد بتبريز الجحيم، وفي قصص بقية المرسلين مع أقوامهم، وفي آخر آية :" **وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون**"، وفي الصفتين المكرّرتين:" **وإنّ ربّك لهو العزيز الرّحيم**". العزيز انتقاما ونيلا وموعدا، والرحيم إنعاما ونوالا ووعدا.

والسّين تفيد الوعد بحصول الفعل، " فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه "[2]. ويضيف ابن هشام عن معنى السّين في آية البقرة: " **فسيكفيكهم الله** ": " أنّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخّر إلى حين"[3].

ج- إقامة أنواع الحجّة والبرهان على أهل الكفر والضّلال، والبرهان هو الحجّة الفاصلة البيّنة[4]، الحجّة المفغرة.

أمّا: ميم. فقد جاء في اللّسان: " الموم: الحمّى مع البرسام، وقيل الموم: البرسام، يقال منه: ميم الرّجل فهو مموم... قال ذو الرّمّة يصف صيّادا:

إذا توجّس ركزا من سنابكها * أو كان صاحب أرض أو به الموم

فالأرض الزكام، والموم البرسام، والموم: الجدريّ الكثير المتراكب...

ومعناه أنّ الصّيّاد يُذهب نفَسه إلى السّماء ويفغر إليها أبدا؛ لألا يجد الوحش نفسه فينفر، وشبّهه بالمبرسم أو المزكوم؛ لأنّ البرسام مفغر، والزّكام مفغر"[5].

2- /تلك آيات الكتاب المبين/:

[1] ابن منظور، لسان العرب. قدّم له الشّيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د.ت، مج2، ص622.
[2] ابن هشام الأنصاريّ: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: ح. الفاخوري. دار الجيل، بيروت –ط1، 1411هـ - 1991م. ج1 ص232.
[3] نفسه.
[4] ابن منظور، لسان العرب، مج1 ص205.
[5] نفسه، مج 3، ص550.

يتميّز هذا التّركيب بطابعه الاسمي المتّسم بالثّبات، وببساطته مع مدّ بعنصرين لاحقين. والجملة البسيطة في عرف النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة[1] هي الأصل الّذي تولّد منه الجمل المركّبة المعقّدة، كما أنّها أسهل من هذه في الاستذكار والاستعمال، وفي الإنتاج من حيث الزّمن والجهد المبذول. كما تحتوي – دلاليّا– خبرا واحدا، أو تدور حول حادثة واحدة. وهي بذلك تركّز انتباه القارئ حول فكرة واحدة، أو سياق زمنيّ واحد[2]. وهي محصورة في حدود الإخبار والتّقرير والتّذكير بحقائق الأمور؛ لذلك فهي لا تتجاوز حدود المعادلة القائمة بين المخبر به والمخبر عنه.

مجموع هذه الخصائص النحوية الدلالية التواصلية، نراها متلائمة وموضع الجملة التي يمكن اعتبارها " مقدمة للمقدمة "، وملاحظة عناصرها تصل بنا إلى ما يأتي:

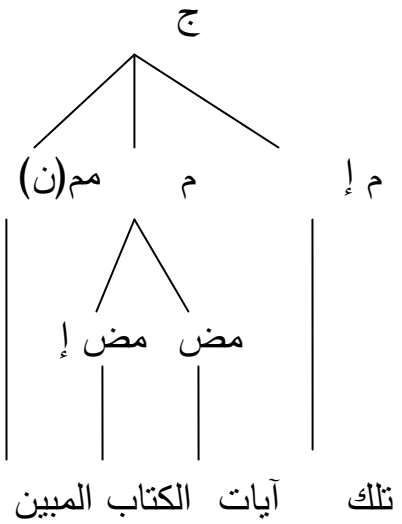

– المسند إليه:

[1] منصور خلخال:"بناء الجملة الطّلبيّة في شعر المتنبّي –دراسة توليديّة تحويليّة- ؟؟؟"
[2] في الكتابة والتّعبير: محمّد علي أبو حمد. مكتبة الأقصى. عمّان، الأردن ط1 د-ت ص138.

يبدو في ظاهره عنصرا واحدا، غير أنّه في حقيقته ملفوظ تتلاحم ثلاث مورفيمات[1] لتشكيله صوتيّا ودلاليّا:

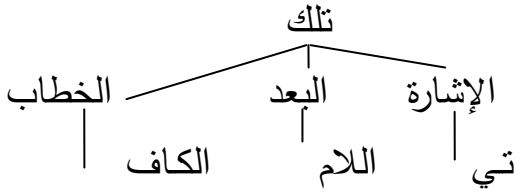

هذه الصفة (التركيب) تكثّف محتواه الدلالي؛ فهو دال يحيل إلى الدلالات الآتيّة:

1- الإبهام.

2- البعد: تنبيها على بعد منزلة المشار إليه في الفخامة والسموّ.

3- الخطاب.

وصفتا الإبهام والخطاب تجعلان الـ (م إ) يمارس إجبارا ركنيا وتجاوزيا[2] في الوقت نفسه؛ فالإبهام يتطلب عنصرا يمارس وظيفة التحديد وإزالة الإبهام. والخطاب يحمّل العنصر أكثر من دلالة؛ فيجعل منه إشارة تتّسم بالحركية والاستمرار، والميزتان مكتسبتان من تموضعه التركيبي والسياقي، لا من خصائصه المورفيميّة؛ فالمفهوم منه أنّه موجّه إلى كلّ متأهّل للتّحدي من بلغاء العرب[3]، أي زمن الوحي، وهذا معنى مغلق، غير أنّ الزمن العام المطلق المتحدّد خارج إطار التاريخ المادي، هذا الزمن العقائدي بما يحمله من تعاليم جوهرية ثابتة، والذي يدل عليه التركيب، يجيز تحميل هذا العنصر معنى فيه انفتاح، فيجعله موجّها إلى كلّ مؤمن تذكيرا وتثبيتا، وإلى كلّ منكر تحدّيا وإلى كافة الناس إطلاقا وجمعا، خاصة حين انضمام بقية العناصر. والإشارة والإبهام، أخيرا، وسيلتان لاستثارة وتنبيه المخاطب؛ ليستجمع فكره وشعوره في المشار إليه.

---

[1] المورفيم أو (المورفام): أصغر وحدة دلاليّة معتمدة في التّحليل الألسنيّ، وهو ككلّ إشارة لغويّة يحتوي على دالّ ومدلول. أنظر الألسنيّة علم اللّغة الحديث: المبادئ والأعلام، ميشال زكريا. المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع . بيروت ط2، 1403هـ 1983م ص: 199-200، 310؛ Dictionnaire de linguistique p453.

[2] د. عبد الله الغذامي. الخطيئة والتكفير ؛ من البنيوية إلى التشريحية. دار سعاد الصباح. الكويت.ط3، 1993م. ص286.

[3] ابن عاشور. التحرير والتنوير. ص 92.

- **المسند:**

جاء تركيب إضافة، وهي إضافة محضة[1]، وقد اختلف المفسّرون في تحديد (آيات الكتاب) المشار إليها: أهي آيات القرآن كلّه، أم ما نزل منه من قبل، أم آيات السّورة[2]. وفي بعض هذه المذاهب، أو فيها مجتمعة، تعزيز لخاصية الانفتاح في (م إ)، والتي تتسحب على المسند، ويؤدي عنصر المضاف إليه دور إتمام المضاف نحويا ودلاليا، مع تحديد إطاره، فالمشار إليه في مختلف التأويلات هو القرآن الكريم.

– **المتمّم:**

يأتي موسّعا الجملة، ومثريا المحتوى الدلالي للمسند، لأنه نعت يحدّد صفة في المضاف إليه. وهو يدعم صفة الفخامة والعلو والسمو التي أضفاها اسم الإشارة؛ ففيه، هو الآخر، مجموعة من الخصائص الصوتية، والصرفية، والدلالية التي تجعل موضعته التركيبية متلائمة بشكل بليغ مع العناصر السّابقة، فقد ورد اسما مشتقا (اسم فاعل)(+ الـ).

تان الخاصيتان تكسبانه خاصيتين أخريين:

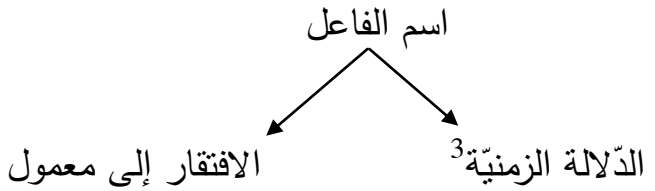

والصفة الزمنية فيه غير محدّدة الجهة، فهو زمن مطلق، زمن عقائدي ثابت، يضاف إليه التجدّد الدالة عليه زمنيّة المتمّم؛ فتضفي جدليّة الثّابت والمتجدّد مظهرا آخر من مظاهر الإعجاز في النسج الأسلوبي للخطاب القرآني.

---

[1] هي ما لم تكن إضافة لوصف مشابه للفعل المضارع إلى معموله، تفيد التّخصيص في حالة تنكير المضاف إليه، والتّعريف في حالة تعريفه، وتسمّى المعنويّة كذلك. وسميّة محضة لأنّها خالصة من نية الانفصال. أنظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لمحمّد محيي الدّين عبد الحميد. المكتبة العصريّة. صيدا. بيروت. طبعة منقّحة. 1411هـ 1990م. ج2 ص43 و45.

[2] أنظر على سبيل المثال: الحافظ عماد الدّين أبا الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير.دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع. طبعة جديدة مدقّقة ومقابلة على جميع النّسخ الخطّيّة في دار الكتب المصريّة، وعلى جميع النّسخ المطبوعة . أشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء. د.ت ج5/175.- و: روح المعاني: 58/19. - و: البحر المحيط، 5/7 – و: التّحرير والتّنوير، ص92

[3] عبد الله بوخلخال: التّعبير الزّمنيّ عند النّحاة العرب. ديوان المطبوعات الجامعيّة. الجزائر. د.ت .ج1، ص167.

وقد بقيت الإبانة – بعد حذف معمول اسم الفاعل– مفتوحة قابلة للتأويل، وتحوّل العنصر اللغوي إلى إشارة حرّة :

العنصر اللّغويّ	دلالته
المبين	1–الإبانة الذاتية. 2–الأحكام والشرائع وسائر ما اشتمل عليه. 3–إعجازه وصحة صدوره عن الله. 4–صدق الرّسل. 5–الفصل بين الحق والباطل.

هذه الدلالات تجعل العنصر، والتركيب بعد اكتماله، حيا متحركا أماميا. وورود هذه الصفة (مبين) في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم بصيغ متباينة – بعضها يقصر تنزيل الكتاب على غاية واحدة هي الإبانة[1]– هذه المواضع تعزّز القول بسيميائية هذا العنصر، وتحرّره الدلالي. وتأتي خصائصه الصوتية، أخيرا، داعمة دلالته؛ إذ يتكون من مقطعين مفتوحين ثانيهما طويل[2]، والجهر صفة لكلّ فونيماته (وهو من دلائل التمكّن والقوة). مع انتهائه بحرف أغن، لا ينحبس الصوت كليا أثناء نطقه، كل ذلك يثبت انفتاحه ومعنى الإبانة فيه.

ومن منطلق سيميائي تأويلي، نلفي الخطاب في هذا التركيب مفتوحا؛ إذ يبقى المتلقي الأخير[3] غير معيّن، وكذلك الإبانة تغدو مفتوحة للقراءة بحسب المتلقين، رغم الاقتصاد والبساطة التركيبيين والصبغة الاسمية. وذا أول مظاهر الإبانة الإعجازية التي يفتتح بها الخطاب القرآني هذه السورة، بعد الحروف المقطّعة.

---

[1] محمّد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار الفكر. بيروت.ط1. 1401هـ -1981م . ص ص:143- 145.

[2] المقطع درجة أعلى من الفونيم في سلّم الوحدات الصّوتيّة الفونولوجيّة، وهو شكل من أشكال تجمّع الفونيمات وتوزّعها في الكلام بين صامت وصائت، وهو قصير وطويل، ومفتوح ومغلق. أنظر التّفصيل في: د. أحمد محمّد قدّور ،مبادئ اللّسانيّات. دار الفكر. دمشق – دار الفكر المعاصر، بيروت. ط1.1416هـ - 1996م. ص109 ، 112. وانظر كذلك: محمود أحمد نحلة: لغة القرآن الكريم في جزء "عمّ". دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر،بيروت.1981م. ص356، 357.

[3] على اعتبار المتلقّي الأوّل جبريل عليه السّلام، وهو باثّ في الوقت نفسه إلى الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم- الّذي بثّه إلى النّاس في زمانه، ثمّ غدا النّاس بعده متلقّيا وباثّا إلى يوم القيامة. راجع: د. عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآنيّ: تحليل سيميائيّ مركّب لسورة الرحمن.. دار هومه للطّباعة والنّشر والتّوزيع. الجزائر. 2001. ص72.

3- الجزء الثاني من النسق:

وهو ما تبقى منه، ويخالف ما سبق في كونه يتشكّل من مجموعة من التراكيب المتعالقة بوسائل شتى، وهي صورة تركيبية ستتكرّر كثيرا فيما سيأتي؛ لذا اخترنا تسميتها: " مجموعة تركيبيّة ". وتتكوّن من التراكيب الآتية:

ت$_1$: / لعلّك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين/

ت$_2$: / إن نشأ ننزّل عليهم من السّماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين/

ت$_3$: و/ ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاّ كانوا عنه معرضين/

ت$_4$: ف/ قد كذّبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون/

ت$_5$: / أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم/

جاءت تراكيب هذه المجموعة متّسمة بالتعقّد على المستوى الهيكلي، مع تفاوت في الدرجة. ويمكن حصرها في ثلاث مجموعات:

مج$_1$: ت: 1+3+5 = وحدتان إسناديتان.

مج$_2$: ت 2 = 3 وحدات إسناديّة.

مج$_3$: ت4 = 4 وحدات إسناديّة.

تتلاءم درجة التّعقّد عكسا مع عدد التّراكيب، فالأقلّ تعقّدا أكثر عددا.

وقد أفضى البحث في العلاقات الرابطة بين الوحدات الإسناديّة المشكّلة البناء الهيكلي للتراكيب، إلى شكلين: أولهما: المتلازمة: ت: 1+2+3+4

ثانيهما: المركبة تركيبا مفردا: ت5.

غير أنّ التركيبين: 2 و4، يبدو في بنائهما الهيكلي شيء من المباينة، فالتلازم في الشكل الأول جاء على هذه الصورة:

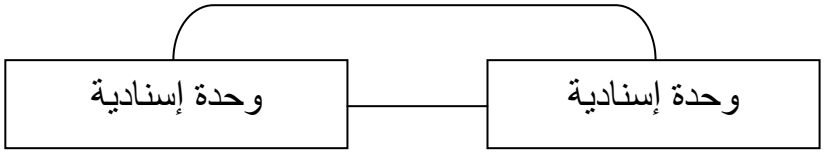

أما التركيب 02 فورد كما يأتي:

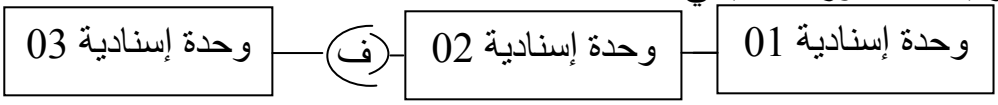

وأمّا التركيب04، فإن طرفه الثاني ورد في شكل صندوق صيني:

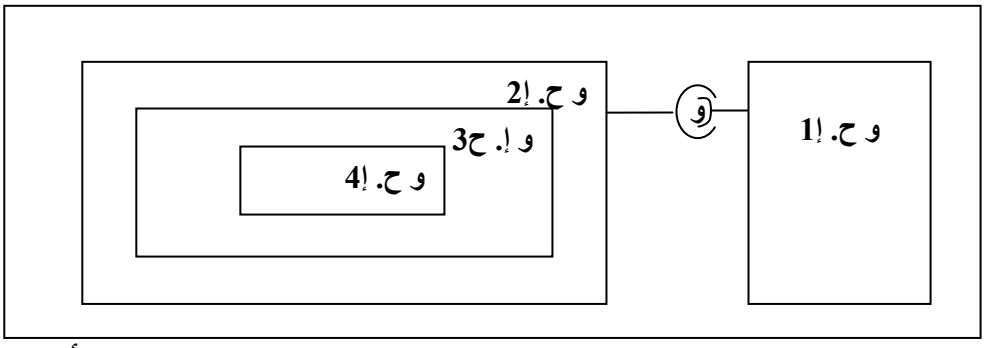

وهذا يجعل التركيبين يجمعان بين خاصيتي: التلازم + التركيب المفرد في الأول، والتركيب المتعدد في الثاني.

وعند ملاحظة المكونات المباشرة للتراكيب، نلفيها تزيد تقدما في درجة التعقيد، بواسطة العناصر السابقة واللاحقة، الممددة التراكيب على المستويين: الهيكلي والباطني، فتعلو درجة التقصي المدلولية، وتزيد دقة.

وبالنظر إلى المستوى الوظائفي، تبدو مشكّلة ثنائيات تركيبية متقابلة، وقد مارست الأدوات والحروف دور الملاءمة بين وظائفها المتنافرة، وإيجاد علاقة الانسجام الوظيفي، المؤدي إلى تمام البناءين: التركيبي، والمدلولي. كما مارست دورا تحديديا للمقاطع الكبرى للوحدات الإسنادية؛ فاتضح فيها توازن مقطعي.

ومن زاوية العلاقات الوظائفية، يظهر التشاكل بينها جميعها؛ فهي قائمة على ضرب من التوازن، أضفى عليها انسجاما هيكليا على مستوى السياق، وتناسقا مدلوليا تناثر عبر محورين إسناديين، يمكن تمثيل ذلك كما يأتي:

أداةv حرف	+	وحدة إسنادية	+	أداةv حرف	+	وحدة إسنادية	+	أداةv حرف	+	وحدة إسنادية	

	1- لعل (ك)	1- باخع نفسك	1- ألاّ	1- يكونوا مؤمنين		
	2- إن	2- نشأ	2- Φج ش	2- ننزّل عليهم من السّماء آية	2- ف	2- ظلّت أعناقهم لها خاضعين
	3- ما	3- يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث	3- إلا	3- كانوا عنه معرضين		
و						
	4- ف	4- قد كذّبوا	4- ف	4- سيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون		
	5-أولم	5- يروا إلى الأرض	5- Φ بدل	5- كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم		

الملاحظ أنّ الربط بين وحدات التركيب الثاني الثلاث، كان نحويا ودلاليا، الرابط النحوي أداة الشرط، المولّدة ارتباطا دلاليا بين شقيه هو: التلازم. أما الوحدة الأخيرة، فمرتبطة دلاليا بالشق الثاني؛ إذ هي مسبَّبة عنها في شكل استلزام منطقي، وإرغام ترهيبي:

إن نشأ => ننزّل => فَظَلّت

وكذلك الأمر مع التركيب الرابع؛ فإتيان الأنباء نتيجة للتكذيب تخويفا وتوعّدا[1].

أما التركيب الأخير، فالعلاقة بين طرفيه دلالية، وهي من القوّة بحيث لا يمكن الفصل، فهي علاقة بدلية[2]، والوحدة الثانية، تبعا لذلك، هي المقصودة، مع ما تمارسه من وظيفة تحديدية تخصيصية للقضية المستفهم عنها.

بقية العلاقات هي الآتية:

- التركيب الأول: علاقة علة بمعلول.
- التركيب الثالث: مطلق الضدّيّة[3].

نجد بين التراكيب مظهرا آخر للتشاكل هو النّغمي[4]، إذ تتميّز بنغمة[5] صاعدة من بداية التركيب، وتبلغ قمتها عند المقطع الفاصل بين الوحدات الإسنادية، ثم تأتي نازلة حتى نهاية التركيب، لتتحد مع الخط المستقيم للسياق:

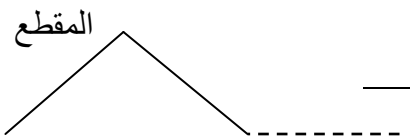

[1] التّحرير والتّنويه ص99.
[2] نفسه ص101.؛ روح المعاني 62/19.
[3] روح المعاني 61/19.
[4] أنظر: تنغيم التّراكيب المتلازمة: التّركيب عند ابن المقفّع: المنصف عاشور ص259.
[5] النّغمة هي الأثر النّاتج عن ازدياد عدد الذّبذبات أو انخفاضها على صعيد الكلمة. أمّا التّنغيم فهو اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة: أحمد مختار عمر: دراسة الصّوت اللّغويّ. توزيع دار عالم الكتب، القاهرة 1976 ص191.

سياق / التركيب /سياق

مع استثناء التركيب الأخير، الذي فرضت خاصيته خطا نغميا مخالفا؛ لأنه يبدأ صاعدا، ولا يبلغ قمته إلا عند نهايته:

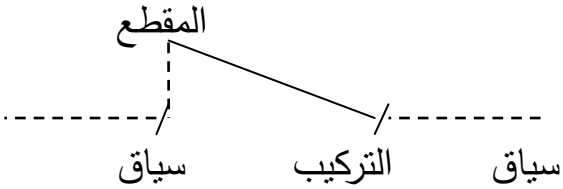

ولهذا أثره الإبلاغي، بما تثيره هذه النغمة الصاعدة عند المتلقي من استثارة وتحفيز، مع التنبيه إلى أن المحتوى الدلالي لهذا التركيب يكتسي أهمية خاصة، من خلال موضعته في محيط الكلام، وعلاقته بما سبقه خاصة، ومن خلال الملفوظات المكوّنة له، وسيأتي تفصيل ذلك.

أما التركيب الرابع، فقد خالف بطابعه الخبري التأكيدي غيره، بتنغيمه الإيجابي الهابط[1].

- المكونات المباشرة:

يظهر من خلالها تشاكل على المستوى المورفولوجي، بداية بطرفي الإسناد:

ت	م	م إ
1 /(أ+ ب)/	باخع + مؤمنين	ض خ م(ك)+ ض ج غ(و)
2 /(أ+ ب+ ج)/	نشأ + تنزّل + خاضعين	ض ج ك(نحن)×2+ أعناقهم
3 /(أ+ ب)/	يأتي + معرضين	ذِكر + ض ج غ (و)
4 /(أ+ ب+ ج)/	كذّب + يأتي + يستهزئ×2	ض ج غ(و)+أنباء+ض ج غ(و)×2

[1] نجده في تأكيد الإثبات والاستفهام بكلّ الأدوات عدا الهمزة وهل: مناهج البحث في اللّغة. د. تمّام حسان. دار الثّقافة. الدّار البيضاء. المغرب.1979م ص199.

5 /(أ+ ب)/	يرى + أنبت	ض ج غ(و) + ض ج ك(نا)

– طرفا الإسناد في الوحدات الإسنادية المشكّلة للتراكيب –

قراءة الجدول تكشف ما يأتي:

أ– المسند: ورد مكتسبا الصبغة الفعلية في أغلب الجمل: $\frac{9}{12}$، وهذا يضفي عليها حركية فعلية، ويكثّف محتواها الزماني، مع ما للفعل من مركزية في البناء الهيكلي والمدلولي للجملة.

ما تبقى من المسانيد تمظهر في صورة واحدة :" اسم فاعل"، والذي نجد بينه وبين الفعل اتفاقا في خاصيتين:

1– جذب عناصر إليه (علاقات التعدية واللزوم).

2– الصبغة الزمنية – كما سبق–[1]. وما يدعم زمنيته، وروده في ثلاث مواضع خبرا لفعل ناقص على التوالي:– يكون – ظلت – كان.

وبالتدقيق في القسم الأول من المسانيد، نلفيها صرفي ا مجدولة كما يأتي:

1– الماضي × 2 : كذّب + أنبت.

2– المضارع × 7 : نشأ + تنزّل + يأتي × 2 + يستهزئ × 2 + يرى.

غير أنّ الاقتصار على الصيغة الصرفية للفعل، دون النظر إلى القرائن السياقية، لا يغني وحده لبلوغ تحديد دقيق لزمن الفعل، بل يؤدي إلى غلط في النظر، ومغالطة في المناظرة، كما ذكر ابن القيّم[2] مبيّنا دور السياق في تحديد مراد المتكلم (الوظيفة التواصلية للكلام). والوقوف على زمن الأفعال النحوي السياقي، يكشف لنا الآتي:

الفعل	ز.س	قر
- كذّب	- الماضي المنقطع	- قد + سياقيّة
- أنبت	- الماضي المطلق	- سياقيّة
- نشأ	- المستقبل	- إن[3]

[1] أنظر تحليل الجملة الأولى: (تلك آيات الكتاب المبين)

[2] ابن قيّم الجوزيّة: بدائع الفوائد. تقريظ وتقديم: د. وهبة الزّحيلي. حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: معروف مصطفى زريق، محمّد وهبي سليمان، علي عبد الحميد بلطه جي. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. بيرون.ط1، 1422هـ -2001م .ج4، ص09.

[3] د. عبد الهادي الفضلي: دراسات في الفعل. دار القلم بيروت. ط1، 1402هـ -1982م. ص58.

- ننزّل	- المستقبل	- إن
- يأتي	- الحال	- ما[1]
- يأتي	- المستقبل القريب	- س
- يستهزئون	- الماضي المستمرّ	- كان[2]
- يروا	- الماضي	- لم[3]

أما القسم الثاني من المسانيد، فقد ورد في صورة واحدة: اسم فاعل. ويتحدّد زمنه السياقي – وقد سبقت الإشارة إلى المحتوى الزمني لاسم الفاعل حين تحليل أولى جمل النسق– كما يأتي:

م	ز.س	قر
1– باخع	المستقبل	لعل[4]
2– مؤمنين	الحال والاستقبال	يكونوا + أن[5]
3– خاضعين	المستقبل	ظلت[6]
4– معرضين	الماضي المستمر إلى الحاضر	كانوا[7]

نلحظ أنّ صبغة المسند الزمنية قد تدعمت بقرائن.

وكل ما سبق، يضع تراكيب المجموعة في إطار زمني دقيق، متنوع وواسع، وهذا يجعل مجال الحركة فيه واسعا، خاصة في المسانيد الدالة على الاستمرار والتجدد، والواردة في صيغ مركبة : (يكونوا مؤمنين– ظلت...خاضعين – كانوا معرضين– كانوا يستهزئون). وهذا، بالنتيجة، يوسّع حيزها، ويلوّن المشاعر، والمواقف، والأحداث، بأثر من الصبغة الوصفية لاسم الفاعل.

[1] سيبويه: الكتاب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.ط 1973،1. 221/4
[2] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق:ح. الفاخوري. دار الجيل، بيروت. ط1، 1411هـ-1991م. ج454/1
[3] الكتاب : ط2، 1977م. ج1، ص45.
[4] عبد الله بوخلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب: 110/2. و:التحرير والتنوير، ص93.
[5] التحرير والتنوير. 93 . و: روح المعاني. ص59.
[6] التحرير والتنوير، ص95.و: روح المعاني، ص60.
[7]

ب- المسند إليه:

ورد في صورة ضمير في أغلب المواضع: $\frac{9}{12}$. ونسجل أولا أنّ الضمير بكل أشكاله متسم بخاصيتين:

1- تحقيق الاقتصاد البنائي والصوتي، والتكثيف والربط الدلاليين.

2- محذوف العائد، لأنه معلوم من السياق.

والجدول الآتي يلخص صور المسند إليه من حيث:

- النوع – والمرجع – والشكل – والطبيعة (الحضور والغياب).

ت	م إ	نوعه	مرجعه	شكله	الحضور والغياب

01	ك	ض خ م	الرسول– ص–	متّصل بالناسخ	حضور
	و	ض ج غ	الكفّار	متصل بالناسخ	غياب
02	Ø (نحن)	ض ج ك	الله تعالى	منصهر في المسند	حضور
	Ø (نحن)	ض ج ك	الله تعالى	منصهر في المسند	حضور
	أعناق(هم)	اسم ظاهر	/	/	غياب
03	ذكر	اسم ظاهر	/	/	/
	و	ض ج غ	الكفّار	متّصل بالنّاسخ	غياب
04	و	ض ج ك	الكفار	متّصل بالمسند	غياب
	أنباء	اسم ظاهر	/	/	/
	و	ض ج غ	الكفّار	متّصل بالمسند	غياب
05	و	ض ج غ	الكفار	متصل بالمسند	غياب
	نا	ض ج ك	الله تعالى	متصل بالمسند	حضور

يبيّن الجدول أن المسند إليه الضمير أحد ثلاثة: – الله تعالى – الرسول، صلى الله عليه وسلم – الكفار المشركون. وهي الأطراف الثلاثة الدائرة حولها تراكيب المجموعة: متحدثا، وإليه، وعنه، والمحددة، بالتالي، طبيعة الأفعال الصّادرة عنها.

وثانيا: الضّمائر العائدة على الله تعالى ورسوله، جاءت في خانة الحضور، أمّا العائدة على المشركين ففي خانة الغياب. وهذا يحيل سيميائيا إلى معاني: رفعة الشأن، والقوة، والاهتمام، والتبجيل، ثم التحقير، والاستصغار، وتهوين الشأن، على الترتيب. يدعم ذلك ورود الضمائر العائدة عليه تعالى في صورة ضمير عظمة (نحن، نا).

أما **الصورة الثانية للمسند إليه (إ ظ):** المتجسد في الملفوظات الآتية: أعناقهم، ذكر، أنباء، فإنا نلحظ فيها التوظيف الأسلوبي البليغ، ودقة الاختيار.

ف**الأول:** الوارد في: **و ح إ3** من التركيب الثاني:ف/ظلّت **أعناقهم** لها خاضعين/، نجد بينه وبين المسند تباينا صرفيا؛ إذ ورد مؤنثا، أما الـ"م" فهو مذكر، وفي هذا نكتة أسلوبية، فقد خالف القاعدة الصرفية (المطابقة) وخرقها، فأحدث بذلك ما يسميه "ريفاتير": المفاجأة[1] عند المتلقي، بعدم تحقيق وتصديق توقعه، وفتح خروج اللفظة عن دلالتها الذاتية إلى دلالة حافة

[1] توفيق الزّيدي: أثر اللّسانيّات في النّقد. ص86.

مجالا للتأويل، وبالتالي تتلبّث حركة الفهم؛ فصاحب البحر المحيط[1] يرى بأنّ "الأعناق" اكتسبت من إضافتها للمذكر العاقل وصفه، فأخبر عنها إخباره، كما يرى بأنها لما وضعت لفعل لا يكون مقصودا إلا للعاقل، وهو الخضوع، جُمعت جمعه، كما جاء " أتينا طائعين"[2]. أما صاحب التحرير والتنوير، فاعتبرها من قبيل المجاز العقلي، ورأى فيه تجريدا له[3]. وغير ذلك من التأويلات عند غيرهما[4].

ولعل مذهب الإمام " ابن عاشور" يوجهنا إلى معنى بليغ، لا نجد له مثيلا – في سياقه– في غير الخطاب القرآني، مسنودا بما ورد في آية "فصلت"، وهو أنّ المشهدين اللذين تصورهما الجملتان، مشهدان عظيمان جليلان معجزان، يتجاوزان حدود الخيال البشري، ويخرقان السنن، فاحتاجا لتصويرهما، إلى تعبير خاص، يخرق قواعد اللغة، ويحدث في نفس المتلقي المفاجأة، ومن ثمّ الأثر النفسي المطلوب، وهو الترهيب فيما نحن بصدده، خاصة وأنّ عائد المجرور في (م ن) " لها " غير محدّد ومبهم؛ لذلك ورد نكرة في قوله السابق: " ننزّل عليهم من السماء **آية** " ولم يذكر إلاّ الجهة التي تأتي منها: السماء، وهذا يزيد الترهيب قوة وتأثيرا.

المسند إليه الثّاني:

ورد في قوله تعالى: " وما يأتيهم من **ذكر** ". ولم يسند إليه الفعل مباشرة، كما هي القاعدة، بل توسّط بينهما حرف الجر " من " الزائد، وزيادته أفادت تقصيا مدلوليا، ودقّة، ففيه تأكيد نفي جميع أشكال الـ(م إ)، وفي كلّ الأحوال، فأفاد بذلك ترسيخ وتثبيت إعراض المشركين، وعدم تغيّره بتغيّر الأحوال، وروده (– ال) تدعيم لما جيء بـ (من) لأجله؛ إذ يبقى مفتوحا للخيال، ومغلقا ينفي أيّ شكل يرد منه عليه.

– **آخر (م إ)**: في قوله تعالى: " فقد كذّبوا فسيأتيهم **أنباء** ما كانوا به يستهزئون ".

يُظهر دقّة الاختيار؛ إذ لو استبدلناه عموديا بـ " أخبار" لانتفت الدلالة المقصودة؛ لأنّ النبأ هو: الخبر عن الحدث العظيم[5] الخطير، وهو ما يتناسب ومقام التخويف والترهيب، وروده جمعا لإفادة أنّ ما استهزؤوا به أمور كثيرة[6].

---

[1] أبو حيّان: البحر المحيط. ص60.
[2] في قوله تعالى:"فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين": فصّلت الآية 41.
[3] التّحرير والتّنوير ص96.
[4] أنظر مثلا: الكشّاف للزمخشري 4 /159.
[5] التّحرير والتّنوير ص983.
[6] نفسه ص99.

ومن وجهة نظر تواصليّة – أخيرا– فإنّ الـ(م إ) يحدّد أطراف العملية التواصلية الداخلية: خبر + [مخبِر + مخبَر+ مخبَر عنه]. وهذه الأطراف هي الآتية:

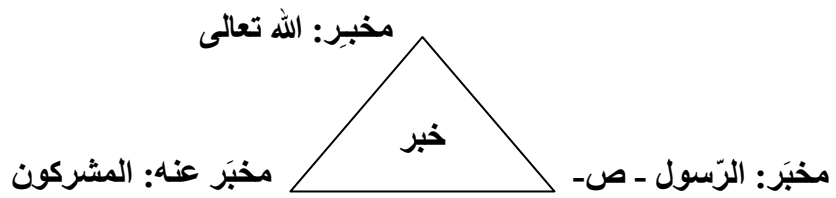

وقد تبينت بعض خصائص الأطراف الثلاثة من خلال الـ(م إ)، وكذا العلاقة بينها. وستتضح أكثر من خلال: علاقة الإسناد، والمتممات، وتوزيع العناصر، والسياق. أي من خلال الخبر.

ج–المتمّمات: تشمل السوابق واللواحق. ويوضحها الجدول الآتي:

ت	الأدوات[1]	المف به[2]	مرا ض	م ن	ت
ت1	–لعل–ألا–يكون	– نفس	– نفسك	/	/
ت2	– إن– ظلّت	– آية	– أعناقهم	–عليهم–من السّماء– لها	/
ت3	–ما– إلا– كان	–هم(يأتيهم)	/	– من الرحمن– عنه	محدث
ت4	– قد– س–كان	–هم(سيأتيهم)	– أنباء ما	– به	/
ت5	أ(استفهام)– لم	– كم	–كلّ زوج	– إلى الأرض– فيها – من كل	كريم

أول ما يسترعي الانتباه في الجدول، التوظيف المكثّف للمتممات، مما يكشف دورها الفاعل على أكثر من مستوى. وهو ما سنحاول الوقوف عليه.

1– يبدو بين المتممات تشاكل مستوياتي، سنحاول التمثيل بنماذج توضيحية، والاقتصار على نماذج خطوة منهجية؛ لعدم إمكانية تحليل جميع العناصر اللغوية[3].

نشير، أولا، إلى ثلاثة أوجه تشاكل خاصة بالأدوات، سبق الحديث عنها مفرقا[4]:

[1] نقصد بها كلّ ما سبق عنصري الإسناد، سواء أثر نحويا ودلاليّا، أم دلاليّا فقط.
[2] رغم تواتر عنصر المفعول في الاستعمال اللّغويّ الشّائع، غير أنّه يبقى خارج لحمة الإسناد.
[3] فكلّ عنصر لغويّ في الخطاب القرآني عمدة حيث هو، وحذفه أو استبداله عموديّا أو تغيير توزيعه أفقيّا سيؤدّي، لا ريب، إلى تهلهل تركيبيّ، وشرخ دلاليّ، يأباهما النّسيج الإعجازي للنّصّ، ويسمو عليهما
[4] أنظر 05 و06 من هذا البحث

1) التّحديد المقطعي.

2) الملاءمة بين الوظائف المتنافرة.

3) تحديد الزّمن النّحويّ السّياقيّ للمسند

أما باقي أوجه التشاكل، فهي الآتية:

- المستوى البنائي الهيكلي:

- ممارستها دور تعقيد التراكيب هيكليا، وهذا يؤدي إلى الثراء الدلالي، والاكتمال الإبلاغي.

- ثاني مظاهر التشاكل الشكلي، خاص بالأدوات، وهو تصدّرها الجمل، وهي بهذه الموضعة التركيبية، تمارس عمليتي تأثير وتأثر، فقد اختيرت بدقة لتتناسب والمضمون الدلالي المخدوم، والغاية الإبلاغية المبتغاة. كما أنها تحدد نوع الجملة، وتلونها زمنيا، وتمارس إجبارا ركنيا على بقية العناصر.

- ن ت1: /لعلّك باخع نفسك/:

تبدو التأثيرية المتبادلة بين الأداة (لعل) وبين المسند، والتلاؤم المدلولي؛ فالمسند وُظّف على طريقة القرآن في التخييل الحسي، بالتعبير بالصورة الحسية المتخيَّلة عن الحالة النفسية، فإذا هي لوحة أو مشهد[1]. أما الأداة فقد خضعت لانزياح أسلوبي[2]؛ إذ جيء بها للحث على ترك الأسف[3]، كما حددت الزمن النحوي للمسند " باخع"[4]، على أساس أن اسم الفاعل النكرة المنون يستعمل للحال والاستقبال[5]، وبإجبار ركني منها، تخلّص للاستقبال؛ لأنّها مستعملة لهذه الشريحة الزمنية[6].

فالمسند إليه في هذه الوحدة الإسنادية كان محورها، الذي حاصره قطبان دلاليان: إيجابي عن يمينه، وسلبي عن يساره، مع تغليب الخطاب كفة متصدر الوحدة الإيجابي.

ن ت2: /إن نشأ ننزّل عليهم من السّماء آية/.

---

[1] التّصوير الفنّي في القرآن: سيّد قطب. دار الشّروق. بيروت، القاهرة، الطّبعة الشرعيّة السّادسة 1400هـ-1980م ص60.

[2] أنظر معاني "لعلّ" في مغني اللّبيب1/ ص467.

[3] التّحرير والتّنوير ص93.

[4] البخع قتل النّفس عمدا: المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني. تحقيق محمّد سيّد كيلاني. دار المعرفة بيروت. د.ت ص38.؛ وفي اللّسان: مادة: بخع: بخع نفسه: قتلها غيظا أو غمّا

[5] التّعبير الزّمنيّ عند النّحاة العرب. عبد الله بوخلخال 76/1.

[6] نفسه 110/2.

اختار التعبير القرآني " إن" دون سائر أدوات الشرط، لملاءمتها المحتوى المدلولي المقصود، والأثر التواصلي المراد، فالحكمة الإلهية لم تشأ إنزال الآية إكراها على الإيمان الذي أرادته أن يكون مع آخر الرسالات عن اقتناع واختيار، مع القصد إلى طمأنة الرسول – صلى الله عليه وسلم– بأنه يستند إلى ركن شديد قادر؛ تسلية وتثبيتا – وهذا مفهوم من جواب الشرط وما عطف عليه–، ثم تخويفا وترهيبا للكافرين.

فلم تكن إلا " إن"؛ لأنّ الغالب فيها أن تُشعر بالشك، وعدم الجزم بوقوع الشرط[1].

وتلاؤما مع مقام الترهيب، وإثبات القدرة؛ جاءت بقية العناصر المتممة، ف: م ن × 2: "عليهم" + " السّماء" دالان على الاستعلاء والقدرة، مع ما يتضمّنان من تأكيد؛ لتقارب الدلالة. فجعل السماء جهة ابتداء الفعل، أوضح وأشد تخويفا؛ لقلة العهد بأمثالها؛ ولتوقّع كل من تحت السماء أن تصيبه[2]، وفي اتساع مجال الفعل مظهر آخر لعظيم القدرة.

وقد جعل التبادل الموقعي الاختياري بين المفعولين غير الصريحين السابقين، والصريح " آية " هذا الأخير حدّا أيسر للجملة، مع سلبه التعيين (– ال)، وفي هذه الخصائص التركيبية قصد إلى غرض إخباري هو: التشويق، والإمعان في الترهيب والتخويف.

ن ت3: و/[ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث][إلا كانوا عنه معرضين]/:-

تؤدي المتممات دورا دلاليا تواصليا محوريا، يجعل الاستغناء عنها أو استبدالها أمرا غير ممكن، فالمفعول غير المباشر، في الوحدة الإسنادية الأولى، يُكسب حركة المسند قيمة وتميزا، بتحديد مصدره بأثر من " من" التي لابتداء الغاية، وقد اختير له من بين البدائل العمودية "الرحمن"؛ تنبيها على عظيم رحمته وفضله على الكفار. هذا المحتوى الدلالي لا يبرز إلا بمقابلته بردهم في الوح إ الثانية، الدال على مدى شناعته وقبحه، مع ما في المجموع من تسلية للرسول – صلى الله عليه وسلم–. ولتكتمل صورة المقابلة الدلالية، وتتساوى درجة قوتها؛ جاء (ن): " محدث " زيادة تأكيد على الرحمة، ودعما لصفة التجدد والاستمرار في "م". فاجتمع العنصران اللغويان لاستيفاء المحتوى الدلالي المتمثل في كونه متجددا مستمرا، وأنّ بعضه يعقب بعضا ويؤيّده[3].

[1] عبّاس حسن : النّحو الوافي. دار المعارف. القاهرة. الطّبعة العاشرة. د.ت. ج4، ص432. و: التّحرير والتّنوير، ص95.
[2] التّحرير والتّنوير، ص95.
[3] التّحرير والتّنوير، ص97.

– وفي"و ح إ2":/إلاّ كانوا عنه معرضين/: وهي ج ح، جيء بالنّاسخ (كان) لِما جيء به لأجله في ت1، وهو الدلالة على استمرار اتصاف "م إ" بـ "م"، ورسوخ الصفة فيه، وفي هذا توضيح لخاصية التقابل والتضاد بين دلالتي الوحدتين الإسناديتين المشكلتين للتركيب.

ن ت 4: ف /[قد كذّبوا] ف [سيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون] /

التوظيف المكثف للمتممات بادٍ في هذا التركيب، الذي جاء دالا على منعطف هام في معاملة المشركين؛ إذ بعد الترهيب والتذكير بنعمة الله، تأكد تشبثهم بموقفهم.

وكانت بدايته بالفاء الفصيحة، المبيّنة لكلام محذوف، والدالة عليه وعلى ما نشأ عنه[1]، فمارست بذلك عملية ربط قوي بين التركيب السابق، الذي آخره " معرضون"، واللاحق، أي أنه قد تبين بأنّ إعراضهم إعراض تكذيب[2]. ونلحظ أنّ المسند مسبوق بـ" قد التحقيقية " المدعّمة معنى التأكيد والتيئيس.

وبعد تأكيد تكذيبهم، جاء الوعيد مهولا مفزعا قريبا بالفاء أولا، معقّبا دون تراخ، ثم بالسين. وجاء المسند إليه " أنباء " بمحتواه المد لولي مثريا الدلالة السابقة.

كما نلحظ الدقة في جملة الصلة: " كانوا به يستهزئون" الموسعة المسند بواسطة المضاف إليه الموصول (ما)؛ إذ جاء فعل الكون للغرض السابق نفسه، خبره مضارع دال على التجدد، مع تجدد الوعيد أو التذكير. ثم هو استهزاء، وليس تكذيبا، ولا إعراضا؛ إذ الاستهزاء أدل على الرفض من التكذيب، والتكذيب أدل من الإعراض.

ن ت5:–/ أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم/.

يظهر هذا النموذج دقة التوظيف المعجز للعناصر اللّغويّة. نكتفي بالتمثيل ببعضها:

– **أولا: " و ح إ2 "**: هي بدل اشتمال من " و ح إ1 "، ومعنى هذا أنها المقصودة بالحكم، أي مصب الإنكار[3]، وأنها أوضح وأدق من الأولى؛ لذا، نجد أنّ المتممات فيها أكثر عددا منها في الأولى. والنموذج يبدأ بثلاثة أحرف: الهمزة، الواو، ولم. أما الواو، فهي عاطفة على " ما يأتيهم "؛ دلالة على الاستمرار في السياق نفسه. وأمّا " الهمزة "، و" لم "، فهما الحرفان اللذان يلونان التركيب بصبغة دلالية خاصة، ويحددان الغرض الإبلاغي منه: الإنكار، والتوبيخ، والإمعان في التيئيس؛ إنكار عدم الرؤية؛ مجرد الرؤية. الرؤية إلى ماذا ؟ إلى "

[1] النّحو الوافي: 636/3، هامش رقم01.
[2] التّحرير والتّنوير. ص98.
[3] التّحرير والتّنوير . ص101.

الأرض "؛ الأرض الجرداء العفراء[1]، الأرض التي هي طبيعة واحدة[2]. ثم تيئيس رسوله من إيمانهم. ويبقى البناء المضموني عند هذه النقطة عائما مبهما، لا يتم، ولا يظهر الأثر الوظيفي لهذه الوحدة إلا بمجيء الو ح إ2 مصب الإنكار – كما ذكرنا– والأوسع والأثرى دلاليا، فقد ورد فيها ما يُراد رؤيته في الأرض، وهو دال على شيئين:

1– دقة الصنع.

2– الامتنان.

وهما بدورهما يدلان:

1– عليه سبحانه وتعالى.

2– على رحمته.

وقد وظف التعبير القرآني ما يبلّغ المحتوى الدلالي كاملا دقيقا؛ فكل المتممات تدور في فلك المسند، الذي يجذبها إليه؛ إذ مظهر القدرة والدقة والمنة هو: الإنبات (أنبتنا)، غير أنّ المسند وحده لا يدل على هذه المعاني، فجاء عنصر المفعول المقدّم إجباريا على طرفي الإسناد؛ لأنّ طابعه الاستفهامي يعطيه حق الصدارة: " كم "، ولو خرج إلى الخبر. وهو دالّ على الكثرة في المسند. ثم استُدعي المفعول غير المباشر المركب (م ن+مض إ)؛ دلالة على التنوع في أصناف النبات، مع شموله (كل). ونلحظ دقة الاختيار والتوظيف في إدخال " من " التبعيضية واسطة بينه وبين المسند، وقد أغنت عن ذكر مميِّز " كم ". ثم إنّ فيها دقة بليغة، فكأنّه قال: لو رأوا لرأوا جزءا من كلّ زوج كريم، أمّا ما عداه فهو خارج إطار مكانهم وزمانهم، وهذا يخرج بالتعبير اللغوي إلى دائرة الإشارة الحرة التي يخاطب بها كل متلق، فيغدو ذا بعد سيميائي. كما أنّ عنصر الـ(مض إ) دال على دقة الصنع؛ إذ أنبت كل شيء في شكل " زوج ". ويأتي أخيرا عنصر (ن)؛ ليبلغ بالتركيب ذروته، وبالدورة الدلالية درجة الانغلاق: " كريم "، وهو الحسن من كل جنس[3]؛ ففيه دلالة على الامتنان والتكريم من الخالق لعباده، وتنبيه إلى ما فيه من دلالة على بديع الصنع والرحمة، مع الإشارة إلى كونه صفة مشبهة دالة على الثّبوت.

---

[1] الشّيخ محمّد الغزالي: نحو تفسير موضوعيّ لسور القرآن الكريم. دار بغدادي للطّباعة والنّشر. الجزائر. 2000 . ص:285.

[2] أبو السّعود محمّد بن محمّد العمادي: تفسير أبي السعود، المسمّى: إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت. ط2 ، 1990. ص235.

[3] ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم: تفسير غريب القرآن. تحقيق: السيّد أحمد صقر. دار الكتب العلميّة، بيروت. 1398هـ - 1978م. ص316.

هذا الامتداد الأفقي، والتنوع في الملفوظات، والثراء المدلولي، مع الطبيعة الطلبية المتميزة نغميا عن السوابق، والفاصلة التي خالف بها الخطاب القرآني – ليس كل المخالفة– ما سبق. كل هذه الخصائص مجتمعة ، تضع التركيب في قمة البناء الهرمي لمجموعته؛ فهذا الوضوح في القدرة، ودقة الصنع والرحمة، والتي تُدرَك معاينة، ولكنّهم لم يؤمنوا، لا بد – إذن– عند هذه النقطة، من الانتقال إلى بناء هرم جديد بلون مغاير. وقد وصف الشيخ محمد الغزالي كلا الهرمين بقوله:"آيات في المكان والزّمان"[1].

———

وحين نشد زمام الفكر، آيبين إلى ما سبق كلّه، متتبعين آيات التقاطع بين تراكيب النسق ظاهرا وباطنا، يتكشّف لنا بناؤها المدلولي متواشجا، متلاحما، في حركة متصلة متناغمة، من أوله إلى آخره.

فأول تراكيبه مباين لواحقَه في خصائصه التركيبية: البساطة، والاسمية المحضة – كما سبق–، وهو – تواصليا– حيادي لا تحديد فيه لمخاطب أو متلق بعينه، ولا يختصّ محتواه بمتحدث عنه محدّد، عدا القرآن الكريم. ومضمونه مساو للرّسالة، وهو ما يفرزه تعالق عناصره.

كل ذلك، يمد ظلاله إلى كامل النص، وإلى خارج حدود النص. وهذا حد الكلام المباح، ولنا إليه رجعة بعد خوض غمار بقية المدونة، فمقام بسطه هنالك، حيث التراكيب المكررة، كما سيأتي.

فالتركيب محور، ذاك أول خيوط المعنى الممتدة منه، وثانيها ناظم بقية تراكيب النسق؛ عائد بها إليه، فالدلالة متحركة في اتجاهين، وهذا بيانه:

1– موضوعا وحدتي التركيب الثاني، أولهما حامل الرسالة المغتم؛ لرفض الثاني تصديقها.

2– التركيب الثالث، إثبات تهديدي للقدرة المطلقة للمرسِل على التحويل الإيجابي الإرغامي لموضوع الوحدة الثانية في التركيب السابق، مع وقف التنفيذ.

[1] محمد الغزالي: نحو تفسير موضوعيّ لسور القرآن الكريم. ص285.

3- يتقدم البناء المدلولي خطوة، فعدم تنفيذ التهديد السابق، يعني وجود بديل أنسب، وذا ما يقدمه التركيب الرابع، وهو أنّ الدفع إلى الإيمان يكون بوسيلة الإقناع، وفي ذلك ارتقاء عن المستوى المادي للمعجزة، والتي هي غير الرسالة، كما كان حال رسالات الرسل السابقين. فالمرسِل قد شاء " أن يجعل معجزة الرسالة الأخيرة شيئا لا ينفصل عن جوهرها... وجعل من أصول الدعوة وأساليب عرضها، البرهان الأكبر لدعوى الرسالة، والسّناد الأعظم لصدق صاحبها "[1].

بيد أنّ الو ح إ2 من التركيب تتضمن وجها آخر للدلالة، وهو أنّ الدليل – محتوى و ح إ1 – ، الذي تتابع متجددا متنوع الصور متواصلا، لم يحقّق المقصد الإبلاغي، فجاء التركيب الموالي، مساهما في إبلاغ شبكة البناء المدلولي تمامها.

4- وذلك بتأكيد محتوى و ح إ1 منه على الصّدود، فكان مضمون الوح إ2 التهديد التوعدي بالعقاب. وفي تأكيد التكذيب تيئيس، وذلك لا يعني – بداهة– توقيف حركة الرسالة، بل تدخل التسلية عنصرا مهما في الدائرة المقصدية للتركيب؛ فالتكذيب كان من دائرة خطاب مغلقة، وحين نستحضر العلاقات الدلالية بين التركيب الآني والأول والثالث؛ نلفي حركة البناء الدلالي متجهة إلى تمييز الرسالة الخاتمة عن الرسالات السابقة، التي كانت متميزة بخطابها الحصري الاصطفائي، وهذا يجعلها متسعة لدائرة الخطاب العالمي[2]. فالتكذيب قد كان من مشركي مكة، وهم أول المخاطبين بالرسالة، وليسوا الوحيدين. فالقرآن كتاب إنساني، " وكان نبي القرآن إنسانا كاملا، وكانت رسالة الإسلام، في موضوعها، وأهدافها، إنسانية بحتة "[3].

5- آخر التراكيب تتويجي للنسق، مهيء للنسق الموالي؛ فدوره مفصلي، تمتد حركة الدلالة منه في اتجاهين:

أ- نحو التركيب الأول، متقاطعا مع التركيب الرابع.

[1] محمّد الغزالي: عقيدة المسلم. در القلم، دمشق. ط10، 1420هـ 1999م. ص:193.
[2] محمّد أبو القاسم حاج حمد، منهجيّة القرآن المعرفيّة (أسلمة فلسفة العلوم الطّبيعيّة والإنسانيّة). دار الهادي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت. ط1، 1424هـ - 2003م. ص48.
[3] محمّد الغزالي: عقيدة المسلم. ص193.

ب- نحو النسق اللاحق.

فهو يقدم دليلا خارجيا سائقا إلى مقصد الرسالة: كتاب الطبيعة. وهو من الوضوح بحيث لا يبتغي توجيه النظر إليه، لكنه لم يسُقْ؛ لأنّ وسيلة السّوق (العقل) معطّلة، فهي بالتالي محتاجة إلى محرك لها. وفي هذا إثبات لضرورة إبقاء عملية تبليغ (آيات الكتاب المبين) متواصلة.

وتلك هي البنية الدلالية المركزية، الراسخة، المستمرة حية، قادرة على تحريك وسيلة النظر والرؤية (العقل)، وذلك ما كان على مستوى النص، وما يجب أن يكون خارجه.

هذا المحتوى المخدوم، هو سبب تميز ظاهر التركيب الأول بطابعه الاسمي المطلق من قيود الزمان، والمكان، ودائرة الخطاب المحدودة، وسبب مجيء بقية تراكيب النسق مقيدة به.

-الفصل الثاني-

-النسق الثاني-

-التعقيب-

هو الثاني تحليلا والثالث ترتيبا في النص، أي آخر الإنسان ومرتبته هذه تكسبه هو الآخر أهمية خاصة كسابقه، إذ يأتي بعد شوط طويل مر بنا خلاله القرآن الكريم على أقوام عديدين أو بعد أن كان قد بدأ حديثه عن القرآن الكريم يعود إليه في هذا التعقيب.

والملاحظ فيه أنه يمثل ثلاثة أضعاف المقدمة ففيه إطالة وتفصيل في الحديث عن القرآن، مع تفريع إلى مواضيع أخرى لها به علاقة كما سيتضح.

ويبدأ آخر قوله تعالى : " وإنه لتنزيل رب العالمين..." حتى آخر السورة.

وعدد آية ست وثلاثون، وبناء على هذا فإن تحليل كل تراكيبه – قياسا على سابقه – أمر غير ممكن منهجيا، لذا – وبدافع منهجي أيضا – سأحاول تقسيمه إلى مجموعات بناء على رابط دلالي بين تراكيب كل مجموعة بدرجة أولى وعلى روابط نحوية بدرجة ثانية، مع التركيز على الأشباه والنظائر وعلى الخصائص التركيبية العامة المشتركة، ممثلا بنماذج موضحة.

المجموعة الأولى :

قوله تعالى : " وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين".

هذه المجموعة فيها ما يجيز اعتبارها جملة واحدة مركبة تركيبا متعددا، وأول ما يشد الانتباه قبل ذلك، ويدفع إلى الوقوف عنده : الواو" في أولها والذي يؤدي دور المعضلة والإخضاع والاشتراك النحوي والدلالي ويأتي توظيفه في قمة البلاغة والإعجاز البياني، فهو يعطف الجملة بعده بالجمل المحكية فيها أخبار الرسل[1]، غير أن دلالة ما بعده[2] يجعله لا يقف عنده عند هذه الوظيفة فحسب، وهذا الحد فقط، بل يضم إلى الجمل المعطوفة مطلع السورة[3]، وبذلك عاطفا لما بعده على كل ما سبق من السورة.

أما تراكيب المجموعة، فهي في بنياتها السطحية ثلاث جمل.

1- و " إنه لتنزيل رب العالمين".

2- " نزل به الروح الأمين على قلبك".

3- " لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين".

فهي من جهة نظر نحوية ثلاث جمل بسيطة موسعة : اثنتان اسميتان منسوختان، والثالثة فعلية. غير أن النظرة المتفحصة المتصفحة السابرة أغوار بنياتها العميقة تكتشف التضافر التركيبي الدلالي.

[1] التحرير والتنوير، ص 188

[2]، 3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 391/5

البنية السطحية

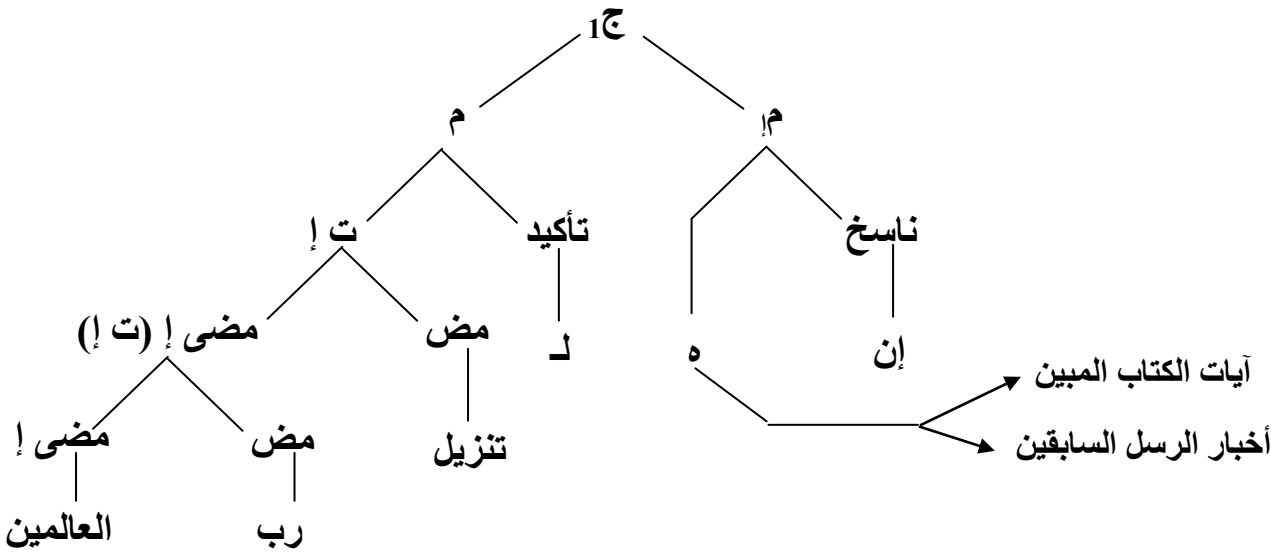

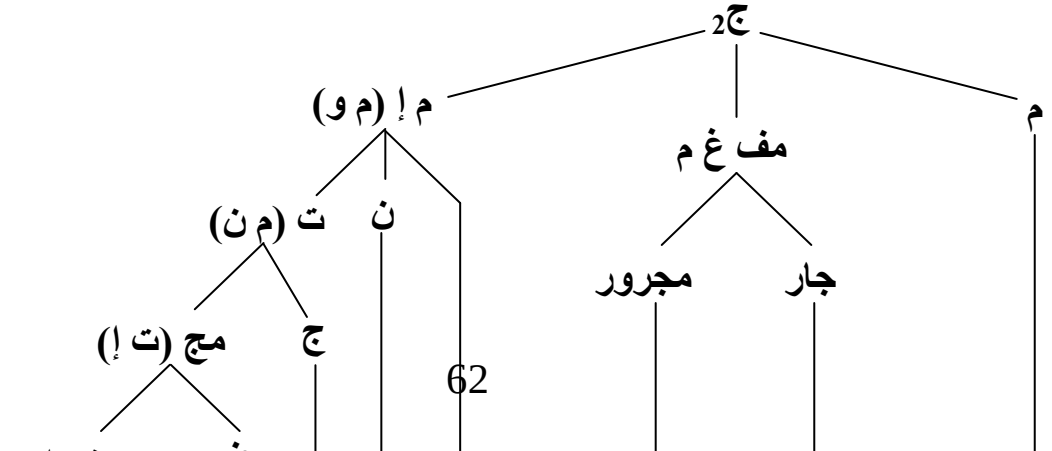

البنية العميقة

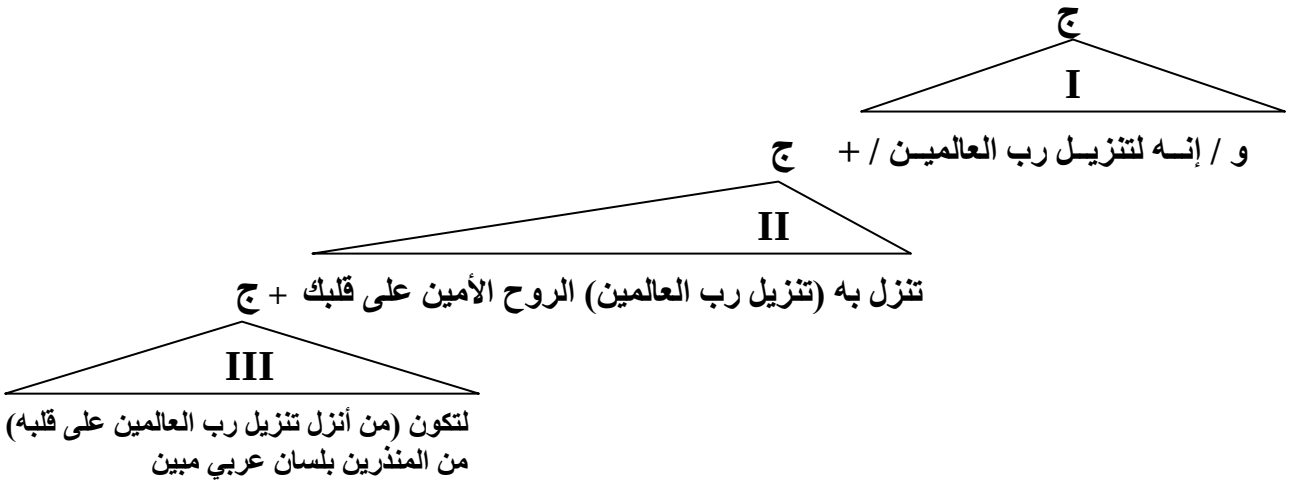

فملاحظة العلاقات الرابطة بين " و ح إ" المشكلة للبناء الهيكلي الظاهراتي للتركيب تجدوله في خانة (ج م ت إ). وهذا يجعل محتواه المدلولي واحدا تتضافر الوحدات الإسنادية في تشكيله بعناصرها اللغوية المتفاعلة أفقيا، والمنتقاة بدقة بليغة عموديا، هذه العناصر التي كان لها دور في تعقد الوحدات الإسنادية شكليا، وذلك بتمديدها بواسطة مكوناتها السابقة واللاحقة لطرفي الإسناد، مما يؤدي إلى الدقة المدلولية.

ويتضح الترابط بين الوحدات من خلال العلاقات الوظيفية بينها، والمتجسدة في شكلين من الروابط: لفظي ودلالي، أما اللفظي فتمثل في: عنصر (ض) ولام التعليل + (ض) و ح إ 2 و3. أما الروابط الدلالية فتمثلت في عملية الانتقال من المطلق إلى المحدود المؤطر في تدرج بديع من الأعلى إلى الأدنى، بين فضاءين (السماء والأرض) تتداخل عدة أطراف في تشكيله، والمدرّج الآتي يوضح ذلك:

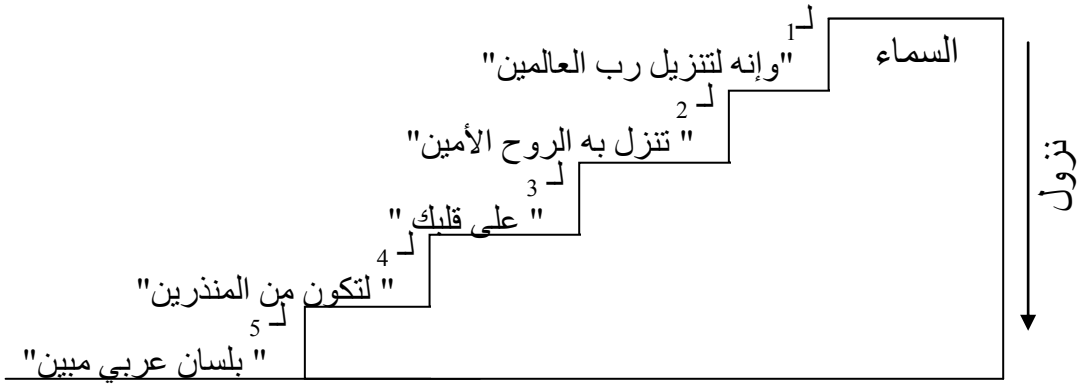

أما صفتا الإطلاق والتحديد، فإنهما كامنتان في المكونات المباشرة للتركيب.

المكونات المباشرة: يمكن حصرها في الجدول الآتي:

و ح إ	أ	م	نوعه	م إ	نوعه	مت	نوعه
1	إن + اللام	تنزيل	إظ (مصدر)	الهاء	ض ت	رب العالمين	م إ ض
2	/	نزل	ف م	الروح	إج (ذات)	به + الأمين + على قلبك	م ن + ن + (م ن +م إض)
3	لام التعليل + ناسخ (تكون)	من المنذرين	م ن	ø(أنت)	ض ن	بلسان+ عربي+ مبين	م ف+ ن×2

المسند: نلاحظ في المسانيد التوظيف المعجز الذي يثبت ما وصف به الخطاب القرآني نفسه (الإبانة).

فالأول: يُظهر دقة الاختيار من بين بدائل عدة على المستوى الاستبدالي العمودي من مثل: "وحي"، أو "كتاب"، أو "قرآن"، أو "ذكر"، أو "آيات"، وذلك لأن فيه من الخصائص ما لا يوجد في سواه لتأدية الوظائف الدلالية والتواصلية، ولتحقيق الأثر المراد في كيان المتلقي، إلى جانب الصبغة الأدبية الإعجازية للبيان القرآني، والذي يبدأ من انتقاء العنصر اللغوي وموضعته في سياق الكلام. فهذا العنصر ورد في صورة مركبة في شكل ثنائيتين (م إ ض ×2) علاقة مباشرة بين العناصر جعلها تكوّن وحدة يؤدي الفصل بينها إلى خلل تركيبي دلالي، كما أكسبه دقة مدلولية ووضوحا.

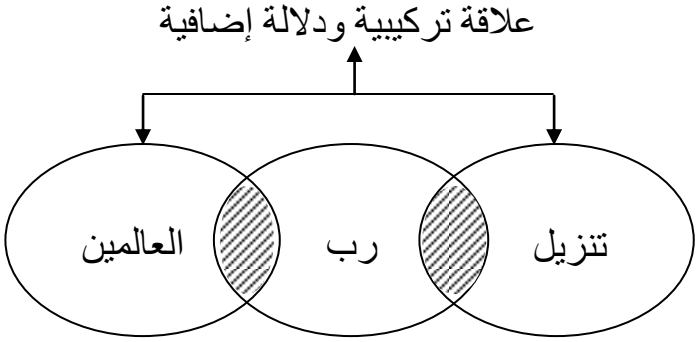

ثانية الخصائص التركيبية مجيئه مصادرا بمعنى المفعول، عدل عنه[1] التعبير القرآني إلى الأول لغرض دلالي هو المبالغة في وصفه، حتى كأن المنزّل هو التنزيل نفسه[2].

أو المقترن بزمن مطلق مع

علمه وحكمته وعظيم قدرته، وعزاهم بنعمته[3]. هذه الخصائص تميل سيميائيا إلى مصدره غير الأرضي. وبالتالي تفرده بتجوهر زمنه وبتنزهه عن التعرض للتغير المادي، أي أنه يتفرد بسماويته[4]، فجاء جامعا لكونه ختاما، ومجزا لكونه تماما[5].

المسند إليه:

ورد في صورة ضمير عائده أحد اثنين: إما الآيات الكريمة السابقة الناطقة بالقصص المحكية، أو القرآن الذي هي منه[6]. وهو بذلك قد أدى إلى اقتصاد بنائي وتواصلي وإلى ضغط وتكثيف دلالي. كما دعّم الوظيفة المفصلية لحرف العطف السابق له.

الأدوات: (إن+اللام): جاءت متلائمة والموضعة السياقية للجملة ومناسبة لمحتواها الدلالي ولطابعها الاسمي المتسم بالثبات، وخادمة لغاياتها الإبلاغية التواصلية؟، ذلك أن الخبر المدعم بأكثر من أداة من أدوات توكيد الكلام يسمى خبرا إنكاريا، ويخاطب به الجاحد المنكر محتواه[7].

هذه الخصائص للمكونات التركيبية الدلالية لهذه الجملة مجتمعة تصل بنا إلى اعتبارها ذات طبيعة انفتاحية متحولة تبقيها قابلة للقراءة والتفاعل، وحين نقرن بها موضعتها في سياق النص يتضح النسيج البديع المعجز، للخطاب القرآني، والأدبية الطافحة بالجمال والجلال. كما أنها تتقاطع عند أكثر من نقطة مع الجملة الافتتاحية في النسق الأول، وهذا يدعم مقبولية الإجراء المنهجي المتمثل في اتباع النسق الأول بالثالث في التحليل. و ح إ 2 تتحلق في عناصر هذه الوحدة حول المسند لطابعه الفعلي الذي استطاع به جذب بقية العناصر إليه، وهذا يؤدي دورا فعالا في تشكيل المحتوى الباطني للجملة. فبغيرها يغدو الفعل عنصرا لا لون

---

[1]- وهذا من خصاص العربية، فهو تبادل للصيغ أو تعويض كما سماه السيوطي، انظر في ذلك: المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرح وضبط وتصحيح وعنونة للمواضيع وتعليق: محمد أحمد جاد الطولي ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية. صيدا، بيروت-1408هـ. 1987م. ج 1/ص 337.

[2]- الكشاف 182 + التحرير والتنوير 188.

[3]- "لا يدل على زمن مطلقا (ماض أو حال أو مستقبل)": النحو الوافي ج3/هامش ص 207 مع تعليل مفصل + ج3/ص212.

[4]- "م لمصدر يدل على ومن مطلق، ويتعين لأحد الأزمنة الثلاثة بالقرائن السياقية والحالية". انظر الأنصاف 237/1-أسرار العربية 70-اللمع ص 131- شرح المفصل 2/7 (3) في معرفة النص: د.؟؟؟؟ العيد ص 189.

[5]- نظم الدرر 391/5.

[6]- تفسير أبي السعود، ص 263 (6) علم المعاني: د.عبد العزيز عتيق. دار لاالنهضة العربية. بيروت.1985. ص56.

[7] علم المعاني : د. عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية، بيروت. 1985

له، وتظل حركيته غير ذات جدوى. وبالتالي فهذه العناصر تمارس عملية إكمال البناء تركيبيا ودلاليا مع تدقيق وتوسيع وإثراء خاصة بالمكونات السابقة لطرفي الإسناد واللاحقة بهما

– بالجملة كلها عامة، فيؤدي وظيفة بيانية له، كما يقرن الحدث فيه بزمنية محددة، وتتضح لعلاقة النحوية الدلالية بين المسندين من خلال (م ن)، المتعلق بالفعل، إذ المسند الأول هو عائد ضميره، والمزج بين زمنيته ومضمونه يحيل إلى معنى التنجيم والتدريج[1]، كل هذا يبين دقة اختيار هذا العنصر، وجدير بالذكر أن الفعل قد ورد في أكثر من قراءة مخففا، في قراءات أخرى بالتشديد، فيتعدى في الوحة الأولى إلى مفعول غير مباشر، وفي لثاني إلى مفعول مباشر[2].

– حين ننتقل إلى ثاني طرفي الإسناد المسند إليه : نجد أن الجملة قد خضعت لعملية تحويلية في تقديم (م ن) عليه، وهو تحويل اختياري[3].

م + ب + جـ ⇐ أ + جـ + ب

ودلالة الجملة تكشف محورية المجرور (ض ت) العائدة على التنزيل، لذلك قدم على الفاعل الذي هو وسيلة أو واسطة التنزيل، والباء الدالة على المصاحبة[4] أو بمعنى أنزله[5] أي للتعدية، للتعدية، تثبيت ذلك.

أما المسند فقد لاءم دلاليا ومورفولوجيا موضعته في محيط الكلام وانتقاءه، إذ أن آداء مهمة التنزول بتنزيل رب العالمين تفرض ميزات خاصة، فعدل الخطاب القرآني عن تسميته باسمه (جبريل عليه السلام) إلى احدى ميزاته اللائمة فسماه بها (الروح)، وهي دالة على أنه *** خير محض[6]. وفي تعيينه *** التعريف " ال" تعزيز لهذا المحتوى الدلالي الذي يتدعم بعنصر النعت المتصف مورفولوجيا بخاصتين :

1– التحديد (+ ال) 2– الاستشقاق (صفة مشبهة)[7] الدالان على تميزه ودوام ملابسة الصفة للموصوف، وهي تشير إلى كونه معصوما من كل دنس، فلا يمكن منه خيانة.

---

[1] نظم الدرر 391/5.

[2] انظر البحر المحيط ص 40 والكشاف ص 182 والتحرير والتنوير ص 188.

[3] انظر : قواعد تحويلية للغة العربية : د. محمد علي الخولي. دار المريخ الرياض. ط1/1981، ص 39 وكذا التحويلي (35) ص174.

[4] التحرير والتنوير ص 189.

[5] تفسير أبي السعود، ص 264.

[6] نظم الدرر 391/5

[7] " الصفة المشبهة : ما اشتق من فعل لازم لمن قام به على معنى الثبوت" : شرح الكافية في النحو الاسترأبادي، دار الكتب العلمية، بيروت. دت.205/2.

ويأتي مركب النسبة (على قلبك) ليضيف إلى الحلقة المتكونة حول المسند مكونا دلاليا يمارس وظيفة التوسيع والإغناء للبنية الدلالية للوحدة، والإتمام لدورتها، وتكتشف عناصره التجانس البديع الذي بدأ من أول عناصر التركيب، كماأنه ساهم في إضفاء التناسق المدلولي على التركيب من خلال التقابل بين المطلق والمقيد، مع تحديد موضع الاستقرار الفعل، ذلك أن تحديد هذا الموضع وصفته يوصل إلى تحديد مدى أهليته لنقله وتبليغه وسبب إنزاله عليه.

فالمفعول غير المباشر (قلبك) عدي إليه الفعل بواسطة

الاستعلاء المجازي[1]، ذلك أن الإنزال في اللغة بمعنى تحويل الشيء من علي إلى أسفل[2] وهو متلائم نحويا ودلاليا مع الفعل والمفعول غير المباشر، إذ أنه يبين طبيعة العلاقة المولدة بين العنصرين : التمكن، فنلحظ فيه هذا التعدد الدلالي الذي يجعل استبداله بملفوظ آخر هرقا لأحكام النسج وهلهلة للتظافر وهدما للتناسق.

ويأتي عنصر المفعول غير المباشر المعين بالمضاف إليه المتمظهر في شكل ضمير خطاب مذكر، فيتحدث محتواه الباطني بمباشرة العلاقة بين طرفي التركيب الإضافي. هذا المحتوى تمثل في الاحتواء الكامل للفعل، ودل على تمام أهليته الاستقبال التنزيل.

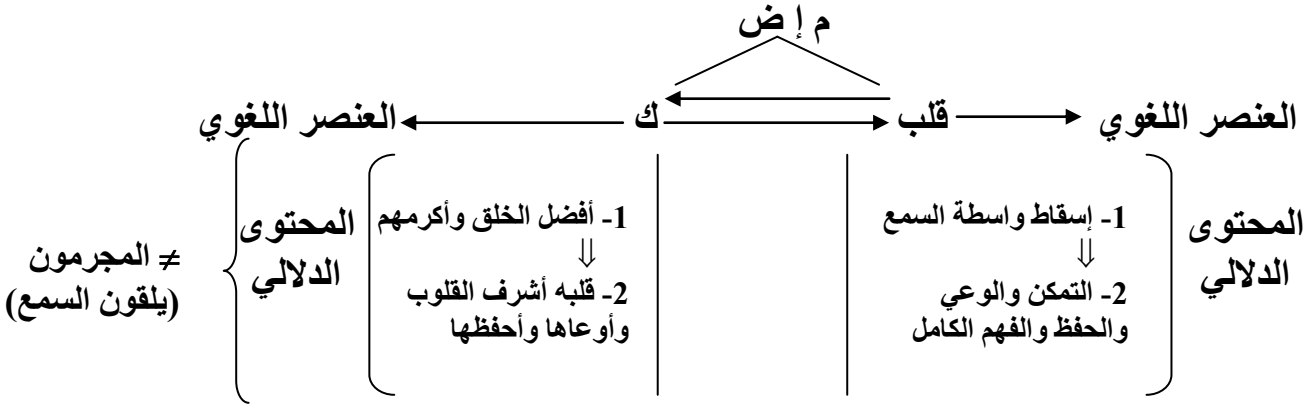

وانتقاء هذه الوسائط الطاهرة النقية، البعيدة عن كل نقص، وبطريقة في النقل تكشف حرصا عظيما على بقائه على نقائه (به، على) منذ مصدره (رب العالمين) ومحطة انطلاقه (السماء)

[1] التحرير والتنوير ص 189.
[2] روح المعاني، ص 124.

: " تنزيل الروح الأمين" إلى غاية محطته الأرضية (قلب الرسول عليه الصلاة والسلام). لا بد أن يكون كل ذلك لغاية عظيمة جليلة.

وهذا ما جاءت الوحدة الأخيرة : و ح إ ذ : لتبينه، وذلك بدأت بقرينة التعليل : للام[1] المانحة الوحدة تأشيرة الدخول إلى عالم النص وجنسيته، لأن إقامتها فيه إيجابية مستوياتنا، يؤدي أبعادها خارج حدوده إلى خلل غير خاف.

وقد ورد فيها المسند إليه منظهرا في أداة النسخ الداخلة على الجملة والتي أدت وظيفتين متداخلتين : تركيبية ودلالية.

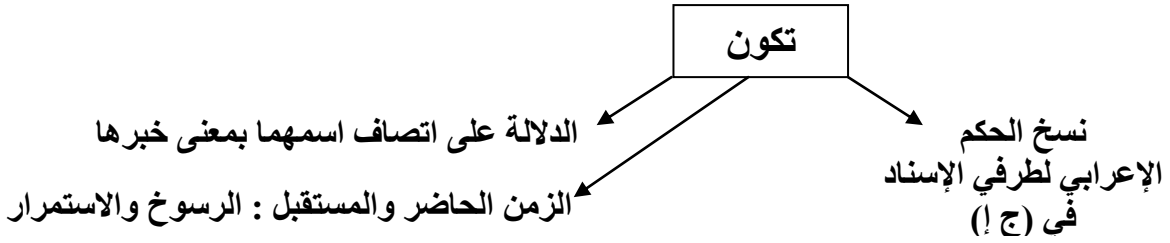

2

يأتي السند توضيح وتدقيق مهمة السند إليه، فقد جاء مركب نسبة.

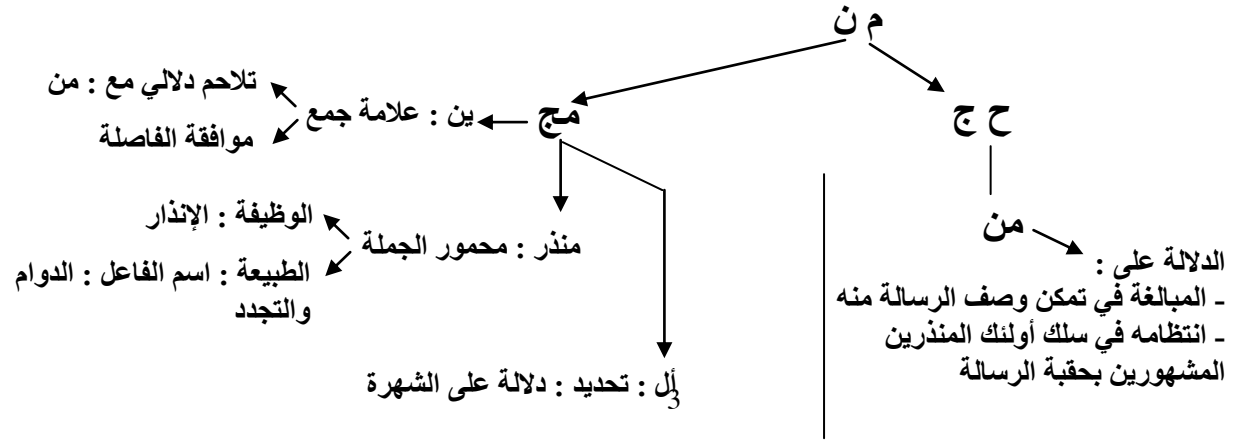

3

[1] وليست لام الصيرورة، وتسمى لام العاقبة ولام المآل. انظر شرح قطر الندى وبل الصدى لأبي هشام : ومعه كتاب : سبيل الهدى بتحقيق وشرح قطر الندى لمحي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت، 1409 هـ - 1988. ص 74، هامش رقم 01.

[2] " ويكون تدل على ما أنت فيه من الزمن وما سيأتي" : الأصول في النحو : ابن سراج. تحقيق عبد المحسن الفتلي. مطبعة نعمان- النجف الأشرف، بغداد 1973. ج1 / 93-94

[3] التحرير والتنوير ص 1988

1

أما انتقاء عنصر (المنذرين) في إطار مركب النسبة دون سائر البدائل المحتملة، يجعله يمارس المجانسة في محيط الكلام بين هذا النسق وسابقيه دلاليا، وأما حصر علة الإنزال في جانب الوظيفة الإخبارية للرسالة (الإنذار) دون سواه، لأنه يتلاءم والجو العام للسورة، وللإيماء بأن مدار كونه في جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد إنزاله عليه صلى الله عليه وسلم، لا إنزاله باللسان العربي[2]، لعله لهذه العلة عمد الخطاب القرآني إلى عملية تحويلية بتقديم الجملة الاسمية المنسوخة السابقة على مركب النسبة اللاحق.

يمكن حصر ذلك في سببين : 1 أهميتها. 2- وظيفتها التبليغية.

مركب النسبة : - وقد ورد موسعا بلاحقتين من جنس واحد (ن × 2)، وهو نفسه عنصر لاحق موسع لـ (نزل به) :

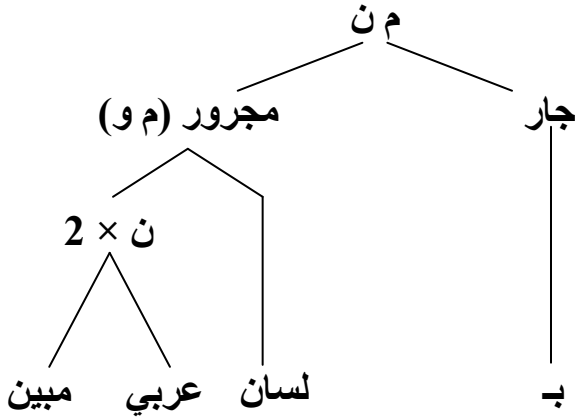

لها قيمتها مع ما يضيفه عنصر النعت المركب (ن × 2) من إبانة مدلولية وتوضيح للإبهام والمجهول. وقد وردت المكونات الثلاث غير محددة (- ال) دلالة على التعدد[3]، فقد وضحت تمكنه من قبله دفعا لتهمة الخلل في البيان ونقص الشأن[4]، وذلك أن الباء فيه للملابسة،

[1] روح المعاني : ص 125.
[2] تفسير أبي مسعود. ص 264.
[3] الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني : د. جعفر دك الباب. مطبعة الجليل، دمشق، ط1/ 1400 هـ - 1980 م ص 128.
[4] تفسير أبي مسعود. ص 264.

ولسان حال من الضمير في (نزل به)[1]. أما **** (– ال) فقد عبر تعدده عن واقع فعلي (لسان)، ومكن إضافة إلى ذلك من التحديد النوعي للمنعوت (عربي + مبين) ذلك أن إنزاله بغير اللسان العربي يؤدي إلى خلل في التبليغ[2]. كما أن اللسان العربي فيه الحوشي والمشكل على كثير من العرب[3].

ب– المجموعة الثانية : وهي الآتية :

/ وإنه لفي زبر الأولين / أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل /

تتكون هذه المجموعة من جملية :

– الأولى : اسمية بسيطة موسعة خبرية

– الثانية : اسمية منسوخة مركبة تركيب إفراد، استفهامية.

تمثل هذه المجموعة الثانية في محيط الكلام، جولة جديدة في إطار الاستدلال على صحة المصدر الإلهي للقرآن، وصدق صفة الإرسال، من باب أن الاستكثار من الأدلة مما يسكن النفوس وتطمئن به القلوب[4].

وبعد الدليل الداخلي او الذاتي في المجموعة الأولى، انتقل إلى دليل موضوعي خارجي متفق على صحته.

أ– الجملة الأولى : و / وإنه لفي زبر الأولين /

متشاكلة مع الجملة الولى في المجموعة الأولى تركيبيا وهيكليا، والظاهر أنها تباينها فقط في نوع محمولها. ويفسر التشاكل بوحدة السياق، ولذلك وردت موصولة بها لا لمجرد الجمع والرص، بل هما مشدودتان في اتجاه داخلي تلتقيان في بؤرة واحدة هي " الواو" التي هي محور الحركة ومنها يحدث التوتر بين الطرفين[5].

الواو يكون إذا توسطت الجملتان بين كمال الاتصال وكمال الانفصال[6]، فمظهر الاتصال كونهما للاستدلال على إلهية القرآن وحقية الرسالة، مخاطبين منكرا جاحدا، يتمظهر ذلك في

---

[1] وقد جوز العكبري تعلق الباء بالمنذرين في أحد وجهين : انظر : " إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن" : دار الكتب العلمية، بيروت. ط1/1399 هـ-1979 م. ح2/ ص 170 . وذهب إليه أيضا الزمخشري في الكشاف أول مذهبين، غير أنه رجح تعليقه بـ (نزل به) بعد تأويل. انظر : الكشاف 183/4.

[2] الكشاف 183/4.

[3] نظم الدرر، ص 392.

[4] نفسه.

[5] انظر : جدليةالإفراد والتركيب، ص179.

[6] مفتاح العلوم : الشكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت. د،ت، ص 109

توظيف " إن" و " اللام المزحلقة"، لأن الحاجة إلى التأكيد أش، والخبر إلى التثبيت أحوج، ويمكن توسيع مجال التلقي هنا ليشمل السامع الذي قد كان منه الإنكار، فينحصر زمكانا في كفار قريش، وكذلك السامعين الذين يكون الإنكار يعلم أو يجري أنه يكون منهم ، وثان هما فئتا السامعين المنكرين اللتان حددهما الجرجاني[1]. فيتضح على كل متلق منكر دون تحديد مع ثانية الفئتين.

أما مظهر الانفصال فيبدو في صورتين :

1- المحتوى الدلالي للعناصر المشتركة : ونقصد به المسند إليه، والذي ورد في كلتا الجملتين في صورة ضمير غيبية مفرد ملتصق بأداة النسخ (الهاء)، غير أن مجموله في المستوى الإخباري المتغير للجملة في إخباره عن الموضوع أفاد السامع شيئا جديدا، لأنه لم يذكر من قبل في السياق فكان خبرا ابتدائيا[2]، وهذه الجدة المدلولية وجهت الضمير في رجعته نحو عائد بمعالم محددة وصفات مميزة هو غيره في الجملة، وهي غيرها فيه. فالضمير مؤول بالعودة على اسم القرآن ووصفه الذي يعنيه[3] : وفي تأويل آخر : أصوله وقصصه وكثير من أمهات فروعه[4]. وقيل : ذكر القرآن، على حذف مضاف[5]، ويبدو عنصر " الضمير" غير المحدد العائد مكتنزا دلاليا فيه تسامح " لأن نفس السامع تتسع في الضن والحساب، وكل معلوم هين لكونه محصورا"[6].

أما نواة الجملة فقد ورد في صورة مركبة (من + مض إ) أفادته دقة مدلولية ووضوحا إبلاغيا، فالجار دال على الظرفية المكانية[7]، أما المجرور المضاف فقد عدل فيه التعبير القرآني عن العنصر المشهور المتداول (كتب) إلى ما تناوله ابن قتيبة في غريب القرآن[8]، لدلالته الخاصة المتناسبة ومقام الاستدلال الذي يفرض قوة ومتانة الدليل شكلا ومضمونا، فمعناه الكتاب الذي أتقنت كتابته[9]، وكأني به يوجههم إلى الصحيح منها دون المحرف الذي هو بهذا التأويل غير متقن الكتابة.

---

[1] انظر دلائل الإعجاز، هومة للنشر، الجزائر، 1991، ص 298.
[2] انظر تعريف الموضوع (الأساس) والمحمول (النواة) والخبر الابتدائي : الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص ص 119 ← 130.
[3] التحرير والتنوير ص 191.
[4] نظم الدرر
[5] روح المعاني ص 165
[6] ابن رشيق : العمدة في صناعة الشعر ونقده 168/1 ؟
[7] مغني اللبيب 284/1
[8] غريب القرآن. ص37.
[9] المعجم العربي الأساسي، مادة : ز بر ص 568

أما عنصر (المض إ) فقد فرضته السلامة النحوية والاكتمال الدلالي والتواصلي، وقد ختم بصور فيهم الجمع (ين) دلالة على أن ما يعضد صحة مصدره كتب أقوام كثيرين، وذهب القراء إلى معناه : " لفي بعض زبر الولين"[1]، ودل معناه (الأولين) على البعد والسبق، وبالتالي وبالتالي الصدق، كل هذلا مع موافقة الفاصلة.

1- الرتبة : فكلاهما يمثل الآية السادسة في مجموعته.

2- الجدولة البلاغية المتطابقة : جملة طلبية استفهامية، غرضها البلاغي، التقريع والتوبيخ، مع زيادة التقرير في الثانية[2].

3- الأدوات السابقة : هي نفسها : " واو العطف"، " همزة الاستفهام"، "لم النفاية الجازمة الثالبة".

4- الفعل المضارع المجزوم: يروا – يكن.

5- تغيير الفاصلة : من النون في التراكيب السابقة جميعها (من الآية الأولى إلى الخامسة في كلا النسقين) إلى الميم في الأول واللام في الثاني.

6- النبرة النغمية الصاعدة : التي تميزها تثنيتها علىالسوابق، مع تقارب في عدد المقاطع الصوتية : اثنان وعشرون (22) مقطعا في الأولى، وأربعة وعشرون (24) مقطعا في الثانية. ونجد تطابقا بينهما أيضا في الكم الصوتي، إذ تتكوننان من اثنين وثلاثين (32) موزعة كما يأتي :

ج1 : ستة وعشرون حرفا مجهورا وستة حروف مهموسة.

ج2 : سبعة وعشرون حرفا مجهورا وخمسة خروف مهموسة.

مع التنبيه إلى أن الجهر من مظاهر قوة الحرف أما الهمس فهو من علامات ضعفه[3]. وهي جملة اسمية منسوخة، مركبة تركيب إفراد.

م إ : عدل به الخطاب القرآني عن خاصيتين من خصائصه هما :

1- الاسمية والإفراد. 2- التقدم على المسند.

---

[1] أبو زكراي الفراء : معاني القرآن. دار الكتب العلمية، ط 3/ 1403 هـ - 1983. ج2/284 .

[2] رسائل لم يحملها البريد : عبد الرؤوف اللبدي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ع 53/ س 14 المحرم، صفر، ربيع الأول 1402 هـ ص 205.

[3] الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : مكي بن أبي طالب، تحقيق : د. أحمد حسن فرحات، دمشق 139 هـ- 1973م. ص 93. عن : أصوات العربية والقرآن الكريم : منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب : عبد الله ربيع محمود – مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض – ع 10/ 1400 هـ- 1980 م ص 253.

فجاء مصدرا مؤولا (أن + فعل مضارع)، وذلك أخص وأعرف وأوضح من ذكر المصدر[1]، فالفعل دال على التجدد والاستمرار، فعلم بني إسرائيل مستمر لم ينقطع، يمكن للمشركين أن يسألوهم، وجاء فاعله مخصصا لفئة معينة دالا على دقة الاختيار وبالتالي التدقيق المدلولي، ثم حدد بإضافته إلى بني إسرائيل.

هذا الـ (مض إ) الذي ورد هو الآخر من عنصرين متلازمين نحويا ودلاليا (مر إض) كسابقه. واختيار (بني إسرائيل) دون (اليهود) لما في الأول من معاني التكريم، بدليل توظيف هذا المركب الإضافي في أغلب المواضع في القرآن بهذا المعنى، عكس الثاني الذي ارتبط فيه بمعنى سلبي[2].

أما تقديم الـ (م) عليه، فقد فرضه مقام الاستدلال، م لمحتوى المدلولي للمسند (آية) يؤيد ذلك، وروده (– ال) دلالة على أنه ليس الدليل الوحيد، فهو واحد من كثرة.

وأما عنصر المفعول : فقد تمظهر في صورة (ض) أدى إلى إيجاز بليغ، وإغناء تركيبي وإثراء دلالي، ويمكن توضيح ذلك بما يأتي :

أن يعلم (o)

1- أن يعلم أنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك.

2- أن يعلم أنه في زبر الأولين

3

– **المتممات** : – أ– السوابق : –1– الرابط : الواو المؤخر إجباريا عن الهمزة، لأن لها حق الصدارة ويفيد العطف والإشراك بين الجملتين : السابقة والآتية، وذلك أنهما متصلتان من حيث كونهما جيء بهما للاستدلال، ومنقطعتان إذ تزيد الثانية دليلا آخر جديدا، إذافة إلى اختلافهما إخبارا وإنشاء.

[1] نظم الدرر، ص 393.
[2] أنظر في هذا : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي، ص 33، وص : 775.
[3] التحرير والتنوير، ص : 192.

2- الهمزة : سبق الحديث، إضافة إلى أن معنى التقريع والتوبيخ فيها، يتقدم بجملتها درجة عن سابقتها في أسلوب الاستدلال، بحيث يجعلها في قمة هذه المجموعة، بدليل التيئيس المصرح به في لاحقتها.

3- لم يكن : جيء بفعل الكون مضارعا منفيا، دلالة على استقرار اتصاف المسند إليه بالمسند، لكن في الماضي، بإجبار ركيز من " لم". وهذا يتلاءم وما دل عليه معنى التقريع والتوبيخ في " الهمزة". فيتكاتف الجميع لتشكيل بناء دلالي موحد، مركب من ألوان متمازجة.

ب- اللواحق : تمثلت في مركب النسبة " لهم". ورغم خانته التي ينتمي إليها، إلا أنه يأتي في الأهمية قبل طرفي الإسناد، فهو المرسل إليه في العملية التواصلية، وبغيره تتبخر الرسالة في الفراغ، ولذلك قدم عليهما، وصياغة الـ (م إ) في صورة مصدر مؤول سبب ثان لذلك[1]. وقد جاء المجرور في شكل ضمير جماعة غائبين عائدة معلوم من السياق وتوظيف الضمير دون التصريح بالاسم يحيل سيميائيا إلى معاني تهوين الشأن كما سبق في النسق الأول.

II- المجموعة الثانية : ما تبقى من التراكيب.

وتأتي جميعها في سياق النفي :

1- نفي إيمانهم (المشركون) مع ما تفرع ونتج عنه وناسبه.

2-2- نفي أن يكون القرآن مما تنزلت به الشياطين، وهو آخر الأدلة الخاصة بالقرآن.

3- النفي الضمني لصفة الشعر عنه – صلى الله عليه وسلم –.

أما آخر التراكيب فيحتاج إلى وقفة خاصة.

وسنحاول تتبع خصائص هذه المجموعة.

ومن حيث الهياكل البنائية لجدولة الجملية : يبدو الفصل عسيرا، لذلك أن التلاحكم والتظافر التركيبي والدلالي والتمام البلاغي يمد ويوسع بعض التراكيب إلى درجة جعل الوصف والتاحليل عسيرين.

لذلك سنلجأ إلى تقسيمها إلى مجموعتين :

II-1- من قوله تعالى " ولو نزلناه" إلى قوله " وما كنا***"

[1] قال النحاة بأنه لم يرد في الكلام الفصيح وقوع " أن" المصدرية بنوعيها (المخففة والناصبة للمضارع) مع صلتها بعد " كان" أو "إن" الناسختين، بغير فاصل من خبرها، انظر : النحو الوافي، عباس حسن. ج1/410. هامش رقم (4).

1- أما الجملة الأولى و / لو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين / فهي متلازمة طرفها الأول مركب تركيب إفراد.

2- / كذلك سلكناه في قلوب المجرمين / لا يؤمنون به حتى يروا الغذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون/

فهي جملة مركبة تركيبا متعددا تحتوي جملة متلازمة / لا يؤمنون به حتى يرو العذاب الأليم /

3- / أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون " مركبة تركيبا متعددا، تحتوي جملة متلازمة،

4- و / ما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون / جملة متلازمة.

5- ذكرى: جملة اسمية بسيطة مجردة محذوفة المبتدأ.

6- و / ما كنا ظالمين / اسمية بسيطة موسعة.

أ- نلاحظ أن التركيبين الثاني والثالث، يتميزان بالتعدد والتقدم في درجة التعقد، فأولهما يتكون من ثماني وحدات إسنادية، أما الثاني فمن تسع وحدات ثم ينزل العدد إلى ثلاث وحدات في التركيب الأول، فالأخير في شكل ج ب هو، فما قبل الأخير في شكل ج ب مج، والرسم البياني الآتي يوضح ذلك.

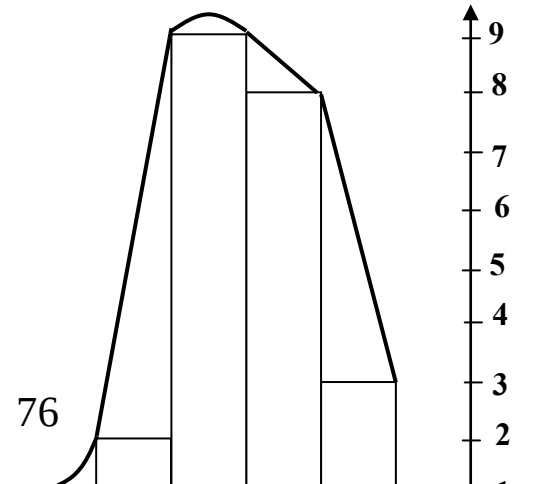

تبدو درجة التعقد في شكل خط بياني صاعد، يبلغ قمته عند التركيب الثالث، ثم يأتي نازلا.

ب- نجد تناسبا طرديا بين الطابع الفعلي والتعقد، والطابع الاسمي والبساطة من جهة ثانية. بدليل أن الأفعال جميعها موجودة في الحركية منعدمة في البسيطة، وهذا يكشف محورية الفعل ودوره في تركيبة الجملة، وتحكمه في طبيعتها، كما يتبن أثره الإبلاغي، وتلوينه الخطاب بما يتلاءم والمقام.

جـ- المتلازمة هي الأكثر عددا، فالحركية تركيب تعدد فبقية الأنواع.

أ- المتلازمة : خصائصها : تتشاكل في بنائها الهيكلي، حال كل هيكل تلازمي، مع ما لذلك من آثار على مستوى التناسق، ثم التناثر والتقابل المدلولي، والتلاؤم بين الوظائف المتنافرة.

- بين الولى والثالثة تشاكل من ناحية الأداة، وبالتالي نوع التلازم (شرط)، وتتباينان من ناحية الوحدات، الأنساوية (ذكر الجواب في الولى وحذفه في الثالثة) :

1 = أداة + شرط موسع[1] + ج س

3 = أداة + شرط موسع[2] + ج ش Ø[2]

- بين الثانية والرابعة تتشاكل هيكلي : - أداة (نفي) + و ح إ + أداة + و ح إ

وتباين من جهة الأداة الثانية وبالتالي العلاقة الرابطة بين جزئي الهيكل التلازمي :

---

[1] + [2] : انظر في توسيع الجملة الشرطية بالعطف : الجملة الشرطية عند النحاة العرب : أبو أوس إبراهيم الشمسان، مطابع الدجوي. عابدين. مصر ط1. 1401 هـ-1981 م. ص 473.

[2] حذف الجواب قال به الشيخ ابن عاشور، ودل عليه ما سد مسند معقولي رأيت، أما جملة الشرط فمعترضة، التحرير والتنوير. ص 196.

2- حتى ← غاية.

4- إلا ← استثناء.

ذلك أنه وإن اتفق الهيكلان في اولى الأواتين، فإن العلاقة لا تتضح إلا بتظافر كلتا الأداتين في كل تركيب.

ونلاحظ بين الهيكلين الوليين والأخيرين تباينا على مستويين ← الوحدات الإسنادية، ← الأدوات

وتشاكلا بين الأولى والأخيرة في الاستقلال، وبين الثاني والثالث في عدمه.

ويمكن تلخيص ذاك في الجدول التوضيحي الآتي : تشاكل / ----← تباين

البناء الهيكلي = تلازم	الأداة + العلاقة	وحدات الهيكل	الأدوات + الو ح. إ	الاستقلال وعدمه
← 1 + 2 + 3 + 4	1 ← 3 (شرط) 2 ← 4	1 - - - - - 3 2 ← 4	1 ← 3 2 ← 4	1 ← 3 (استقلال) 2 ← 4 (عدمه)

يظهرالجدول التناسق البديع، والتوزيع الهندسي الرائع الدقيق، الذي يكشف جانبا من توظيف الخطاب القرآني المعجز لجميع طاقات اللغة، ليصل إلى تحقيق الأثر المبتغى من الرسالة في نفس المتلقي، كما يدل، بلا ريب، على جمعه بين صفتي الجلال والجمال، وتكفي الإشارة إلى نتيجة واحدة ينبئنيها الجدول، هي أن مستويات التشاكل بين المتباعدين، أكثر منها بين المتقاربين.

2- المركبة تركيبا متعددا : من حيث الترتيب، هما : الثانية والثالثة، ولأن كان التشاكل أظهر في المتلازمة، فهو غيره في هذا النوع، إذ يغلب فيها التباين[1]، الذي نلخصه في النقاط الآتية :

[1] تتبع مظاهر التشاكل والتباين في هذه المرحلة من الوصف، يركز على الهياكل المكونة للتراكيب دون المكونات المباشرة.

أ- توزيع الوحدات الإسنادية :

1- ج ب + مت + ج ب + م ت إ × ح

2- ج ب + م ت ت + اعتراض [مت + م ت ت] + م ت ت

ف + فا + [اعتراض] + م به (1 + ح)

ب- الدلالة العامة للجملة : 1- خبرية -2- إنشائية (استفهام).

3- تظهر خاصية أخرى لها دورها الدلالي التواصلي في هذه المجموعة التركيبية، هي ظاهرة التنغيم[1]، بما لها من أثر نفسي تحفيزي تحريكي للمتلقي، وبما يكشفه وجودها مع درجته، وانعدامها، في توضيح التآلف والتعالق بين تراكيب هذه المجموعة لبناء الدلالة، وبالتالي تدريج بناء الأثر، ويمكن تجسيد الظاهرة في الترسيمة الآتية :

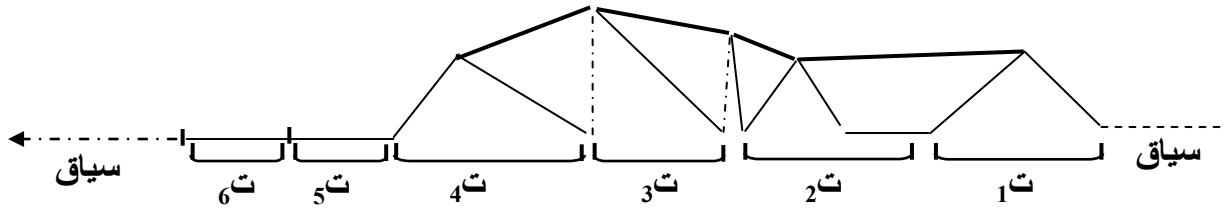

يبدو التنغيم متناسقا مع درجة التعقد، إذ يبلغ قيمته عند التركيب الثالث، ويأتي نازلا يمينا ويسارا، حتى تغدوا النغمة مستوية ثابتة في التركيبين الأخرين فتختلف النغمات باختلاف طبيعة التركيب.

الجملة	النغمات[2]
1- الاستفهامية	1- العالية جدا

[1] نشير هنا إلى أن ظاهرة التنغيم غير خبر الجملة، الذي عرفه إبراهيم أنيس بأنه قصد به المتكلم إلى كلمة في جملة يزيد من نبرها، ويميزها عن غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ط4. 1971. ص 175.

[2] وللنغمة درجة رابعة هي المنخفضة، انظر : معجم علم اللغة النظري: لـ محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت 1982. ص216. 217.

2- العالية	2- التلازمة
3- العادية	3- الخبرية البسيطة

4- الوحدات الإسنادية : أحصينا في هذه المجموعة أربعا وعشرون جملة توزعت كما يأتي : 16 : جملة فعلية و 08 جمل اسمية.

أ- الجمل الفعلية : تتوزعها الجمل الأربعة الأولى، وتحتوي الثانية والثالثة على أعلى النسب : 16/13، والأغنى بها هي الجملة الثالثة : 07 جمل. ونجد في الولى جملتين وفي الرابعة جملة واحدة.

I- نوع الفعل :

الزمن الصرفي		الزمن النحوي السياقي					
الماضي	08	الماضي	05	الحاضر	0	المستقبل	03
المضارع	08	الماضي	02	الحاضر	02	المستقبل	04
			07	الحاضر	02	المجموع	07

قرائن الأفعال المحولة :

الماضي	ز س	قر	المضارع	زس	قر
متعناهم	**الحال الممتد إلى**	**إن + عقلية**	**- يروا+يأتي+**	**- المستقبل**	**حتى[1] + العطف**
جاءهم	**المستقبل**	**العطف على متعناهم**	**يقولو**	**- المستقبل**	**سياقية عقلية**
أغنى	**المستقبل**	**عقلية**	**- يشعرون**	**- الماضي الاستمراري**	**كان**
	المستقبل		**- يوعدون**	**الماضي الاستمراري**	**كان**
			- يمتعون		

الفعلان : "متعناهم" و " يمتعون" يجعل معنى الآية والقرائن دلالة أولهما تتسع للأزمنة الثلاثة أما الثاني فيدل على الماضي الاستمراري ويعود على الأول لكنه خاضع نحويا وسياقيا لزمن الفعل السابق له (أغنى) الدال على الاستقبال.

ملاحظات:1- طغيان الحركية الفعلية الممتدة عبر الأزمنة الثلاثة مع تفاوت يمكن شرحه بما يأتي :

[1] الفعل المضارع المنصوب بعد " حتى" يدل على الاستقبال : التعبير الزمني عند النحاة العرب، بوخلخال 116/1 ومعجم الإعراب والإملاء : د إميل بديع. دار الشريعة. الجزائر ص 187.

أ- نجد الماضي صيغة ودلالة في الجمل الآتية : 1/ لو نزلناه على بعض الأعجمين /2/ فقرأه عليهم /3/ سلكناه /4/ وما أهلكنا من قرية / وقد أفرغ من دلالته الحديثة فأصبح منتهيا مستقرا بمحاصرته بالشرط الامتناعي.

مع التقليل من شأن مظاهر التمتع التي تقوي إمعانهم في الإنكار والاستهزاء، وكذا تقريب العذاب والرمز إلى أنه جائيهم وحال بهم لا محالة[1]. والحركة المادية والشعورية بادية في هذه المواضيع، متوثبة قلقة في بعضها (الجملة الثانية) هادئة ممتدة في بعضها الآخر (متعناهم سنين ثم) وقد كان للتصوير دور بارز في تلوين هذه الحركة وتحديد ذبذبتها.

II- المسند إليه (الفاعل) : ورد ضميرا في أإلب الوحدات الإسنادية 16/14 محققا بذلك اقتصادا بنائيا وربطا وإثراء دلاليين، وقد جاء ضميرا متصلا في كل الجمل، وهو إما :

1- ضمير جماعة غائبين 16/8 عائده المشركون، ضمير غائب مفرد 16/3 عائده ← القرآن / العذاب / الأعجمي

2- ضمير جماعة متكلمين (ضمير عظمة) : 16/4 عائده : الله تعالى.

3- ضمير مخاطب مفرد 16/1 عائده إما الرسول صلى الله عليه وسلم أو كل متلق دون تعيين[2].

الصورة الثانية لـ (م إ) هي الاسم الموصول 16/2 دل الأول على الترهيب والثاني على التهوين.

ملاحظات :

أ- أكثر الضمائر ترددا العائدة على المشركين ثم العائدة عليه تعالى وهما الطرفان اللذان تتمركز الدلالة وبقية العناصر في التركيب حولها في إطار علاقة هي نتيجة منطقية للسابقة :

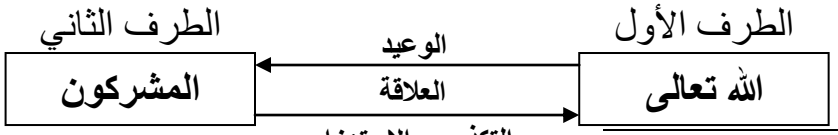

[1] التحرير والتنوير 197 وهي التي تتألفها " كل" حقيقة أو مجاز : معنى اللبيب 93/1 وكذا شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 168/1.
[2] وإن تحرينا الدقة في التعبير عوضنا " أو" بـ " الفاء" أو " ثم" وحذفنا : إما.

والعلاقة بين الطرف الأول والثاني نتيجة للعلاقة بين الطرف الثاني والأول.

وللتنبيه على درجة القوة المتفاوتة كان التوظيف الأسلوبي الدقيق لضمائر محددة :

– المشركون : الغيبة الدالة على الغيبة المعنوية فضعف وهوان كل ما يصدر عنهم.

– الله : الحضور بصيغة الجمع الدالة على القوة وبالتالي رهبة وعظمة وصدق كل ما يصدر عنه.

ب– عائد ض ج غ : هم المشركون، حتى جملة " ولو نزلناه"، وهو مفهوم من السياق، وخاصة في الجملة السابقة لها، لكنه بداية من قوله " كذلك سلكناه"– يصبح العائد هو قوله تعالى " المجرمين" وهذا يحيل إلى :

1– حين تأكد عدم إيمانهم اكتسبوا صفة دالة على طبيعة تركيبتهم النفسية : الإجرام.

2– أن الدلالة لا تقتصر فقط على مشركي مكة، بل تتسع وتنفتح على كل من كانت هذه صفته في التعامل مع التنزيل، ذلك أن " أل" فيه لاستغراق الجنس.

3– تدعيمه دلالة فعله (سلكناه) على تقرير حقيقة ثابتة.

– الجمل الاسمية : تشكل بالضبط :

وهي قسمان : بسيطة : 05 – مركبة 03.

ستة منها (06) موسعة واثنتان(02) مجردتان إحداهما محذوفة المبتدأ[1].

ملاحظات :

1– المركبة جاء المسند فيها(خ) جملة فعلية مضارعية، وجاءت اثنتان منها منسوخة بفعل كون ماض كلتاهما صلة لـ (م إ) في جملة فعلية، نجد أولى الجمل الاسمية المركبة في الجملة الثانية (م ت ت) والأخريان في الجملة الثالثة (م ت ت)، وكانت أولى الثلاث جملة حالية. هذه الخصائص تغرفها في لجة الحركية الفعلية وتحصر صبغتها الاسمية في إطار محدود بين الجمل الاسمية البسيطة تشاكل في :

* **توزيعها** : في نهاية ج1 (مت) و ج2 (م ت ت) وفي نهاية المجموعة التركيبية (جملتان).

* **المسند** : ورد في ثلاث منها 5/3 مشتقا : – اسم فاعل(3/2) اسم مفعول (3/1).

[1] (ذكرى) يجوز أن يكون مفعولا له : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن 170/2 العكبري وفي معاني القرآن للفراءذكرى في موضع نصب أي ينذرونهم تذكرة وذكرى 284/2 (مما جوزه).

وباينتهما اثنتان فجاء في الأول (م ن) " لها" وفي الثانية اسما جامدا " ذكرى".

– حافظ على رتبته فيها جميعها باستثناء واحدة خضعت لتحويل إخباري (لها منذرون) لأن (م إ) ورد ذكره.

م إ : ورد في ثلاث منها ضميرا، واسما ظاهرا في اثنتين * جاءت ثلاثة من ج ب بالترتيب :

– ج ج ش – م به – حالا، ورابعة يجوز كونها حالا[1].

ويمكن أن نقرأ ما سبق سيميائيا كما يأتي :

1– وجود علاقة تجاذب بين الطابع الاسمي المحض للجملة وكونها بؤرة دلالية أشبه بقلب الدوامة، تمارس بتحررها من قيود الزمان والمكان دورا توجيهيا للحركة في التراكيب الفعلية، وتحديديا لوظيفتها التواصلية. يظهر ذلك بجلاء في الجملتين الأخيرتين.

2– مارس (م) في إطار علاقة الإسناد مدعوما بملفوظات أخرى وظيفة تحديدية تمييزية لـ (م إ) تنتج عنها التفاعل بين طرفين في الصفات:

الطرف الأول [صفات إيجابية]		**الطرف الثاني [صفات سلبية]**	
الموصوف	**الصفة**	**الموصوف**	**الصفة**
الله تعالى	– عدم الإهلاك إلا بعد إنذار – التذكير – عدم الظلم – الإعذار	الكافرون	– عدم الإيمان – عدم الشعور ويقظة الحس – طلب الإنظار بعد فوات الأوان – الاغترار بمظاهر التمتع غير المغنية يوم حلول العذاب

5– المفعول : تردد بنسبة 16/12 وهذا يدل على أهميته في التركيب الإسنادي وذلك يرقى به عن مستوى المتهم إلى مستوى العنصر الأساسي في العملية إ كما أن ارتفاع نسبة تردده ينسجم ووجود طرفين في التراكيب، فكان توظيفه دلالة على " اجتماع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما"[2] أي وقوعه

[1] " وما كنا ظالمين" معطوفة على ذكرى أي نذكركم ولا نظلم أو حال من الضمير المستتر في ذكرى. ومفادها واحد : والإعذار والإنذار. التحرير والتنوير 198. وقد اخترنا الوجه الأول لقرب معناه

[2] دلائل الإعجاز : الجرجاني ص 154.

من الفاعل ووقوعه على المفعول – جاء اسما ظاهرا × 3 – واحد مجرور بـ " من" زائدة للعموم[1] – م غ م × 2 – ج × 1 – ض × 6.

الأدوات : تساوي في عددها الجمل الفعلية (16) دون أن يعني ذلك تفرد كل جملة منها بأداة، فقد كان توزيعها كما يلي :

/ج1 = 03 = لو + ما + كان /ج2 = 04 = (لا × 2) + حتى + هل /ج3 = 05 = ((أ الاستفهام × 2) + إن + (كان × 2) + ما + كان /ج4 = 02 = ما + إلا /ج5 = 0 /ج6 = 02 = ما + كان*

وقد سبق الحديث عن الأثر الوظيفي المركب للأدوات في أكثر من موضع، وهو مما يكتسب صفة القانون، دون نفي الأثر الخاص المتميز في كل جملة، فهو ذو طابع توليدي لا متناه يؤثر ويتأثر في إطار البناءالمدلولي للجملة، وتظهر غلبة اطراد النسخ بـ (كان) والنفي التركيز على الوصف والنفي اللذين تدعما**أدواتهما في إطار علاقة تأثر الأدوات بسياقها.

ويأتي تردد الأدوات بهذا الترتيب التنازلي : **كان = 05 – لا + الهمزة = 02 – لو + حتى + هل + إن + إلا = 01.**

وبجمع الوظائف نجدها كما يأتي : **النفي = 06 – النسخ = 05 – الاستفهام = 03 – الشرط = 02 – الغاية + الاستثناء = 01.**

ب– مركب النسبة والمركب الإضافي : تردد الأول بنسبة 16/06 وقد جذبه أحد طرفي الاستاد لإتمام الدورة الدلالية وغلها.

أما (م إض) فقد ورد في ثلاث مواضع : **مض إ × 3 : بعض الأعجمين – قلوب المجرمين – أفبعذابنا.**

الإضافة في كل المواضع محضة أفادت تعريفا للمضاف.د– الحال : وردت في ثلاث مواضع (م إض) : مفردة مرة – (بغتة) جامدة مؤولة بمشتق، وجملة مرتين : **لا يؤمنون به + لها منذرون.**

– **الظرف والنعت والبدل :** وظف كل واحد منها مرة واحدة، وهي على الترتيب : سنين، الأليم، فيأتيهم بغتة، وقد وظف الظرف بصيغة ماهية المعنى الإيجابي لفعله " متعناهم" فدل على القحط بصيغة القلة وإن كان السياق دالا على الكثرة لأن حياة الكافر في غاية الضيق

[1] من قرية : روح المعاني 132.
* لا + ما = نفي.

والنكد وإن كان في أصفى رغد[1]، فالظرف مشحون إلى جانب دلالته الأصلية على زمن معين – بشحنة دلالية تجعل وجوده في محيط الكلام ضرورة.

– **النعت** : فهو بمحتواه الدلالي وتعيينه (تبعا لتعيين متبوعه) يؤدي دورا في الغاية التواصلية للتركيب (الترهيب والوعيد). أما البدل : فإن الدلالة الظاهرة للبناء الهيكلي توقع في الإشكال لأن الفعل (يأتي) معطوف على (يروا) وهذا يستلزم معنى التعقيب في الفاء،، فيكون المعنى اقتران الفعلي مع سبق الرؤية الإتيان، فكان تأويل الجملة (يأتيهم) على أنها بدل اشتمال من جملة يروا[2]. الفاء داخلة البيان صورة الاشتمال، " أي أن رؤيته مشتملة على حصوله بغتة، أي يرونه دفعة دون سبق إشراط له"[3].

7– الروابط : وهي بحسب ترددها : **الواو × 6 – الفاء × 5 – ثم × 6.** أما وظائفها فهي :

الرابط	الواو	الفاء	ثم
الوظيفة	1–الجمع بين المضامين 2– الحالية	1– الربط والتعقيب مع الدلالة على السرعة. 2– لبيان صورة الاشتمال في البدل.	الترتيب والمهلة

الحانية على سابقتها رتبة في السياق، لأن السابقة داخلة ضمن الاستدلال، ولو نتيجة الاستدلال وليست منه، فهي " فضح لنياتهم بأنهم لا يؤمنون به في كل الأحوال"[3].

– تتضام " ثم" مع الظرف " سنين" لصنع توليفة بديعة بين الزمنين : النفسي والتاريخي و " ثم" دالة على ظاهرة الزمن، المتعارف عليه، أما " سنين" فتفرغه من معناه وفائدته، فالمجيء وقع بعد زمن متراخ من التمتيع الذي لم يغن.

[1] نظم الدرر 395/5
[2 + 3] التحرير والتنوير 195.
[3] التحرير والتنوير 193

2- الكتلة الأخيرة من المجموعة الثالثة : هي آخر النسق الثاني وآخر النص، وتتشكل من التراكيب الآتية :

- " و/ ما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون // إنهم عن السمع لمعزولون /"

2- " ف/ لا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين/"

3- " و/ أنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون/"

- و/ توكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين // إنه هو السمعيع العليم/

4- هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون/

5- و/ الشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلونإلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا/.

6- و/ سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون/

هي بحسب الترتيب : 1- مركبة تركيب تعدد. 2- *** بسيطة موسعة.

3- مركبة تركيب إفراد. 4- مركبة تركيب تعدد تحتوي جملة متلازمة.

5- مركبة تركيب تعدد. 6- اسمية بسيطة موسعة.

7- مركبة تركيب تعدد. 8- متلازمة تحتوي هيكلين مركبين تركيب تعدد

9- مركبة تركيب تعدد.

هذا ما ينبء عليه ظاهر التراكيب، غير أن ما بين الجملتين الاسميتين البسيطتين الموسعتين وما قبلهما من ارتباط يجعل الفصل غير مقبول، وذلك أنك ترى الجملة إذا دخلت عليها " إن" " ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا وكأن أحدهما قد سبك في الآخر"[1]. وقد ذكر الجرجاني أن هذا الضرب كثير في التنزيل جدا[3].

[1 + 2] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 290

وبالتالي تدمج الجملتان في السابقتين اللتين تبقيان على حالهما (م ت ت) وتقليص عدد الجمل إلى سبع (07) : 05 م ت ت

مع إمكانية إدماج الـ : م ت إ في 01 م ت إ

خانة المتلازمة لتحقيق هذه الصفة 10 متلازمة.

كما أن الجملة الخامسة توسيع الجواب الشرط فتؤول (ج ن ت ت) إلى أربع (04).

ملاحظات :

أ- هي مقارنة إلى سابقتها – أقل عددا، غير أنها تتجاوزها في درجة التعقيد، إذ يصل عدد الوحدات الإسنادية المشكلة للهيكل التركيبي إلى اثنتى عشر(12) وحدة (/ ج3/) وإلى ثلاثة عشرة وحدة (13) / ج5/، وذلك يحقق درجات قصوى من التقصي المدلولي والشحن الإخباري.

ب- إلى جانب تشاكل (م ت ت) في بنائها الهيكلي، فإن وجها آخر للتشاكل يجمعها تدخل معها فيه متلازمة، هو أنها مبنية على ضرب من التناسق يتظافر مستوياها الشكلي والباطني في تشكيله نلحظه في العناصر الآتية :

1- بناء دلالي متعدد الأجزاء متضافرها أسبه باللوحة نقترب منها أولا مركزين النظر على جزء منها لا يغني شيئا ثم نبتعد عنها قليلا قليلا حتى تبدو في نظرنا عند نقطة بعينها لوحة (عملا واحدا له معنى محدد) تؤدي وظيفتها التبليغية كاملة واضحة.

2- هذا البناء ينطلق من نقطة محددة هي نواة وأساس الجملة (كلمة أو وحدة إسنادية) ثم تتحرك الدلالة حركة موضعية متسعة عمقا، تأتي آخر وحدة إسنادية تتويجا لها.

3- مدت التراكيب تعاقبيا في محيط الكلام بوسيلتي الربط والتفريغ.

4- يظهر التناسق في شكل من التدريج بين المعني التي يشد بعضها بعضا مع شيء من التباين في اتجاهه ووسيلته بين كل جملة وأخرى (وهو أظهر في قوله تعالى).

أ- [وما تنزلت به الشياطين ← وما ينبغي لهم ← وما يستطيعون] ⇐ أنهم عن السمع معزولون ⇐ [فلا تدع مع الله إلها آخر ⇐ فتكون من المعذبين] ← [وأنذر عشيرتك الأقربين ← فإن عصوك ← فقل إني بريء مما تعملون ← وتوكل على العزيز الرحيم ← الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ⇐ إنه هو السميع العليم].

ب- هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ← تنزل على كل أفاق أثيم، يلقون السمع ⇐ وأكثرهم كاذبون.

جـ- [والشعراء يتبعهم الغاوون ← ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون] ← [إلا الذين آمنوا ← وعملوا الصالحات ← وذكروا الله كثيرا ← وانتصروا من بعد ما ظلموا].

مع الإشارة إلى أن التشابك الدلالي متحقق بين كل تراكيب هذه المجموعة، وبينها وبين المجموعتين السابقتين، أي بين تراكيب هذا النسق الأخير جميعها، وسيأتي بيانه، إذ ليس هذا مقامه.

جـ- انحصار هذه المجموعة في المركبة، وانعدام البسيطة، وهذا يعمق نظريا ثراءها الدلالي، ويوسع نسبة إخباريتها مدعومين بالملفوظات المساعدة لطرفي الإسناد وبقية الوسائل التي سنتناولها في إطار تحليل الوحدات الإسنادية والمتممات.

د- تتقدم الجملتان : الثالثة والخامسة على غيرها بعدد الوحدات الإسنادية بنسبتين متقاربتين : 12 وتنزل عنها البواقي كثيرا وبنسب متقاربة تتراوح بين اثنتين وخمسة.

<u>الوحدات الإسنادية</u> :

تتضافر في تشكيل تراكيب المجموعة : 31 جملة فعلية و 08 جمل اسمية.

1- الجمل الفعلية : تباين سابقتها في توزعها في محيط، الكلام، فلا تنحصر مثلا في جمل دون أخرى، بل في كل جملة واحدة منها أو أكثر، مع تركز أكثرها في الجملتين : الثالثة والخامسة :

ج$_1$: 3 – ج$_2$: 1 – ج$_3$: 10 – ج$_4$: 4 – ج$_5$: 10 – ج$_6$: 3

ويشد الانتباه فيها كون أكثر من نصفها جمل فرعية، فيها ما يحلمحل المفرد، وما لا يحل كما أن بعضها مفرغة عن فرعية، وهذا مما يوسع ويثري ويدقق مدلولها ويدعم محتواها الإبلاغي، وهما المتحكمان في طبيعة التركيب ومداه.

والجدول الآتي يبين وظائف الجمل ونسب ترددها :

الوظيفة	عدد الجمل

– جملة صلة – جملة خبر : 1– لأن 2– لمبتدأ – جملة م به : 1– لفعل معلق 2– لفعل عامل – جملة جواب شرط – جملة نعت	10 2 1 2 1 2 1
	المجموع : 19

يكشف الجدول الأهمية الدلالية الإخبارية للعنصر اللغوي المرتبطة به هذه الجمل، وتحديدا في ذات نسبة التردد العالية : 1– الموصول. 2– المسند إليه. 3– الفعل.

أ– **المسند** : تنقسم الأفعال بحسب زمنها السياقي إلى :

– 08 أفعال ماضية – 14 للحال – 09 للاستقبال[1].

لم يحول عن زمنه الصرفي من هذه الأفعال غير ثلاثة، اثنان من المضارع إلى الاستقبال (تدع – قر : لا الناهية[2] + تعلمون – قر : مجيئه في جواب شرط أمري) والثالث من الماضي إلى الاستقبال (عصوا – قر : إن الشرطية).

– توجد أفعال أخرى دخلت عليها قرائن تحويلية لفظية (هل[3]، لم) غير أن المعنى أبقى هذه الأفعال على دلالتها الأصلية، وهي (أنبئكم – تنزل – تر) ذلك أنها وردت في استفهام غير حقيقي غرضه التقرير، مع خضوع آخرها لسابقه (يتبعهم) فهو توكيد له[4].

– وتنقسم بحسب الافتقار والاكتفاء إلى 27 فعلا متعديا . ثلاثة منها إلى مفعولين (أنبئ – تر – سيعلم)، وخمسة منها إلى م غ م (03) لازمة (آمنوا، انتصروا، تقوم) – وكلها مبنية للمعلوم عدا واحد (ظلموا) وسيأتي تفصيل الحديث عن المفعول به.

ملاحظات :

[1] أدرجت معها أفعال الأمر لاتفاق نحاة البصرة والكوفة على دلالتها على الاستقبال : التعبير الزمني 143/1

[2] مغني اللبيب 407/1.

[3] " هل" تحول زمن المضارع إلى الاستقبال : مغني اللبيب 563/1.

[4] التحرير والتنوير 205 – 209.

1- يكشف الزمن السياقي غلبة الحركية الزمنية الآنية والأمامية على الارتدادية، ويتناسب ذكل ومضعة هذه المجموعة في محيط النص، فهي الخاتمة.

2- تبدأ أفعال الأمر بنهي (والنهي أمر بالترك) عن دعوة غير الله معه، فجزاء المخالفة، بعد إثبات أنه تعالى منزل القرآن لا يشاركه فيه غيره، وبقية الأفعال المسببة عنه، فدعوة الله وحده تستتبع الدعوة إليه، وهذه حصرها الخطاب القرآني في فعل يتناسب وموضوع السورة (الإنذار)، وبما في الإنذار من وعيد وتخويف مع ما يفرضه من معاملة خاصة لأنه موجه إلى منكرين جاء الاحتراز والتكريم للمؤمنين بأمر صلى الله عليه وسلم بخفض الناح لهم (أقربوه وغيرهم)[1]، ثم أمره أخيرا بالتبرؤ من عملهم حال عدم استجابتهم، وهو عام ينسحب على الجميع، وذاك يعني بقاءه فردا محتاجا إلى سند وسط منكرين كارهين، فأمره بالتوكل عليه تعالى دالا بفعل الرؤية بعده (مرتين ملفوظا ومحذوفا) على الحضور لمساندة في حالي انفراده واجتماعه بالزمرة المؤمنة.

3- أفعال الأمر (المستلزمة استجابة وجوبا، أي حركة وفعلا) جاءت بعد تسليته بأساليب، وتوضيح لحقائق تتعلق بالقرآن والمشركين وبصفاته تعالى، فكان الأمر معللا ومهيأ له، وفي الوقت نفسه مفصلا بإيجاز معجز لطريقة الاستجابة في كل الأحوال.

4- لا يقتصر التوظيف الأسلوبي البديع على أفعال المر، بل ينسحب على غيرها أيضا، من ذلك أفعال الجملة الأولى (تنزلت، ينبغي، يتطيعون) تنفي بتدريجها زمنيا وترتيبها سياقيا عن الشياطين كل أشكال القدرة على التنزيل بالقرآن (وهو الفعل المحوري)، فهم لم يكن منهم ذلك ولا يصلحون له، ولا يستطيعونه و" إن اشتدت معلجتهم على تقدير أن يكون لهم قابلية لذلك"[2]، وذلك ينفي ضمنا عن القرآن كونه سحر أو كهانة.

- وجاء الفعل (تنزل) مع الشياطين بغير الصيغة التي وظف بها مع (الروح الأمين)، إذ ورد محذوف التاء وضعفا دلالة على التردد والخطأ[3]، أما الفعل (يلقون) الموصوف به الأفاكون الآثمون فيدل على " شدة الإصغاء حتى كأنه إلقاء للسمع من موضعه"[4].

- الأفعال التي وصف بها المستثنون من الشعراء الغاوين، ترسم لوحة متكاملة لصفاتهم وبتدريج محكم، وتدل بصيغتها الماضية على الرسوخ أكثر من الدلالة على المضي الزمني،

---

[1] الكشاف 186/4.
[2] نظم الدرر للبقاعي 396.
[3] السابق 399.
[4] التحرير والتنوير 206

فصفتهم الأساسية هي الإيمان وهذه يثبتها العمل الصالح، وهاتان يقويمها الإكثار من ذكر الله، لتأتي الصفة الأخيرة موجهة من السابقات مقيدة باللاحقة : الانتصار بعد الظلم دون تعيين موقعيه، فالمهم وقوعه.

– أما افعال الجملة الأخيرة فهي متضافرة لتأدية وظيفة التتويج للسورة باكملها، فالمحتوى الدلالي الذي يوحد هاهو التهديد والترهيب اللذان ترتعد لهما الفرائس، ويرعوي بها كل ذي لبء مع عمومها بشمولها الكافر والمؤمن، لذلك تلاها أبو بكر على عمر رضيالله عنهما في عهده بالخلافة إليه بعده[1]، فهي شاملة الطائفتين من الشعراء: الظالم الغاوي والمنتصر إذا تجاوز، وغيرهم من ظالم نفسه أو غيره وقد جاء الوعيد مؤكدا مقربا بالسين مبهما ممكن التحقق في الدنيا والآخرة معا.

ب– المسند إليه :

توزع بين شكلين طغى أولهما : 1– ضمير 30/27 2– اسم ظاهر 30/4.

ملاحظات :

1– التوظيف المكثف للضمير يرجع إلى ما يحققه سياقيا ودلاليا وتواصليا مما سبق الحديث عنه.

2– أكثر الضمائر ترددا العائدة عليه صلى الله عليه وسلم، أغلبها منصهر في فعل الأمر: مع الإشارة إلى أ، عائدها محذوف لسببين: 1– معلوم من السياق.

2– ليبقى الأمر مفتوحا موجها إلى كل مسلم ولا يبقى محصورا في شخصه عليه الصلاة والسلام، فيتقاعس المسلمون بعد عن آداء واجبهم.

ويفهم من هذه الغلبة للضمائر العائدة عليه (27/3) مع أفعال الأمر معنى التصحيح والتوجيه إلى ما يجب أن يكون، والعمل في هذا الاتجاه، بعد أن أزال بما سبق كل ما يعترضه من شواغل وشيطان.

3– توظيف الاسم الظاهر كان في المواضع التي لا يصلح فيها الضمير نحويا ودلاليا إذ نجده مرتين :

[1] السابق 213.

أ- الشياطين : في الأولى لأنه لم يسبق ذكره، وفي الثانية لبعد الأول واحتمال أن يرجع الضمير إلى سواه، وكذا مع الثالث : الغاوون : - وقد ورد اسم فاعل معرفا دلالةعلى أن الاتباع للصنف الأول من الشعراء يكون من المعروف بدوام الاتصاف بالإمعان في الضلال[1]. وآخرها ورد اسما موصولا خاصا (الذين) تعميما وقصدا إلى صلته (ظلموا)، فإبهامه توضه الصلة.

2- الجمل الاسمية : هي أقل بكثير من الفعلية : 08 جمل، وتنقسم إلى :

04 جمل بسيطة موسعة (منسوخة : 03 بإن وواحدة بـ : تكون).

03 جمل مركبة (خبرها جملة فعلية، اثنتان منها منسوختان بـ: أن).

01 جملة واحدة بسيطة مجردة.

النوع	الجمل
إ. ب. مو إ. مر إ. ب. مج	إنهم عن السمع لمعزولون + فتكون من المعذبين + إني بريء مما تعملون + إنه هو السميع العليم والشعراء يتبعهم الغاوون + أنهم في كل واد يهيمون + أنهم يقولون مالا يفعلون. وأكثرهم كاذبون

<u>ملاحظات</u> :

1- يمكن تقسيم الجمل إلى قسمين :

أ- مطعمة بحركية زمنية : وهي المشتملة على أفعال، طرفا كان الفعل في الاسناد أم متمما تاما أم

ناقصا، وهذا قيد.

ب- مجردة من الدلالة الزمنية : وهي الخالية من الأفعال، وهذا تحرير من القيود.

[1] انظر : المعجم العربي الأساسي، مادة : غوى ص 907.

2- الملاحظة السابقة تجنب أخرى، وهي أن الاسمية المحظة تتشاكل مع مثيلاتهاا في المجموعة السابقة فيما يؤديه طابعها الاسمي من وظائف دلالية وتواصلية وفي موضعتها التركيبية (توزيعها).

- كما تتشاكل كل المقيدة بالصيغة المفعلة مع الاسمية المركبة في المجموعة السابقة، وبالتالي فهي تابعة دلاليا للجمل الفعلية المرتبطة، مساهمة معها في تشكيل البناء المدلولي لمجموعها.

3- المؤكدة بمؤكد أو أكثر هي الغالبة على سواها، إذ تصل نسبتها إلى 08/05، كلها مؤكدة بـ : إن (أن).

4- ثلاث من الجمل أدت وظيفة المفعول : واحدة لفعل قول واثنتان متعاطفتان لفعل متعد إلى مفعولين : تر.

5- ورد المسند إليه في صورتين : ضمير : 8/6 - اسم مشتق معرف 8/2 (الشعراء + أكثرهم) أي أن التعيين (حال) هو سمة الـ (م إ) في كل الجمل.

والجدول الآتي يبين طبيعة الـ (م إ ض) وعائدة.

الضمير	نوعه	عائده	جمعه
إن (هم)	جماعة غائبين	الشياطين	متصل بالناسخ
فتكون (أنت)	مخاطب مفرد منكر	الرسول – ص –	منصهر في الناسخ
إني (ي)	متكلم مفرد	الرسول – ص –	متصل بالناسخ
إن (هـ)	غائب مفرد	الله تعالى	متصل بالناسخ
أ (هم) × 2	جماعة غائبين	الشعراء	متصل بالناسخ

			متصل بالناسخ

* تكرر الضمير العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم، دون سواه مدعما نظيره في الجمل الفعلية ليرتفع بذلك عدد الجمل التي خوطب بها عليه الصلاة والسلام.

* كانت مرتبة الـ (م إ) قارة بعد الناسخ في الجمل المنسوخة والأول في غيرها، مع العلم أن الناتج عنصر طارئ، كما أن تقديم الـ (م إ) عليه مرفوض نحويا، وبالتالي فتحويل مرتبته مع النواتج إجباري.

* أما الـ (م إ) الاسم فأولها معرف بـ (ال) تعريف استغراق لجنس الشعراء نفيا لصفة الشعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ضمنا دون ربط له بتنزل الشياطين كما في الكهانة لعدم وجود اتصال لملكة الشعر بالنفوس الشيطانية، رغم ما كان شائعا – خطأ – بين عامة العرب[1].

أما الثاني " أفضل" التفضيل (أكثر) عائد على كل أفاك أثيم بدلالة الضمير المضاف إليه الذي مارس وظيفة التحديد والتقييد لـ (م إ) وذكر الأكثر دون الكل لأن قلة كانت تتلقى شيئا قليلا فتكذب عليه أضعافا[2].

المسند : – يتشاكل مع نظيره في المجموعة السابقة، إذ فلب في المسند الاسمي المشتق (ج ب) بنسبة 9/5 توزع بين : اسم الفاعل (01) واسم المفعول (01) والصفة المشبهة (03).

أما بقية المسانيد، فإن ثلاثة منها جاءت : جملة فعلية مضارعية في سياق واحد (وصف الشعراء) والأخير ورد خبرا صوريا (ش ج) : من المعذبين : يدل القسم الأول على استمرار، وفي الأخير تعريض بالمشركين أنهم معذبون[3].

* تتحد أربعة من المسانيد الاسمية المشتقة في ورودها في جمل اسمية محضة تتويجية والمسند بؤرة الختم والتتويج الدلالي في هذه الجمل، فالأول (معزولون) ورد اسم مفعول تركيزا وحصرا للانتباه في العلاقة بين الفعل والواقع عليه لأن تعليل للأفعال المنفية السابقة[4] فلا مناسبة لذكر موقع الفعل. والثاني والثالث أخبر بهما عن (م إ) واحد هو الله تعالى، وكان اسمين من أسمائه الحسنى يدلان على الثبوت (السميع العليم) معرفين تخصيصا ودلالة على

[1] التحرير والتنوير 207 – 208
[2] نظم الدرر 396.
[3] التحرير والنوير 206 وقد ذكر في ص 207 صحيحا للرسول صلى الله عليه وسلم يثبت صحة ذلك
[4] التحرير والتنوير ص 200

الكمال، فقد جيء بهما تثبيتا للمتوكل عليه[1]، كما يدلان على شمول جميع الأقوام والأعمال سرها وعلانيتها، وقدم السمع على العلم لتقدم مشمولات الأول (لا تدع، أنذر، قل) على مشمولات الثاني (توكل، يراك، تقوم) و" شمول العلم يستلزم تمام القدرة"[2]. أما رابع المسانيد (كاذبون) فقد ورد ذكره كالأول (معزولون) دلالة على وجود الصفة في (م إ) دون حصرها فيه، وقد جاء تتويجا لصفات من تنزل عليهم الشياطين، *** يظهرونه إفكاوإثما من إلقاء الأسماع، والكذب مفتوح يشمل كل أنواعه : أصل التلقي، أو الزيادة.

المفعول به :

تؤكد نسبة تردده 31/27 محوريته وأثره المدلولي الإبلاغي.

وقد وظفه الخطاب القرآني في صور ثلاث : 1- مفعول مباشر مذكور : 17

2- مفعول مباشر محذوف : 04

3- مفعول غير مباشر : 06

ملاحظات :

1- طغيان المباشر المذكور يؤكد محوريته في إكمال الدورة الدلالية والأثر التواصلي ويمكن التمثيل لذلك بالنماذج الآتية :

* وأنذر عشيرتك " ذكر المفعول عشيرة" منسوبة إليه عليه الصلاة والسلام مخصصة بالنعت " الأقربين " الوارد اسم نفضيل إمعانا في التخصيص، رغم أنه مأمور بإنذار كل الناس، دفعا لمظنة المحاباة واللطف بهم، وإشارة إلى " أنهم والناس في ذلك شرع واحد في التخويف والإنذار، فإن كان الأقربون قد خوفوا وأنذروا مع ما يلحق الإنسان في حقهم من الرأفة كان غيرهم في ذلك أوكد وأدخل"[3].

* " يراك حين تقوم وتقلبك" : فقد ورد المفعول مرة ضميرا عائدا على الرسول صلى الله عليه وسلم وأخرى اسما ظاهرا لفعل محذوف هو نفسه فعل المفعول الول، ويدل عل العناية الإلهية شاملة شخص رسوله وحركته بين المؤمنين زيادة في التثبيت بعد أمره بالتوكل عليه.

---

[1] نظم الدرر 399

[2] السابق.

[3] البحرالمحيط : التوحيدي. 46 + روح المعاني : الألوسي 135/134.

* " يلقون السمع" يبدو المفعول في هذه الجملة مركزا البناء الدلالي لها وللجملة الكبرى التي جاءت فيها والتي حداها " هل أنبئكم.... كاذبون" فهو وسيلة اتصال الأفاكين بالشياطين، كما أنع المعول عليه في خداع الناس، وهو أخيرا ما نفاه عنهم سبحانه حين وصفهم بالكاذبين.

* " إنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون" ورد المفعول جملتين اسميتين مؤكدتين متعاطفتين، وفي تعقده هذا بسط لأنه توضيح وتأكيد وتعليل للجملة الأولى.

2- أما المحذوف، فقد ورد مع الأفعال الآتية : يستطيعون، تعلمون، يفعلون، ظلموا. وفي صفة *** أسلوبية إلى جانب موافقة الفواصل في الأفعال الثلاثة الأولى :

أما أغراض حذفه فمتباينة، يشترك في الفعلين (تعلمون + يفعلون) كون مفعوليهما مقصودين قصدهما معلوم. أما يستطيعون فحذف مفعوله قصد منه نفي الفعل عن الفاعل (الاستطاعة عن الشياطين) مع كون متعينا. أما آخر الأفعال فالقصد من حذف مفعوله : التعميم الذي صبغ الجملة بكاملها : فالمقصود بع كل ظالم دون تحديد، كافرا مشركا أو مسلما كما سبق توضيحه حين الحديث عن المسند[1].

العناصر المتممة : تباين هذه المجموعة التركيبية سابقتها في غناها بالمتممات سوابق كانت أم لواحق، ولهذا أثره في الثراء الدلالي والكم الإخباري للجمل وفي التلوين المعنوي لها، وسيجري تحليلها على النهج نفسه مع سابقاتها.

أ- **الأدوات** : تجاوز بقليل عدد أدوات المجموعة السابقة إذ تصل إلى 20 أداة تتوزع كما يأتي :

/ ج$_1$/ = 5 = (ما (نفي) × 3) + (إن + اللام (تأكيد)) / ج$_2$/ = 2 = لا (نهي) + تكون. / ج$_3$/ = 4 = إن (شرط) + (إن × 2) + / ج$_4$/ = 1 = هل = / ج$_5$/ = 7 = (الاستفهام) + لم + (أن × 2) + لا (نفي) + إلا + ما / ج$_6$/ = 1 = س (استقبال).

وقراءة المعطيات السابقة يكشف ما يلي :

1- توزيع الأدوات على الجمل يظهر تناسقا هندسيا يمكن تجسيده في الرسم البياني الآتي :

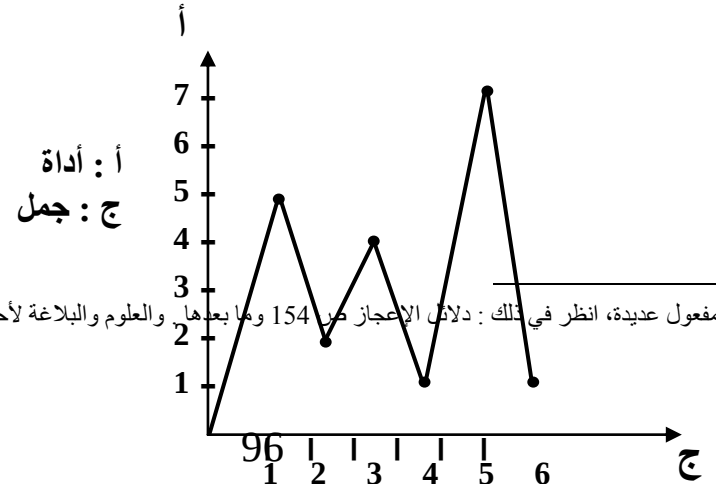

[1] أغراض حذف المفعول عديدة، انظر في ذلك : دلائل الإعجاز ص 154 وما بعدها. والعلوم والبلاغة لأحمد مصطفى المراغي ص 86 وما بعدها.

2 – غلبة أدوات التوكيد والنفي على التوالي،إذ تصل مجتمعة إلى 20/12، وهي بذلك تتشاكل في أحد شقيها سابقاتها، مما يجعل مجال النفي أوسع الحقول سيطرة. ثم التوكيد وهما اللذان يلونان البناء الدلالي بصبغة قصد إليها الخطاب القرآني من أجل تبليغية محددة في هذه الكتلة التركيبية.

3– استغلال البيان القرآني الطاقات التعبيرية للأدوات أفضل استغلال لإلقاء ظلال معنوية للبناء الهيكلي الظاهري على المستوى المعنوي قصدا إلى تبليغ الرسالة في أجلى صورها، فمارست دورا مهما في إتمام الدورة الدلالية وتدقيق وتحديد درجة الإخبارية وإثرائها يتمظهر ذلك في :

أ– النفي : الذي انزاح به الخطاب عن دلالته المتواضع عليها، فهو في الغالب يكون في الممكن، غير أنه قصد إلى المبالغة من التفصيل كما سبق بيانه، كرر بتدريج بديع[1]، فدل بعد التكرار على غير الممكن،وذلك في قوله تعالى : " وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم، وما يستطيعون".

ب– الإستفهام : بـ " هل" و " الهمزة" في " هل أنبئكم" و " ألم ترى"، فقد حرر من دلالته الأصلية : الاستعلامل يصار به إلى دلالة جافة هي التقرير مع دقة في التوظيف الأسلوبي، ذلك أن " هل" دالة على التحقيق أي " أنبئكم أنباء ثابتا محققا"[2].

جـ– التأكيد : المستعمل خاصة في الجمل الاسمية التنويجية، وقد ناسب توظيفه المكثف (وصل إلى *** في الجملة الواحدة : " إنهم عن السمع لمعزولون" " إنه هو السميع العليم") مقامات كإثبات إلهية القرآن أو تثبيت رسوله، وهي مقامات تحتاج إلى تقوية للدلالة على صدق الخطاب وكماله.

---

[1] انظر في ذلك : البحر المحيط لأبي حيان ص 46.
[2] التحرير والتنوير ص 210.

ب- أما بقية المتممات فنحصرها بنسب ترددها ووظائفها في الجدول الآتي مرتبة بحسب نسب التردد.

المتمم	نسبة التردد	الوظيفة
مركب النسبة المظاف إليه	09 08	إتمام البناء الدلالي وتدقيقه. نحوية دلالية = تعريف المضاف والنكرة وتحديد معناه (إضافة محضة)
النعت	05 03	صفات مادية + معنوية – نوعية + مبالغة
الحال	02	
المفعول المطلق المستثنى + الظرف + المعطوف	01	

2- ولأن النسق الأول يجعل الرسالة والمعجزة شيئا واحدا، على خلاف المعهود في الرسالات السابقة، وهي كلمة، احتاج الأمر إلى تبيين كبانيها للسائد من الكلام غير العادي.

* الكهانة والشعر – ، والذي كان العرب يرجعونه إلى مصدر غير إنساني. وقد تم ذلك بـ :

أ- توضيح حقيقة الرسالة، ومصدرها وغايتها.

ب- إثبات عدم التباسها بالأنساق القولية السابقة.

جـ- إبراز حقيقة تلك الأنساق القولية، وحقيقة أصحابها، وطبيعة تأثيرها في متلقيها.

وقد أفرز ذلك نتيجة خلاصتها : – القرآن في أعلى المراتب، وهي في مرتبة دنيا.

نجد آخر محطة في النسق، وفي النص، وفقة عند الشعراء. وقد كان التركيب الذي يحتضنها جامعا بين المشاكلة والمباينة للتركيبين الأوليين : في هذا النسق، وفي الأول :

و/ الشعراء يتبعهم الغاوون/ ← / تلك آيات الكتب المبين /
و/ الشعراء يتبعهم الغاوون/ ← و/ إنه لتنزيل رب العالمين /.

ويهمنا فيما نحن بصدده، مظاهر المباينة الاتية :

التقابل : أ- التوزيعي ← هما أول نسقيهما ≠ هو آخر النسق، والنص

ب- دلالتها الإيجابية ≠ بعدئه.

جـ- طابعها الاسمي المحض ≠ فعلية مسندة.

كل ذلك كان قصد إلى إعادة بناء الحياة وفق منطق تنزيل رب العالمين، بالتركيز في آخر مج ت في النص، على أبرزها كان يؤدي دور تشكيل، وتصوير منطق حياة الرعبي الجاهلي، لذا نجد تصنيفا للشعراء وفق منطق الرسالة، فكانت أول وأهم صفة للشعراء المستثنين : الإيمان.

لقد حارب القرآن الفوضى والاضطراب في العقل الجاهلي، كما عبر عن المزايا التاريخية التي كان يعتز بها العربي الجاهلي بكلمة الشرك التي " لا تخلو من الإيمان إلى الفوضى التي يبرع الجاهلي في تصويرها والاحتذاء بها". وقد كانت كلمة الشرك تقويما إسلاميا للشعر كما تصوره العربي الجاهلي. لقد جعل الشرك فاتنا أخاذا.

-الفصل الثالث-

-النسق الثالث-

-القصص-

هو الثالث تحليلا، والثاني ترتيبا في النص. يمثّل جسم السورة المتكوّن من القصص (قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم)؛ إذ يكاد يغطي مساحة النص بكاملها؛ لذا، فإن تحليله سيكون بتقسيمه إلى مجموعات تركيبية كما جرى الأمر مع سابقيه.

وقد أفضى تتبّع مشاهد القصَص(وهي مظهر التلاحم التركيبي والدلالي) [1] إلى إحصاء ثلاث عشرة مجموعة تركيبية، تستأثر قصتا موسى وإبراهيم، عليهما السلام، بأكثر من نصفها، أما البواقي فكل واحدة منها تحتوي، أو تحتويها مجموعة تركيبية؛ لقصرها ولطابعها الموقفي الأحادي.

ثم إن هذا الحجم الممتد للنسق يفرض اختيارا إجرائيا لتحليل تراكيبه وجمله ومكوناتها المباشرة؛ إذ إن الوقوف عند نماذج تحليلية أمر أكاد أجزم باستحالته منهجيا، وإلا غدا ذلك بحثا مستقلا كمًّا خاصة، ونوعا بدرجة أقل؛ لكل ذلك، كان الالتزام الصارم بجمع الأشباه والنظائر والخصائص التركيبية العامة أمرا لا مناص منه، إلا ما يفرض نفسه من ظواهر، ونكت أسلوبية يدفع إلى الوقوف عندها المحتوى الدلالي، والغرض التواصلي، والملمح الإعجازي، فاللّين هاهنا واجب، والتحليل والتعليق والتأويل فرض عين.

- مج ت 1 :

وتحتويها الآيات: من العاشرة، إلى السابعة عشرة.

وهي آيات تأتي في موضع مفصلي؛ إذ تمثل مرحلة الانتقال من النسق الأول إلى الثاني (ترتيبا). والنظرة الأولى إلى البناء الهيكلي الظاهري للمجموعة تؤدي إلى التقسيم الآتي :

[1] وهو منهج سيد قطب في تفسيره. انظر: الظلال. مج5.ج19.ص2588 ، وكذا في كتابه : التصوير الفني في القرآن. فصل : القصة في القرآن.

نوع التركيب	نسبة تواتره	المجموع
ف ب مج	02	12
إ ب مو	02	
ف ب مو	04	
م ت إ	01	
م ت ت	03	

لكن يمكن، من وجهة نظر نحوية دلالية، اختصار التراكيب في عدد أقل –مما ييسِّر عملية الوصف والتحليل – لتغدو ثلاثا مركبة تركيب تعدد:

– أولاها قوله تعالى :﴿ **وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين، قوم فرعون، ألا يتقون** ﴾.

– والثانية مقول لقول موسى، عليه السلام، يتركّب من نداء وجوابه : ﴿ **قال رب، إني أخاف أن يكذبون، ويضيق صدري، ولا ينطلق لساني، فأرسل إلى هارون، ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون**﴾

– آخرها مقول لقوله تعالى :﴿ **قال، كلا، فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون، فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين، أن أرسل بني إسرائيل**﴾

ولعل توضيح البنية العميقة يبيّن أوجهَ التعالق النحوي والدلالي :

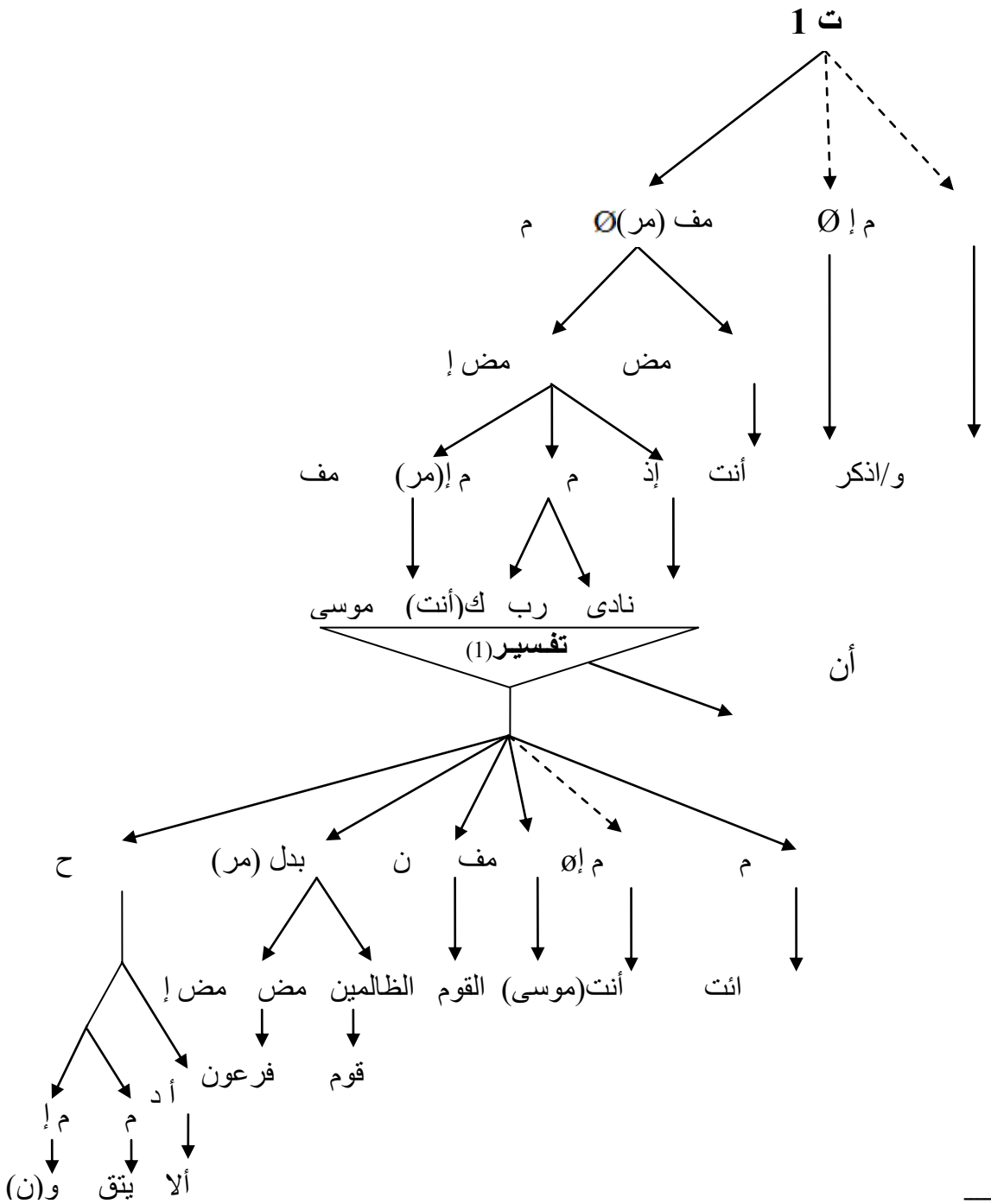

(1)عدّ د. محمود أحمد نحلة الجملة التفسيرية من الجمل المرتبطة دون رابط . انظر: المدخل إلى دراسة الجملة العربية. ص156.

أما التركيبان الثاني والثالث، فالترابط بين الوحدات الإسنادية المكوِّنة لهما بادٍ بواسطة الروابط اللفظية : " الواو" و " الفاء " في الأول، و" الفاء" في الثاني.

والتَّأمل يوجِّه إلى رابط آخر يميِّز جميع كتل وتراكيب هذا النسق، ذلك هو الحوار الذي يقوم بعملية المزج بين ألوان من المفاهيم المتباينة، أو المتضافرة؛ لبناء محتوى دلالي متماسك مكتفٍ ومفتوح في آن، فتراكيب هذه المجموعة يؤطِّرها محتوى دلالي عام هو: تكليفه تعالى نبيه موسى بتبليغ رسالة إلى فرعون وقومه. التركيب الأوّل يمثّل جذع الشجرة، أما المتبقيان فيمثِّلان الأغصان والأوراق الكاسيتها، وأما الثَّمر فهو مؤجّل إلى حين؛ فلأجله كانت هذه الشجرة، وبتعبير أوضح : الشجرة تمثِّل زمن التعليمات، أمّا الثمر فهو زمن التنفيذ[1].

وتتشكّل هذه المجموعة من : 15 ج ف و 04 ج إ.

ويبدو، بداية، طغيان الحركية الفعلية عليها.

- الوحدات الإسنادية:

أ- الجمل الفعلية :

- توزيعها:

04 في التركيب الأول.

07 في التركيب الثاني.

04 في التركيب الثالث.

ومن عجائب التشاكل أن الجمل الثماني، المقسّمة بالتساوي على الطرفين، من كلامه تعالى، والسبع الأقل عددا بواحدة من زاوية، والأكثر بما يقل عن الضعف بواحدة من أخرى، من كلام موسى، عليه السلام. فكلام موسى يحْضُنُه كلامه تعالى.

[1] د. سليمان عشراتي. الخطاب القرآني؛ مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي. ص111.

والملاحظة الثانية، هي أن الجمل الفعلية جميعها فرعية، أو مفرّعة عن فرعية، باستثناء اثنتين، فهما أصليتان، وتتميزان بأنهما:

1. من كلامه تعالى.
2. محذوفتان : اذكر، وجملة الجواب بعد " كلا ".
3. في بداية كل.

- المكوّنات المباشرة :

أ.<u>المسند</u>:

الماضي:يث عن مركزية الفعل في التركيب الإسنادي، تقدَّم أو تأخَّر عن م إ. ويبيّن الجدول الآتي أفعال المجموعة بحسب أزمنتها الصرفية :

الزمن	**الماضي : 01**	**الأمر: 07**	**الأمر: 07**
الفعل	نادى	يتقون	اذكر Ø [1]
		أخاف x 2	ائت
		يكذبون	أرسل
		يضيق	اذهبا
		ينطلق	ائتيا
		يقتلون	قولا
			أرسل

1- يتدخل عامل مهم في تحديد أزمنة هذه الأفعال، هو الزمن التاريخي، فـ " اذكر" يرجع إلى عهد النبوة ونزول الوحي، وهو بذلك يمارس وظيفة الربط الزمني والدلالي بين ما بعده وما

[1] بدليل التصريح في : - مريم 104- الأحقاف 21 و- ص 45. انظر : القرطبي .الجامع لأحكام القرآن . ضبط ومراجعة على الأصول صدقي جميل العطار. تخريج الأحاديث الشيخ عرفان العشا. دار الفكر. بيروت. ط 1، 1424هـ - 2003م. مج 7. ج 13. ص 72.

قبله (النسقان الأول والثاني). أما بقية الأفعال، فإنها تاريخيا سابقة لهذا الفعل بقرون ممتدة، فهي ماضية.

2- يمارس هذا الفعل: " اذكر" وظيفة مزدوجة:

* تهيئة المتلقي نفسيا.

* دفعه إلى المشاركة بفعل عقلي، فزمنه هو زمن التلقي الأمامي المفتوح. كما يمكن تغيير وجهته إلى غير المخاطب المباشر: الرسول، صلى الله عليه وسلم، أي إلى الكافرين المكذّبيه بتقديره (اتل)؛ بدليل بداية القصة الموالية (واتل عليه نبأ إبراهيم)[2] . وكما يمكن توسيعه ليشمل كل متلقٍّ مسلم. وزيادة على ذلك، ألاّ يتوقف هذا المتلقي المسلم – بداية بالمنزَّل عليه – عند تخوم الفعل العقلي الذاتي الداخلي المخفي، وإنما يمارسه واقعا، ويجهر به، ويدعو إليه، حتى يتّضح له " أنهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات، لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط، بل بمشاهدة إصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك "[3]. وتعليل هذا المذهب هو أن فعل التذكر" نوع من المراجعة الفكرية والتأملية الجادة لحقائق ومعادلات ومعارف مطروحة من أجل اكتشاف حقيقة أعمق "[4]. فالقرآن يهدي للتي هي أقوم.

3- ثاني أهم أفعال هذه المجموعة، وأكثرها تأثيرا في نسج محتواها الدلالي، بل محتوى كل ما يتلوها، هو " نادى"؛ ذلك أن النداء- من وجهة نظر تأويلية تبدو مبرَّرة في رأينا- مزيّة عظيمة شُرّف بها موسى، عليه السلام، في الدنيا دون سائر الناس- بما فيهم الأنبياء- [5].أما تفسير هذا التشريف، فهو أن الزمن السابق لتكلمة موسى " كان متمركزا ومتجسدا في منطق القوة الغاشمة، التي تدّعي أن بيدها سر الحياة ومنشأ الكون، فكان إيداعها في عقل موسى يستوجب المناداة؛ لأن النداء في بعض صوره استنهاض واستغاثة ، ممّا جعلها مباشرة في مواجهة الطغيان السياسي."[1] هذا على اعتبار أنّ الكلمة شهدت تغييرا إيجابيا مع الأنبياء،

---

[2] الجامع لأحكام القرآن . مج 7 . ج 13 . ص72.
[3] انظر تفسير أبو السعود. ص 236.
[4] غالب حسن . نظرية العلم في القرآن ؛ ومدخل جديد للتفسير. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان. ط1، 1421 هـ/2001م. ص67.
[5] السابق. ص 217.
[1] المرجع السابق . ص218، 219.

عليهم السلام، في تجاربهم مع واقعهم، وتحديدا مع آدم وإبراهيم عليهما السلام، ثم مع موسى.(2)

4- يلاحظ تكرار فعلين في المجموعة هما: " أخاف"، و" ائت(يا)" الذي وُجّه في الجملة الأولى إلى مفرد، وفي الثانية إلى مثنّى. وتأمّلُ موضعتهما السياقية تنبئ بأنّ الفعل، وإن كان له اللون نفسه، فإنه ينصبغ بدرجة من هذا اللون في موضع، هي غيرها في موضعه الثاني، بفعل ما يتعاطاه من علاقات في محيط الكلام؛ فالخوف في موضعه الأول ابتدائي يسحب ما بعده إلى دائرته: " التكذيب ". أما في موضعه الثاني، فتابع داخل في دائرة ما سبقه (تبعة الذنب)، رغم كونه هو الآخر يسحب إليه ما بعده (القتل):

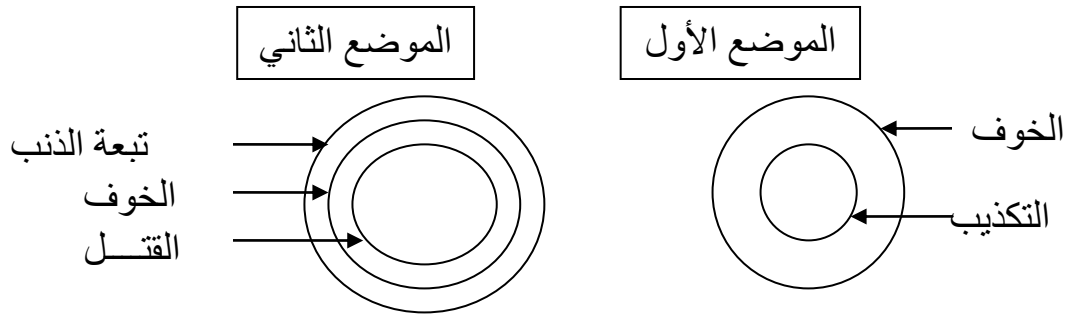

أما الفعل الثاني:" ائت"، فهو من جانب، يدخل في باب: الزيادة في اللفظ زيادة في المعنى، ومن آخر، فإنّ محتواه الدلالي اتسع بفعل ما جمعه في سيره من موضعه الأول إلى الثاني، ممّا توسّع فيه وإليه الحوار الإلهي الموسوي.

5- تتضافر أفعال هذه المجموعة في تشكيل محتواها الدلالي وبنائه، فأغلب الأفعال:

$\frac{9}{15}$، يحتويها حقل دلالي واحد، هو المذكور آنفا.

6- كلها أفعال مبنية للمعلوم، وهذا يجعلها تتسم بدرجة متقدمة من الوضوح والتحديد، محققة بذلك تلاؤما وموضعةَ هذه المجموعة التركيبية في محيط الكلام، فإطارها الدلالي : تكليف برسالة.

7- يدعّم ما ورد في الملاحظة السابقة، ورود 13/15 من الأفعال متعدية إلى مفعول مذكور، أو محذوف، أو غ م.

8- يعبر الفعلان "يضيق "، و "ينطلق"[2] بالصورة المحَسَّة المتخيلة عن حالة نفسية كان موسى يخشى وقوعه فيها، وسيطرتها على كيانه، وذلك على طريقة القرآن الكريم في التصوير الفني.

9- أفعال المجموعة جميعها تحيل إلى الحضور (مضارع وأمر بنسب متفاوتة: $\frac{7}{15}$ لكل نوع) باستثناء فعل واحد:" نادى"، وهو داخل في دائرة الفعل الأول: " اذكر"، فهو غائب، غير أنه مُستدعى ومطلوب استحضاره بواسطة فعل التذكر. وهذا يحيل سيميائيا إلى معنى تغليف وتلوين الزمن التاريخي بلون زمن التلقي؛ لتحقيق تبليغية كاملة، وتأثير فعّال. يسند هذا المعنى ويعزّزه ما ورد في الملاحظتين الأوليين.

وكيان المسند – وهو الفعل فيما نحو بصدده – لا يكتسبه كليا إلا بمدى ما يتعاطاه من علاقة في النظام؛ ذلك أن التركيب وحدة نامية من العلاقات ترتبط مراحلها ارتباطا يتماثل واللغة المستعملة؛ لذا، يبقى كيان المسند ناقصا لا يشكل تركيبا يتصف بالاكتمال النحوي، والإفادة المدلولية، ما لم تنجذب إليه عناصر تشكل معه، على الأقل، وحدة إسنادية في أبسط صورها، تحقّق الصفات الآنفة، رغم كون الفعل مركز الثقل في السياق، والمحور الأساسي فيه. وهذا ما سيتضح بعد مباشرتنا بقية العناصر بالتحليل.

ب.**المسند إليه :**

يبينه الجدول الآتي :

[2] والانطلاق حقيقته مطاوع أطلقه، إذا أرسله ولم يحبسه، فهو حقيقة في الذهاب: التحرير والتنوير. ص 106.

ا ظ (مر إض)		ض			
مض إ	مض	عائده	ض من	عائده	ض مت
ك محمد (صلعم) ي (موسى–ع س–) ي(موسى –ع س–)	رب صدر لسان	– موسى 1– الله تعالى 1– محمد(صلعم) 1– موسى–ع س– 1– فرعون	أنا x 2 أنت x 4	قوم فرعون موسى وهارون	الواو x 3 الألف x 3

يكشف الجدول طغيان الـ (م إ) الضمير: $\frac{12}{15}$.

وبتوسيع النظر إلى علاقة الإسناد المنبثقة من تعالق طرفي الوحدة الإسنادية يتضح ما يأتي :

1– أكثر الضمائر عائدة على موسى عليه السلام في مرحلة أولى: $\frac{5}{12}$ ، وعليه وهارون في مرحلة ثانية (03) فالمجموع: $\frac{8}{12}$ ، ويأتي بعده في مرتبة ثانية فرعون وقومه (04) بما يساوي النصف.

2– الـ م إ مع م الأمر في الأكثر هو موسى عليه السلام، ومعه هارون $\frac{04}{07}$ ؛ا يتلاءم والمحتوى الدلالي للمجموعة، فهي دائرة حول مرحلة التكليف بالدعوة والتوجيه، كما تكشف مركزية موسى عليه السلام في هذا الأمر، وتبعية هارون. المفعول: لمّح من طرف خفي إلى الغلبة والنصر، حتى قبل مباشرة الدعوة.

ج– المفعول:

توظيفه في هذه المجموعة يكشف أنه عنصر أساسي في العملية الإسنادية؛ إذ يؤدي وجوده إلى التمام التركيبي، واكتمال الدورة الدلالية، وإلى تحقيق الإفادة الإبلاغية للوحدة الإسنادية، بل إنه يثري، ويعمق المحتوى الدلالي.

ونقف عند بعض ما يكشف دقة التوظيف :

1- قوله :" **أن ائت القوم الظالمين** ":

في العدول عن ذكر المفعول الحقيقي صراحة، إلى الإتيان به في صورة(م و) إجمال فيه تحفيز؛ لاستثارة الترقّب، وتحريك غضب موسى عليه السلام عليهم "حتى ينضم داعي غضبه عليهم إلى داعي امتثال أمر الله الباعثه إليهم، وذلك أوقع لكلامه في نفوسهم، وفيه إيماء إلى أنهم اشتهروا بالظلم".[1]

2- قوله تعالى على لسان موسى :" **أخاف أن يكذبون** " و " **فأخاف أن يقتلون** " :

فيه عدول عن المصدر الصريح إلى المؤول؛ لما في ذلك من تصريح بالفعل، ومباشرة وتمييز لأطراف العملية: الفعل، والفاعل، والمفعول به. هذا الأخير، الذي حُذف موافقة للفاصلة، وتركيزا للاهتمام على الفعل والفاعل دونه[2]. وإذا أضفنا إليه أنّ خوف تكذيب الرسالة مقدَّم على خوفه على نفسه أن يُقتل، يتبين لنا مدى حرص موسى عليه السلام على الرسالة، وعلى تبليغها كاملة تامة دون أن يحول حائل بينه وبين ذلك.

3- أول مفعول – وقد أخّرناه؛ لأن في التأخير، في بعض المقامات والأحوال، اهتماما (سنفرغ لكم أيها الثقلان)[3]– ملفوظ مختار بدقة بالغة بليغة، فمن حيثما قلبناه ألفيناه ينطق " بالجمال الطافح، والجلال الكاسح، والنظم الرطيب، والنسيج القشيب "[4]، فقد جاء مفعولا لفعل غير ملفوظ، في صورة ظرف زمان " إذ"، إذا نظرنا إلى جانبه الصوتي المادي وجدناه متميزا بالاقتصاد في الطاقة النطقية المبذولة، فهو مقطع واحد طويل[5] – أقل ما يمكن تشكيل كلمة منه –، يتكون من صوت شديد، أو آني، أو انفجاري، أو وقفي: (إ). وصوت رخو، أو عاصر، أو انسيابي، أو امتدادي: (ذ)[1]. تان الصفتان، موسومتين بمختلف الاصطلاحات

---

(1) التحرير والتنوير: ص 103،104.
(2) الرحمن:أغراض حذف المفعول، كما ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني. انظر: دلائل الإعجاز. ص 156،157.
(3) الرحمن 31.
(4) د.عبد الملك مرتاض . نظام الخطاب القرآني . ص 8.
(5) ما تشكل في إحدى صورتيه من : صامت + صائت قصير + صامت. انظر: د .محمود أحمد نحلة د . لغة القرآن في جزء "عمّ ". ص 357.
(1) د.أحمد محمد قدور . مبادئ اللسانيات . ص 77. و: برجشتراسر . التطور النحوي للغة العربية . ص 15.

السابقة، تمنحان العنصر اكتنازا وثراء مدلوليا، وتأدية مكتملة لوظيفة الربط الدلالي؛ فهو، من ناحية، عنصر يمارس دورا يحتضن وظيفتين متناقضتين في آن : فصل، ووصل، ومن أخرى، بإضافة خاصيته الزمنية، يقوم بدور المركبة الزمنية الناقلة إلى زمن الأحداث، في وقت لا يكاد يشعر به المتلقي (وقت نطق حركة قصيرة وسكون حي)، وتبعا لذلك، يمارس عملية ضغط لأزمنة لتغدو زمنا واحدا :

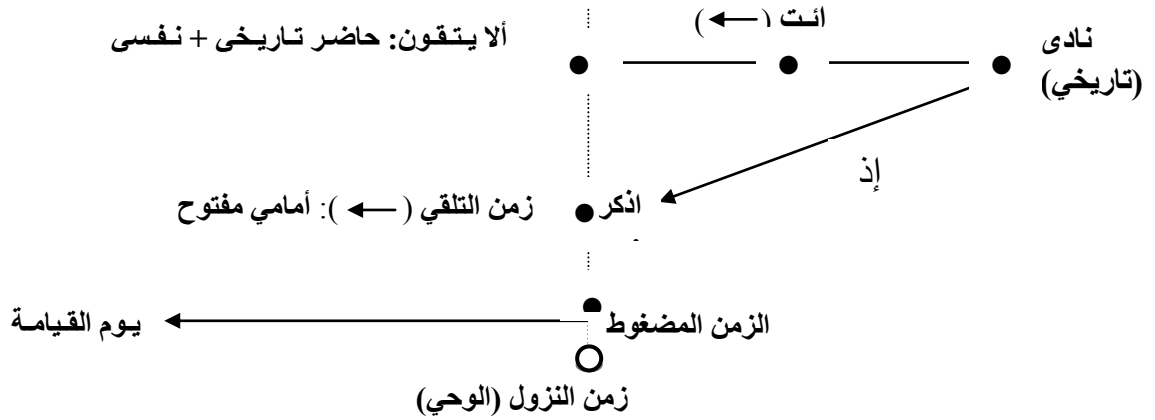

ثم هو، أخيرا، يؤدي دورا تقييديا توجيهيا لفعله (اذكر)، أي أن يمارس المتلقي الفعلَ على الزمن الواقعة فيه الأحداث الآتية دون سواه، في حالة بخصوصها، وإلا، فإن لموسى عليه السلام، ولغيره من الأنبياء الآتية قصصهم، أنباء أُخَر [2] ، فالمطلوب فقط تسليط الفعل على ما يتضافر وبقيةَ أجزاء النص، سابقها ولاحقها، لبناء محتواه الدلالي المتماسك، وتحقيق الأثر التواصلي المقصود، فما خرج عن الدائرة لا أثر له في بناء كيان النص.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . قدم له الشيخ محمد بن صالح العثيمين. مكتبة الصفاء. القاهرة. ط 1، 1422 هـ / 2002م. ص 568.

ولكل ما سبق بيانه، وُظّف هذا العنصر في بدايات القصص في هذا المتن القرآني، وفي سواه[3]. وبذلك يتبين أنّ اختيار غيره من جدول البدائل العمودي، ممّا يمُجّه الذوق السليم قبل الرفيع، وأنه لا وسيلة إلى مجرد التفكير في ذلك إلا تغييب العقل !

د.**العناصر المتممة:**

يحصرها الجدول الآتي :

مض إ : 07			ن : 01	ب : 01	م ن : 02	أد : 07
ا ظ	ض	ج	الظالمين	قوم	– إلى هارون	أن (تفسير) x 2
فرعون	ربـ (ك)	نادى			– بآياتنا	أن (مصدر) x 2
إسرائيل	صدر (ي)	ربك				ألا
	لسانـ (ي)					لا
	بآياتـ (نا)					كلا

قراءة الجدول تنبئ عن كثرة دوران العناصر السابقة : الأدوات. ومن اللاحقة : مض إ. وبنسبة غالبة ما ورد في صورة (ض).
وبالنظر إلى أدبية الخطاب، تبرز العناصر الآتية :

1– **ألا** :

الفارضة، بإجبار ركني، محتوى دلاليا محددا على وحدتها الإسنادية، والمُكسِبة إياها – فوق ذلك– عمقا واتساعا، فهي متضمِّنة من وجه استفهاما " لإنكار انتفاء تقواهم، وتعجيب موسى من ذلك " [4]. كما يجوز كونها " للعرض المتضمن

[3] انظر مثلا : البقرة 34، المائدة 27، الأعراف 172، يوسف 4 ، الإسراء 61، الكهف 50.
[4] التحرير والتنوير. ص 104.

الحض على التقوى" [1]. والجملة، من الوجهين، طلبية تتميز بنغمتها الصاعدة، وفي كل ذلك تحفيز وشحن، " وتقوية للباعث لموسى على بلوغ الغاية في الدعوة "[2].

2- **كلاّ** :

هي جسر بين سابقها ولاحقها الممثلين: السلب: الخوف، والإيجاب: الردع عنه وإبطاله ونفيه، ثم الأمر (اذهبا). والجسر يتجاوز به قاطعه ما تحته مما لم يجد في نفسه قدرة على تجاوزه من دونه، وهذا المتجاوَز محتوى دلالي ثري يمثله لاحقها. ثم هي مجسِّدة، صوتيا، معنى الرّدع بتضعيف لامها. وأخيرا، فإن في حذف جملة الجواب بعدها دليل على هوان المسكوت عنه، كأنه " لمّا كان التكذيب مع ما قام على الصدق من البراهين المقوية لصاحبها، الشارحة لصدره، المعلية لأمره، عُدّ عَدَما " [3].

3- تدعّم العناصر الثلاثة [ن + ب (م إ ض): الظالمين، قوم فرعون] متضامنةً، العناصر الأخرى – السابق تحليلها – في تشكيل محتوى دلالي لبلوغ غاية إبلاغية محَدّدة هي الواردة في: رقم 01، ففي هذه العناصر تدرّج من التلميح إلى التصريح؛ إذ ذكر المرسل إليهم بصفتهم : الظلم، ثم صرّح باسمهم: قوم فرعون، والمعنيّ، تحديدا، هو آخر العناصر ذكرا (فرعون)، بدليل ما بعده.

4- **ربك + بآياتنا** :

ورد الـ " مض إ " ضميرا يتلاءم وموضَعَته في محيط الكلام، فبلاغة ودقة انتقائهما، مع مجيئهما طرفا في ثنائية (مر إ ض)، تؤدي مدلولا بيّنا به تدقيق ووضوح، مع مباشرة العلاقة بين طرفيها اللذين يكوّنان وحدة يعسر الفصل بين وجهيها دون خلل صوتي ونحوي ومدلولي؛ ففي الأول تقريب وإيناس وتسلية

---

[1] البالقرآني.. ص 7.
[2] التحرير والتنوير. ص 104.
[3] نظم الدرر. ص 352.

وتدعيم، فهو ربك " المحسن إليك بكل ما يمكن الإحسان به في هذه الدار " [4]، وفي الثاني إيماء إلى الصدق والعظمة والتدعيم، بواسطة باء المصاحبة الجارة.

هـ.الروابط :

* الواو x 4 * الفاء x 5

وفي توظيف الحرفين فروق دقيقة، فالواو في قوله تعالى: " **إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطبق لساني** " تتحرّك الدلالة حركة موضعية في دائرة واحدة هي الخوف (سبق توضيحها)؛ لذا كانت الواو. بعدها يأتي قوله تعالى:" **فأرسل إلى هارون**" تتحرك خطوة إلى الأمام. أما الواو في أول هذه المجموعة، فإن دوره محوري؛ إذ إن صيغة العطف به " تعبير بلاغي، أو تصرف لغوي يكشف، يكشف عن علاقة من التضايف بين المعنيين عن طريق كلّ جديد تتحرك فيها المتعاطفات بتراسلها الخاص، وتكوّن مجالا بنيويا ذا إيحاء جديد " [5] .

وسيأتي تفصيل ذلك، فليس هذا مقامه.

- الجمل الاسمية :

وهي أربع :

- /إني أخاف أن يكذبون/
- و/لهم عليّ ذنب/
- /إنا معكم مستمعون/
- /إنا رسول رب العالمين/

تشكل تقريبا ربع الجمل الفعلية في مجموعتها التركيبية: . $\frac{4}{15}$

[4] نفسه. ص 350.
[5] د .عفت الشرقاوي . بلاغة العطف في القرآن الكريم؛ دراسة أسلوبية. دار النهضة العربية. بيروت، لبنان. د- ت. ص 205.

– ويلفت فيها التشاكل النحوي، باستثناء واحدة، إذ أُكِّدت ثلاث منها بـ: إنَّ. وكان الـ : م إ فـي ثلاثـتها ضمير متكلم متصلا بالناسخ، مـع حذف نـون الوقايـة، فانصـهر العنصـران، وتمظهرا صوتيا وكأنهما عنصر واحد.

– خضـعت جملـة : " **لهـم علـيّ ذنـب** " لتحويـل إجبـاري؛ ذلـك أن محورهـا (– ال)[1]، ومـع ذلك، فقد كـان فـي تقديم الخبـر الصـوري " لهـم" نكتـة أسـلوبية؛ إذ قيّـد الـ : م إ، ورمـى بـه فـي خانـة الـزعم [2]، يؤيـد ذلـك اعتبـاره (أي: م إ) مضـافا إليـه أقيم مقـام المضـاف المحذوف، أو سُمّي باسمه، أي : تبعة الذنب[3]

– الصـبغة الاسمية المحضـة المؤكدة بـ " إنّ " للجملتين الأخيرتين، توحيان " بنوع من الثبوت والاستمرار على الموقف المتخذ "[4]، وهذا يحيل إلـى معاني القوة والقدرة والتمكّن، وهـي ممـا يليق بمقـام الله عز وجـل ورسـوله فـي السـياق والمقـام اللـذين وردت فيهمـا الجملتـان خاصة، دون نفي ذلك – طبعا – في غيرهما.

– يتجسد التوكيد صوتيا كذلك – كما سبق – خاصـة فـي " إنّـا "، فقد أدى تغييب نون الوقاية إلى انصهار الأداة والـ : م إ في كيان واحد حقّق نغمة صاعدة، قد لا تتحقق بالوضوح نفسه حين التلفظ بنون الوقاية، ولعل الرسم الآتي يقرّب ذلك :

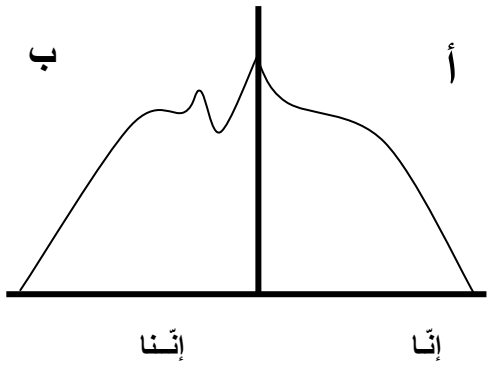

[1] د.محمد علي الخولي . قواعد تحويلية للغة العربية . القانون التحويلي الحادي عشر. ص 129.
[2] نظم الدرر. 351/5.
[3] تفسير أبي السعود. ص237.
[4] محمد طول . البنية السردية في القصص القرآني . ص 183.

ثم، أليس في هذا الصهر تجسيد لمعنى قربه وحضوره تعالى، والذي يقرره (م ن) : " معكم "، وكذا توحيد لموسى وهارون عليهما السلام، والذي عبّر عنه الخطاب القرآني بلفظة : رسول ؟ فيكون ذلك صورة أخرى من صور الدعم والتأييد الإلهي، الذي لمّح إليه طورا، وسأله طورا آخر موسى عليه السلام.

– تتحقق النصرة والتأييد والحماية والرعاية والأمان بقوة وسلطان وعظمة بملفوظات أخر ونسج لغوي في : معكم + مستمعون :

* ضمير العظمة
* م (خ) 2 x [1]
* معية العلم الذي ترافقه العناية واللطف[2]
* " الاستماع الذي هو أشد درجات الحضور والانتباه، وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة، وذلك على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير "[3].

– **رب العالمين :**

م إ ض يختصر رسالة موسى عليه السلام، خاصة إذا عرفنا بأن طرفه الأول طرف ثان في م إ ض (رسول رب العالمين)؛ ففيه مجابهة لفرعون" بأنه مربوب، وإثبات ربوبية الله تعالى للعالمين، والنفي يقتضي وحدانية الله تعالى؛ لأن العالمين شامل جميع الكائنات "[4].

– مج ت 02:

تتضمنها الآيات من 18 إلى 37. يجمعها الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون حول موضوع أساسي هو : تخصيص الله سبحانه وتعالى بالربوبية، وما تفرّع عنه مما فرضه

---

(1) البحر المحيط . ص 8.
(2) التحرير والتنوير . 106.
(3) في ظلال القرآن . ص 2590.
(4) التحرير والتنوير. ص 110.

السياق وطبيعة المتحاوريْن وظلال العلاقة بينهما، لذا ؛ يبدو الحوار، أو القول، أفضل مرتكز لتقسيم تراكيب المجموعة، مع الاستعانة بوسائل الربط الأخرى، لفظية أو معنوية.

ومنه كانت التراكيب كما يأتي :

م ت ت x 3 + إ م مج + إ ب مو + مت + م ت إ + إ ب مو + م ت إ + إ ب مو + مت x 6 + م ت ت + مت (طرفها الأول م ت إ).

وقبل الوقوف عند الخصائص الذاتية للمجموعة، يشد النظر موضعتها وحجمها قياسا إلى المقطع والنسق الذين وردت فيهما، ففيها نسبة ملحوظة من المباينة مستوياتها لسابقتها ولواحقها :

1- تمثل بداية حركة التبليغ في هذا النسق القصصي.

2- تمتد على مساحة من المقطع – وهو أطول المقاطع – تتجاوز فيها غيرها، وهي بكاملها أربع مجموعات :

مج ت	عدد آيها
مج 1	08 آيات
مج 2	20 آية
مج 3	14 آية
مج 4	15 آية

3. تتجاوز غيرها، أيضا، على مستوى عدد الوحدات (الكلمات) المشكلة للآيات:

مج ت / عدد الوحدات	مج 1	مج 2	مج 3	مج 4
1.عدد وحدات الآيات.	4 + 5	4 + 5 / 6 + 7 / 8 + 9 / 10 + 11	3 + 4 / 5 + 6 / 7 + 8 / 9 / 11 + 12 / 21	2 + 3 / 4 + 5 / 6 + 7 / 8 + 9 / 13
2.مجموع الآيات ذات الوحدات المتقاربة العدد أو المتكررة	2 2 2 2	5 / 8 4 / 2	3 3 / 4 1 / 2 1	6 6 / 2 2 / 6 2 / 2 1
3.متوسط عدد الوحدات	6	04 ← 07	03 ← 08	02 ← 05

– اهتمام الخطاب القرآني بهذا المنعطف من قصة موسى عليه السلام بادٍ بيّن من خلال الجدولين السابقين، ومن خلال نقل تدرجات ألوان الحوار من دون تصرّف تكثيفي أو تغييبي، ولهذا، دون مراء، دوره المحوري في تشكيل، بل في توسيع وتعميق شبكة البناء الداخلي للنص، وفي أبعاده التواصلية.

– تبدو التراكيب متميزة بدرجة متقدمة من التعقد والتمدد على المستوى الهيكلي، والتنوّع في ألوان النسوج والعناصر المشكلة لها، والتمازج بين الصيغتين: الفعلية والاسمية. هذا التعالق يجعل التفكيك قصد التحليل أمرا قد يؤدي إلى إغفال بعض ما نسعى إليه، لذا؛ سنحاول المقاربة بين كفتي الميزان ما بلّغنا الجهد.

توزعت التراكيب كما يأتي :

نوع ت	نسبة تردده	المجموع

- مت	08	
- م ت ت	04	
- م ت إ	02	18
- إ ب مو	03	
- إ ب مج	01	

مع التنبيه إلى:

1- استبعاد أفعال القول إلا ما جاءت بينه وبين المقول عناصر: 03.

2- تراكيب تتوازى فيها الوحدتان أو الوحدات الإسنادية في شكل تقابل هيكلي يتمفصل بواسطة أداة :" إذا الفجائية "، أو فعل خاضع نحويا لسابقه في الهيكل الأول : ابعث يأتوك. وقد أدرجت ضمن التراكيب المتلازمة.

- يسترعي الانتباه نوعان من التراكيب من الزاويتين : النحوية والبلاغية :

أ- المتلازمة: في إطارها التركيب الشرطي بنسبة: $\frac{5}{8}$.

ب- الإنشاء الطلبي : 06 استفهام، 03 أمر.

وهي هياكل تتشاكل في تميزها بنغمة صاعدة، مع اختلاف في الدرجة، " وبما يبذله الناطق بالتركيب من طاقة نطقية مميزة "[1]. يظهر ذلك خاصة في الاستفهام.

- تتضافر تراكيب المجموعة، مؤطرة بالحوار، ومائلة إلى محتوى دلالي وأثر إخباري محدد بفعل خاصيتي التلازم والإنشاء الطلبي لتشكيل شحنات شعورية متصاعدة وإماطة اللثام عن الكيان النفسي لطرفي الحوار الأساسيين، والكشف عن البناء الفكري لكليهما، واللذين يبدوان من الناحيتين:أولهما مضطرب ضعيف في حلبة المحاججة (فرعون) والثاني متين ثابت متماسك (موسى عليه السلام).

[1] المنصف عاشور. التركيب عند ابن المقفّع . ص251.

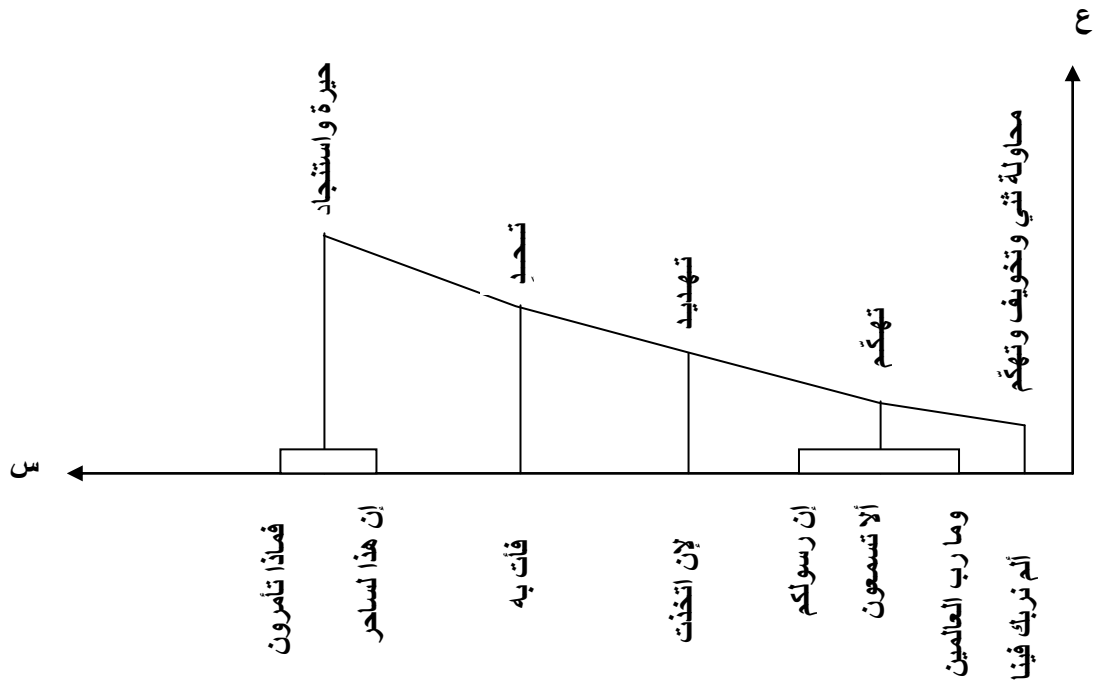

أما التراكيب المحكية عن موسى عليه السلام فإنها تؤدي دور المثير والمؤثر في جميع أشواط الحوار، فهي أشبه بالصدمات الكهربائية القصيرة المتلاحقة في جسد يوشك على فقد الحياة.

هذا وجه تشاكل، غير أن وجها للتباين يظهر على مستوى وسائل الربط؛ إذ يميل قسم منها إلى توظيف الرابط الحرفي : " الواو" و " الفاء" خاصة م ت ت، وقسم، هوالأخير، يتوسل رابطا نحويا دلاليا: نثر الدلالة على هيكلين مترابطين يلائمان بين وظائف متنافرة أو متجانسة : الشرط والأمر وجواباهما، والتغير المفاجئ بواسطة الأدوات أو الفعل.

- الجمل الفعلية :

تشكّل ما يتجاوز ضعف ج إ من مجموع: 43 " و ح إ" لتقارب الثلثين، فالحركية الفعلية وتكثيف المحتوى الزماني ميزتان طاغيتان على هذه المجموعة.

1- **المسند :**

نحاول تبيين خصائصه من خلال الجداول الآتية :

النوع	الماضي	المضارع	الأمر
العدد	17	09	03

جدول رقم 01 : الزمن الصرفي

ف	**ز س**	**قر**
نربّ	ماضي المنقطع	لم
تعقلون	الاستمرار والدوام	كنتم
اتخذت	ماض مستمر إلى الحاضر V	الشرط
	مستقبل	حالية
أجعلنّك	مستقبل	سياقية (نون التوكيد[1] + جواب شرط)
		واو الحال
جئتك	حاضر	لو (شرط غير امتناعي)
	V مستقبل	حالية سياقية
يخرجكم	مستقبل	سياقية (الاستفهام)
تأمرون	مستقبل	سياقية (جواب الأمر)
يأتوك	مستقبل	

جدول رقم 02 : الزمن السياقي للأفعال المحوّلة

[1] مغني اللبيب. 546/1.

الاكتفاء (+)	الافتقار (−)
02	27

جدول رقم 03: التعدية واللزوم.

1- تجدر الإشارة أولا إلى أن أزمنة الأفعال، على تنوّعها، يؤطرها الزمن التاريخي، وهذا ما اضطلع به فعل القول، الذي مارس، جنب ذلك، وظيفة الفرز ومنع تداخل الأصوات، بدليل اختيار الخطاب القرآني آلية إضمار (م إ) في فعل القول، إلا حيث يكون في ذلك تشويش على الرسالة وتشويه لها، فتقصر عن بلوغ نقطة التلقي بلوغا نوعيا، يسقط عنها أثرها التواصلي وتميزها الفني، كما في قوله تعالى : " قال فرعون...". كما أن في غلبة الإضمار قصدا للإيجاز. يصدق ذلك على هذا المشهد وعلى ما يأتي من حوارات في متن المدونة. والإشارة هنا تعفي من التكرار هناك.

2. التّعدّي سمة تكاد تطّرد في أفعال المجموعة، وقد تنوّعت بين متعدّ إلى مفعول صريح، ومتعد إلى مفعول غير صريح، أو بين متعدّ بنفسه، ومتعدّ بواسطة.
والتّعدية تخصيص وتقييد للحدث في جهة لألاّ يفهم الفعل على إطلاقه[1]،والمتعدّي بنفسه يقصد به نقل الحركة كلّيا من حيّز الفاعل إلى آخر.أمّا المتعدّي بواسطة فيكون بقصد نقل الحركة بوسيلة ملوّنة بلونها الخاصّ[2]. وفي كلّ هذا توسيع للمحتوى الدّلالي للوحدات الإسناديّة، وضبط وتدقيق. ولعلّه يمكننا الإدّعاء بأنّ سمة التّحديد والتّقييد تنصبغ بها جميع الجمل الفعليّة، خاصّة وأنّ المسند الفعلي محورها، كما أنّه مقيّد بجهة زمنيّة محدّدة مهما امتدّت، في مقابل سمة الإطلاق والتّفلّت من قيود الحدث والزّمان في الجمل الاسمية.

3. يمكن تقسيم أفعال المجموعة – من غير فعل القول- إلى ثلاثة أقسام:

أ- تحتوي عشرة الأفعال الأولى، تسعة منها ماضية.

[1] عبد الجبار توامة. التعدية والتضمين في الأفعال في العربية ؛ دراسة في النّحو العربي . د.م.ج .الجزائر .1994.ص2،3.
[2] المرجع السابق . ص5. نقلا عن: عبد الله العلايلي . المعجم . ص8

ب- تضمّ خمسة أفعال: ثلاثة منها مضارعة، وواحد مستقبل.

ج- تتشكّل من عشرة أفعال: سبعة منها مستقبليّة الزّمن.

يرجع هذا التّدرّج الزّمني إلى العامل الدلالي: فالقسم الأول صورة مادية لمحاولة فرعون خلخلة الكيان النفسي لموسى وإضعافه بالارتداد به إلى ماضيه وتذكيره بمحطّتين تشملان الشّطر الأوّل من حياته، محمّلا إيّاهما بدلالات سلبيّة قصدا إلى: الثّني والتّخويف والاستهزاء، وهما: تربيته في بيت فرعون، وقتله القبطيّ خبّاز فرعون[3] ، وهو من الخاصّة. يتلو ذلك ردّ موسى بالوقوف عند المرحلة نفسها مفرغا إيّاها ممّا حُملته، وشاحنا بدلالات إيجابية ليرجع آخر الأمر إلى ما كان قد بادر به فرعون: الرّسالة.

- القسم الثاني يؤطر أكثر مراحل الحوار حرجا، وهي حقيقة المرسِل، فهو تدافع حجاجي لإثبات الحضور، لتنتهي المجموعة بفعلين : أحدهما يحتمل الأزمنة الثلاثة، والآخر مستقبل إيذانا بالانتقال، بعد ترجيح كفّة موسى عليه السلام.

- القسم الأخير يغلب عليه الاستقبال في آخره خاصة؛ إذ يومئ مشوقا إلى جولة ثانية مغايرة ومبنية على بعض عناصر الجولة الأولى، كما يدلّ على انسحاب فرعون من الحلبة مغلوبا في زمن وجيز، وقد بدأ مستهزئا مخوّفا فمدّعيَ ألوهية.

4. ونحاول الوقوف عند بعض الأفعال التي كان لها أوفر نصيب- وجميعها كان لها نصيب- في نسج الشبكة المضمونية، بتجلية خصائصها البنائية وتفاعلها السياقي :

أ. ألم نربّك :

اختار الخطاب القرآني الفعل المضارع الذي حُوّل عن وجهته الزمنية الأصلية إلى زمنية سياقية هي : الماضي بفعل قرينة النفي الجازمة : ألم، والجزم قطع[2]. تآزرت الخصائص الصوتية والمورفولوجية والنحوية والسياقية لبناء محتوى دلالي

---

[3] الكشّاف. 163/4

[2] " فلذلك سمي جزما، اعتبارا بانجزام المصوّت، وهو انقطاعه ": ابن القيم الجوزية . بدائع الفوائد . 1/ 32.

واحد هو : الإلغاء، وقد سُلّطت عليه الهمزة، فانبثق من ذلك معنى : التقرير [3] الذي خرج إليه الاستفهام.

ب. **لبثت :**

يتظاهر محتواه الدلالي وصورته الصوتية والجهة التي قُيد بها في مركبي النسبة " فينا" + "من عمرك" والظرف " سنين " لتشكيل مضمونه: " بقاؤه مدة طويلة بينهم متنعما مستندا إليهم؛ ففيه أولا حرف " الثاء " الساكن الرخو الذي " يلبث" النطق ويثّاقل عند مخرجه، ويأتي ثانيا مركب النسبة (فينا) في شكل ثنائية متلاحمة بدت كتلة واحدة تتركب من حرف الجر : " في"، المتضمن معنى الظرفية الواقع فيها الفعل المنسوب إلى ضمير الجماعة (نا) الدال على العظمة، ليشمل آل فرعون، فمكلّم موسى ليس هو من عاش في رعايته[4]. أما ثاني مركبي النسبة " من عمرك" فقد ورد بـ " من" التبعيضية؛ لتقتطع المدة الآتية من الكل " عمرك " فيبدو ما خرج عنها قصيرا هيّنا، وتم الاقتطاع بالظرف: " سنين" الوارد نكرة مبهما تغلب فيه الحركةُ السكونَ، منتهيا بمقطع طويل آخره حرف أغنّ، فهي مدة طويلة، كل ذلك مع مراعاة الفاصلة القرآنية.

ج. **عبّدت :**

جاء في سياق رد موسى عليه السلام، وهو مرادف لـ : أعبَدَ، غير أن صيغته المختارة أنسب للمحتوى الدلالي المراد تشكيله والأثر البلاغي المقصود؛ فهو دال على التملّك والإذلال[5]، وسياقه يدل على القهر والإرغام، وتمظهره الصوتي بالباء المضعفة يجسّد ذلك.

د. **تستمعون + أرسل :**

كلاهما جاء في سياق تعليق فرعون على كلمات موسى في تعريفه بربه، وقد وُجها إلى الملأ الحاضرين المناظرة، المخاطب بهما ودلالتهما يكشفان عجز فرعون عن ردّ ما جاء بع موسى، وخشيته الخفية من تأثر القوم وميلهم عنه، فلجأ إلى الردّ الكنائي الاستهزائي

---

[3] ولتقريره، أي حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه ": الخطيب القز ويني .التلخيص في علو م البلاغة. ص؟؟؟؟

[4] انظر : التحرير والتنوير . ص111.

[5] الزمخشري . أساس البلاغة . دار الفكر . بيروت. 1420هـ/2000م . ص406.

الاستعلائي، فصيغة الفعل الأول – كما سبق – تدل على معنى حضور الذهن والوعي التام، كأنهم ما وعوا ما قيل، والفعل منفي بـ "لا" المنتهية بألف " يمتد بها الصوت ... فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها... فصار من صيغ العموم فانسحب على جميع الأزمنة"[1]، وقد سلط عليه الاستفهام الذي صير به إلى التعجب من حال وموقف القوم ومن كلام موسى[2].

أما الفعل الثاني : **أرسل**، فهو الوحيد الذي جاء مبنيا للمجهول، ذلك أن فاعله هو "رب العالمين" الذي ينكره فرعون، فتغييبه لفظا تغييب له فكرا وشعورا. وزاده تأكيدا تقييده بمركب النسبة " إليكم " وكونه صلة لموصول هو نعت لما مضمونه هو نفسه مضمونهما "رسولكم"، وفي كل هذا تهكم وربء بنفسه عن أن يكون مقصودا بالخطاب[3].

هـ. تأمرون :

يلخص الفعل حال فرعون، ويكشف خبيئة نفسه؛ إذ يبدو متضعضعا متهاويا متواضعا لقومه الذين يجعل نفسه لهم إلها[4]؛ مجسدا حيرته بتخصيص الفعل بمُفرَغ من الدلالة معلّق : ماذا ؟

و. ابعث :

ونقف عنده قياسا إلى نظيره في الأعراف[5] " أرسل "، الذي أصله تنفيذ من فوق إلى أسفل، ففيه تفخيم وتعظيم فرضه المقام هناك، وليس هذا مقام تفصيله، أما "ابعث" فلا يتضمن ترتيبا، ذلك أن فرعون أسقط بين الملأ وبينه الحجاب، وسوّى قدرهم
بقدره[6]. فسياق كشف تهاوى فرعون رشح هذا الفعل من بين سائر البدائل المعجمية المحتملة.

2- المسند إليه :

---

[1] ابن القيم . بدائع الفوائد1. /87.
[2] التحرير والتنوير. ص118.
[3] نفسه . ص120.
[4] الظلال . ص2594.

[6] انظر التفصيل في : الخطيب الإسكافي . درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز . برواية أبي الفرج الأردستاني . منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط4، 1401هـ/1981م . ص170، 171.

اظ X 02	ض X 26					
– ربي	غائب		متكلم		مخاطب	
– فرعون	جمع	مفرد	جمع	مفرد	جمع	مفرد
	01	07	01	05	03	09

طبيعي أن يكون الـ (م إ) المخاطب غالبا بسبب الخاصية الحوارية، وأن تكون أعلى نسبة من ضمائر الخطاب عائدة على : موسى وفرعون، لكن الطريف أن تكون أعلى نسبة من الضمائر في الخانات الثلاث عائدة على موسى عليه السلام: ، فقد استأثر $\frac{13}{26}$ بنصفها. ويتوزع النصف الآخر، بنسب متفاوتة على :

– فرعون، الله تعالى، آل فرعون، الملأ، الحاشرون.

وهذا يترجم قوة حضور موسى عليه السلام وهيمنته التي استطاع فرضها، رغم أن الماضي والحاضر في غير صفّه، لكن معه ربّه.

أما غلبة الـ (م إ) الضمير على الظاهر، فقد سبق الحديث في أكثر من موضع عن أثر الضمير دلاليا ونحويا وتواصليا، وهو تواتر وظيفي لعلّه يبيح لنا عند هذه النقطة أن نعتبره من صفات الخطاب القرآني المميزة.

وأما الظاهر، فقد أشير إلى سبب توظيفه حين الحديث عن فعل القول (فرعون). هذا عن أحدهما، أما ثانيهما، فقد ورد في مستوى أدنى من التعقد في شكل (مر إ ض) يتلاحم جزآه ليبدوا ملفوظا واحدا (ربي) محمّلا بدلالات الاعتزاز بالرعاية والتربية والإفضال في صورها الكاملة دون منّ، لا كفضل وتربية فرعون الناقصة المشوهة بالمنّ وتعبيد الأهل.

3– **السوابق واللواحق :**

مدرجين معها عنصر المفعول، فهو في أصله ليس عمدة في العملية الإسنادية؛ لأن الحاجة إليه لبنائها ليست بالقاعدة المطردة نحويا، هذا من جانب، ومن آخر؛ لأن ما يقارب النصف منه ورد في شكل م غ م، أي مركب نسبة:

مف X 38			مف مط	مف م	مض إ	ظر	ح	ن	ب
صريح	غ. صريح	محذوف	02	01	12	04	03	03	01
19	17	02							

أد: X 14
- أ (استفهام) x 3
- نفي : لا – لم
- شرط : لو – إن
- لام (توكيد) x 2
- جواب : إذا
- أن : نصب و (مصدر x 2)
- لمّا – نون توكيد ثقيلة

– تواتر عنصر المفعول يدل على دوره في إتمام وتدقيق المحتوى الدلالي، وتلوين وإثراء الكم الإخباري. والجدول الآتي يشرح بعض ذلك من خلال تبيين الجهات التي نسب إليها الفعل في المفعول غير المباشر الذي تعدى إليه بواسطة حروف النسبة :

الحرف	الجهة [1]
في X 2	الظرفية
من X 5	– ابتداء الغاية – التبعيض
لـ X 3	التمليك – التبليغ
ب X 4	الإلصاق والتعدية والمصاحبة
على X 1	الاستعلاء المجازي
إلى X 1	انتهاء الغاية

– التمديد الخطي (يمينا ويسارا) للجمل ، يعكس توسيعا دلاليا وتفصيلا وتدقيقا، ولعلّ الموقف وتشعباته النفسية والفكرية هو منبع هذه الميزة، فكان كل ذلك قصدا إلى تبليغية محددة ذات طبقتين: الأولى داخلية مغلقة بين أطراف الحوار، والثانية خارجية انتشارية بين النص والمتلقي.

– وقفنا في سياق تحليلنا لطرفي الإسناد عند دور وأثر بعض المتممات في العملية الإسنادية، وقد كشفت عن توظيف وانتقاء أسلوب بديع. ونقف الآن وقفة سريعة عند عناصر أخراة تسليطا للضوء على بقع لا تزال تحت الظل.

*** فعلتك التي:**

مفعول مطلق[1] موصوف باسم موصول صلته لا جديد فيها (فعلت)، وهذه العناصر تتضافر في بناء محتوى دلالي تأكيدي تهويلي؛ قصدا على التفظيع وأنها مشتهرة معلومة، مع تحقيق إلصاق تبعتها به بإضافتها إلى ضميره[2].

*** وهب لي + جعلني :**

[1] معاني حروف النسبة أو " الإضافة " كثيرة وحولها اختلاف، لمعرفة هذه المعاني والاختلافات انظر: مغني اللبيب ج 1 . و : عبد الجبار توامة .التعدية والتضمين في الأفعال في العربية ؛ دراسة في النحو العربي . ص 27 وما بعدها.
[1] معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص480.
[2] معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص480.

المفعولان يتشاكلان في تمظهرهما الصوتي : ضمير متكلم مفرد متصل، ويتباينان في أن أولهما غير صريح حدّد جهة الفعل (التمليك)، وفي هذا وفي تقديمه على المفعول الثاني الصريح (حكما) وكذا على الفاعل (ربي) تخصيص وتجسيد لمعناه : التفضيل والإفضال. ولعلّ في انفصاله عن الفعل لفظا تدعيم لمعنى التحديد والتجزيء، وتفسير لمجيء المفعول الثاني (–ال). أما المفعول الثاني فقد نقلت إليه حركة الفعل (الجعل) بكاملها دلالة على التغير الكامل والاتصاف الكامل بالصفة الواردة في المفعول الثاني : **من المرسلين**، الذي أُخضع لتحويل اختياري؛ " إعظاما لأمر الرسالة، وتنبيها لفرعون على أن رسالته عليه السلام ليس أمرا مبتدعا بل هو مما جرت به سنة الله تعالى شأنه "[1]. ومقابلة للمفعول الأول (لي) يكون اتصال هذا لفظا بفعله واحتضانه له دالا على العموم والكمال.

*** أن يخرجكم من أرضكم بسحره :**

مفعول للفعل المنسوب إلى موسى عليه السلام (يريد)، جاء في صورة مصدر مؤوّل عدل إليه الخطاب القرآني عن المصدر الصريح (إخراجكم)؛ لما فيه من فوائد كما– ذكر ابن القيم[2] – بدلالته على إمكان الفعل دون وجوب أو استحالة، وكذا التركيز على معنى الحدث دون احتمال معنى زائد، والثالثة ليجتمع الإخبار عن الحدث والدلالة على الزمن[3]. وهذا دال على عدم جزم فرعون بما يقوله، وإنما هو حجة لتأليب القوم على موسى، يدعم ذلك تقييده الفعل بضمير عائد عليه، ثم تسليطه على عزيز عليهم (أرضهم)، وأخيرا، إمعانا في التخويف، نسب الفعل إلى السحر المضاف إلى ضميره.

*** في المدائن حاشرين + بكل سحّار عليم :**

في الجزء الأول حدث تبادل موقعي اختياري بين مركب النسبة والمفعول المباشر، والمجرور بصيغة الجمع، أما المفعول المباشر فورد (– الـ). الجزء الثاني يتشكل من متممات (م ن + مض إ + ن) للفعل يأتوك الوارد جوابا لـ : ابعث، فالمجرور دال على العموم والشمول، أما الـ: "مض إ + ن" فقد وردا صيغتي مبالغة ، أولهما يقابل وصف فرعون

---

(1) روح المعاني . ص69.
(2) بدائع الفوائد. 84/1.
(3) و " أن " قرينة تخلصه للاستقبال : د.عبد الهادي الفضلي . دراسات في الفعل. دار القلم . بيروت. ط 1، 1402هـ/1982م . ص57.

السابق لـه باسم الفاعل:ساحر، وهذا تنقصـه المبالغة في الصفة. كل هذه الملفوظات تشكل محتوى واحدا : طمأنة فرعون وتقوية نفسه وإحياء الأمل فيها.

- **الجمل الاسمية :**

تتوزع على نوعين :

- ب مج x 4 - ب مو: 10

والملاحظ أن أغلبها فرعية تابعة للجمل الفعلية، فهي مقيّدة بالمسند الفعلي في الجمل الأساسية. أما النووية منها فتكاد تنحصر في إجابات موسى عليه السلام وهو يعرّف بربّه. كما أن المركّبة قليلة.

أ. البسيطة المجردة : وهي :

- و/ أنت من الكافرين /

- و / أنا من الضالين /

- / تلك نعمة /

- / وما رب العالمين /.

الأوليان حاليتان، أولاهما خاتمة لمجموعة الجمل المتّهِمة موسى، والثانية مقابلة لها مدافعة ومصحّحة. ومقابلة كذلك للجملتين الواردتين في ردّه. والرسم الآتي يوضح ذلك :

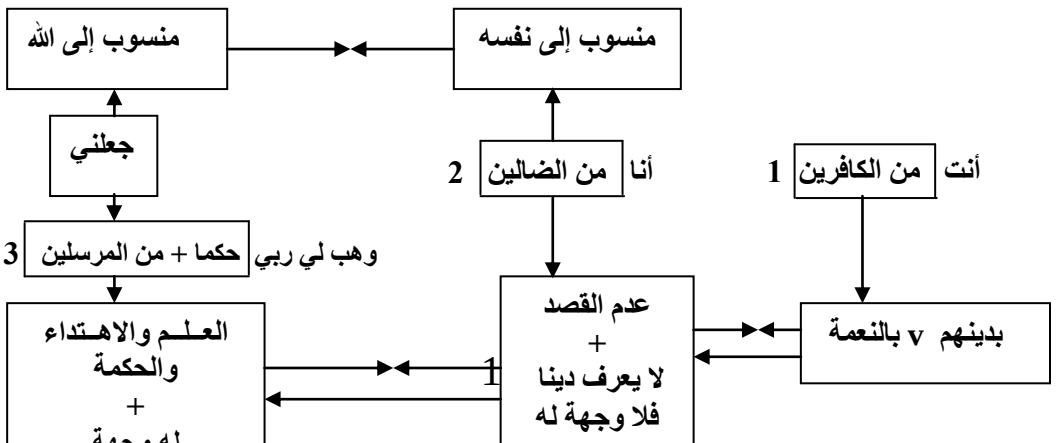

الفـرار
(انتقال إيجابي)

1 + 2 + 3 = تشاكل نحوي، وصوتي وإيقاعي.

ومما يدعّم تفسير الضلال بعدم معرفة دين آية الضحى[4].

أما الثالثة، فقد ورد موضوعها اسم إشارة إلى بعيد بعدا زمنيا وتهوينيا، كما أنه " إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يُدرى ما هي إلا بتفسيرها "[5]، وذلك مدعوم بهمزة الاستفهام المحذوفة، والصفة أو البدل[6] من المحمول النكرة :" نعمة " في قوله تعالى (أن عبدت).

– آخرها يشد فيها الـ (م إ) الذي وظفه فرعون في غير موضعه؛ " لأن "ما" سؤال عن الماهية أو عن الجنس... والمسؤول عنه ليس ترى ماهيته فتبين، ولا جنس له فيذكر "[7]، أو لأن السؤال بها " طلب لتعريف حقيقة الشيء، وتعريف حقيقة الشيء إما أن يكون بنفس تلك الحقيقة، أو بشيء من أجزائها، أو بأمر خارج عنها، أو بما يتركب من الداخل والخارج.." كما ذكر القاسمي [1]، ليصل إلى أنه " لا يمكن تعريف ماهية واجب الوجود، إلا بلوازمه وآثاره، وفي ذلك دلالة على " المباهتة والمكابرة والمرادّة " وكان عالما بالله تعالى ".

ب.الموسعة :

---

[4] سورة الضحى 7.
[5] الكشّاف. 163/4.
[6] إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن . 167/2.
[7] الزركشي . البرهان في علوم القرآن . تحقيق والعدم: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة . بيروت . طبعة ثانية منقحة ومحررة . د- ت . ج 43/4، 44.
[1] تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل . وقف على طبعه وتصحيحه، ورقّمه وخرّج آياته وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة 1398هـ - 1978م . مج 8 .ج13 .ص11، 12.

تدخل في إطار الحوار حول " **ماهية** " الله تعالى، باستثناء ثلاث تدور حول آيتي موسى عليه السلام هي: فـ / إذا هي ثعبان مبين/ ، فـ / إذا هي بيضاء للناظرين /، / إن هذا لساحر عليم /.

ونقف وقفة خاصة عند إجابات موسى عليه السلام، فقد كانت ، كما يقول المناطقة، جامعة مانعة، وقد بدأ جوابه بأسلوب الحكيم، عادلا فيه عما " يقتضيه السؤال تنبيها على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك". وبجمع إجاباته مع بعضها، يتضح تضافرها لبناء محتوى دلالي منطقي محكم مغلق، يثبت ربوبية الله تعالى لكل شيء : الإنسان والحيوان والجماد، والحي والميت، ممّا لا تتسع قدرة وملك فرعون لذرّة منه، فهو تعالى واهبهما :

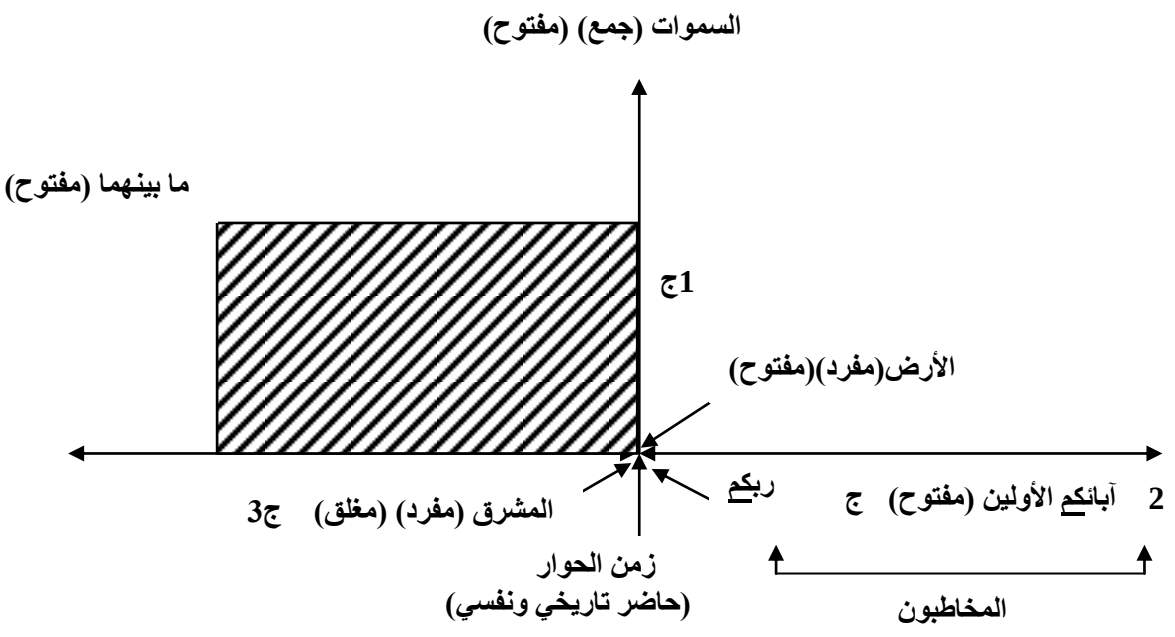

المغرب (مفرد)
(مغلق)

يلاحظ أولا حذف الـ (م إ) في هذه الجمل لأغراض :

– معلوم من السياق.

– تعظيما وتنزيها.

– تركيزا للاهتمام على المحمول.

يتضح الشمول والاتساع والإحاطة وتدريج الإجابات من خلال :

1– الأوسع أفقيا وعموديا في مجال مفتوح الطرفين (ج1) 2– الأدنى مرتبة : أفقي مغلق أحد الطرفين(ج 2) 3– محدود مغلق الطرفين وما بينهما مفتوح (ج3).

غلبة الامتداد الصوتي (بحروف المد خاصة الألف) :

السموات + آبائكم الأولين + ما بينهما.

أما الجمل المتبقية فهي : – " **إن كنتم موقنين** "، – " **إنّ رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون** "، – "**إن كنتم تعقلون** "، – " **إن كنت من الصادقين** "، – " **إذا هي ثعبان مبين** "، – "**إذا هي بيضاء للناظرين** "، – " **إن هذا لساحر عليم**".

ويسترعي الانتباه فيها :

1– توظيف أداة الشرط "إن" الملونة المركب الإسنادي بعدها بلون الاحتمال والشك[1] مما يلائم مقام المحاججة والتحدّي، متبوعة بفعل الكون الدّال على الرسوخ.

[1] " إن " لا يعلق عليها إلا محتمل الوجود والعدم : بدائع الفوائد .44/1، وتُرجّح في هذا السياق كفة محتمل العدم، في كلام فرعون تحديدا.

2- تواتر المؤكدات: (إنّ x 2 + ل x 2). وكلها جاءت في كلام فرعون.

3- مجيء "إذا" الفجائية x 2 في جملتين متتابعتين تبينان معجزتين. ودلالة المفاجأة فيها جعل انتقاءها يتسم بالدقة في تصوير التحوّل؛ فالحدث الخارق المترتّب يرجع في نسبة كبيرة منه إلى الاقتضاب الزمني الشديد المرتبط به، مدعوما بالاقتضاب الصوتي في نواة الجملة الوارد نسخة عوضت مرجعه (العصا واليد). ليفسح المجال للمحمول محور الجملتين وغايتها الإخبارية : " ثعبان[2] + بيضاء" اللذين وردا وفق الأصل اللغوي (- ال) موسَّعين بواسطتين : " مبين" من أبان القاصر بمعنى بان، والذي يشكّل جناسا مع سابقه (بشيء مبين) من أبان المتعدّي[3] لاختلافهما معنى، وهو نعت. والثاني : " للناظرين" : مركّب من عنصرين : لام النسبة المحتملة معنيين : التعدية أو بمعنى "عند"، والثاني أظهر كما ذكر ابن عاشور[4]. أما المجرور فمسبوق بمورفيم التعيين (ال) للاستغراق العرفي، بمعنى لجميع الناظرين في ذلك المجلس.

ووظيفة العنصر (مركّب النسبة) الحالية. وكلا المتممين يتظاهران لبناء فضاء الخارق المفتتح بـ " إذا "؛ فدلالتهما الظهور والوضوح المتضمَّنان في محمولي الجملتين.

4- اختلاف الخبرين بين الاسمية والفعلية في "موقنين" و " تعقلون"، الأول جاء وفق ضوابط اللغة المتعارف عليها عند جماعة المتكلمين المثالية. أما الثاني فيخالف الأصل، مع اكتسابه صفة الجواز، فهو انتقاء لأحد خيارين: - " عاقلين" تبعا للأول، وهو مفضول. - و"تعقلون"، وهو المفضّل. والوجه في ذلك أن أول المحمولين يكتسي لبوس الاسمية، وفيه ذهاب إلى الصفة دون تقييد، فهو من باب التلطّف، أما الثاني فقد جاء ردا على تهمة انتفاء صفة العقل الواردة في جملة تقريرية مؤكدة، فتقييده بزمن مستقبل بقرينة الشرط تنبيه إلى انتفاء الصفة عنهم، وإيقاظ لها، ودعوة إلى إعمال العقل[5]، ففيه تلطّف رغم ما زيد فيه عن الأول من إغلاظ.

---

[2] هو أعظم ما يكون من الحيّات: روح المعاني . ص 74.

[3] التحرير والتنوير . ص 123.

[4] التحرير والتنوير . ص 124.

[5] في ظلال القرآن . ج19. ص2593.، مع الإشارة إلى أن مادة "العقل" لم ترد في القرآن الكريم كله إلا فعلية كما ورد في مقدمة المحرر لكتاب : غالب حسن . نظرية العلم في القرآن . ص5.

5- تمظهر المسند إليه في الجملة الأخيرة في صورة اسم الإشارة، بما فيه من إبهام لا يزيله إلا خبره، الذي كان محور الدلالة المقصود تبليغها مع زيادة الاحتقار والاستصغار.

- مج ت 03:

تبدأ بالآية الثامنة والثلاثين، وتنتهي بالواحدة والخمسين. ينقل فيها الخطاب القرآني ثاني الجولات بين موسى عليه السلام وفرعون. ويدخل فيها طرف ثالث فاعل فاعلية فاصلة (السحرة). وفيها يُفسح مجال أوسع للحوار الفعلي (في مقابل القولي) قياسا إلى الأولى. كما أنها ذات طابع تصعيدي. وقد كانت لغتها مواكِبة لذلك دالة عليه بأحسن ما تكون الإشارة، كما سيتضح.

وتتشكل من الهياكل الآتية :

ف ب مو+م ت ت +[مت(مت)]+ م ت ت x 4 + ف ب مو + م ت إ + م ت ت x 2 = 11

تبدو متشاكلة هيكليا مع سابقتها؛ فدرجة التعقد لا تزال عالية، والحضور الإنشائي (الاستفهام والأمر) لا يزال قويا، ولا غرابة؛ فالسياق السردي والنفسي هو هو. غير أن خاصية تركيبية تتبدّى في هذه المجموعة، هي المفصلة بواسطة الفاء

التعقيبية السببية المهيمنة دون سائر وسائل الربط: (ف x 7 – واو x 2)، وهذا يحيل إلى الحركة السريعة، وهي من أبرز مظاهر التصعيد في هذه المجموعة.

1- الجملة الفعلية :

تم إحصاء: 22 وح إ ف من مجموع 36 وح إ، ولها فروع داخلية :

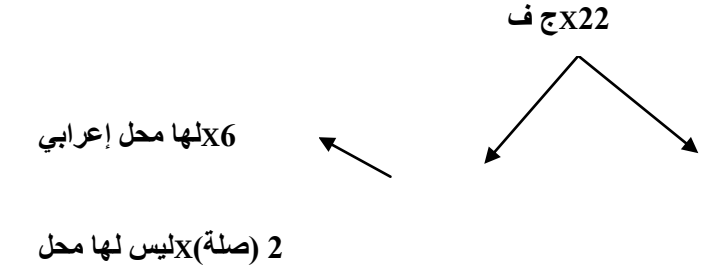

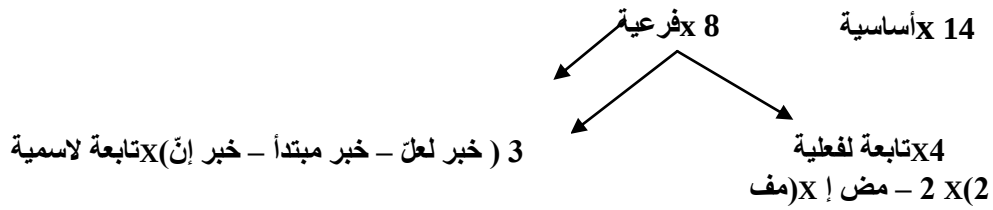

وهذا يعني أن الطابع الفعلي الحركي غالب، لا يضعفه استعارة الاسمية من جملة، بل على العكس، يقوى بتطعيمها نظيرتها بخاصيتها؛ لما لعنصر الفعل من قوة تأثيرية.

أ.المسند :

نسجل، أولا، أنّ أفعال القول قلّ عددها، قياسا إلى المجموعة السابقة، ولا أثر لحجمي المجموعتين في ذلك؛ لأنه في السابقة كان محورها (القول أو الحوار) بدليل انعدام السرد إلا في جملتين، أما في هذه فمجموع الجمل ذات الطابع السردي أكثر، وبعض أفعال القول مغموسة فيها، فهي حاملته (فعل القول) لا هو.

– خصائص المسند :

1. – معلوم x 19 – مجهول x 03 (جُمِع، قيل، أُلقيَ).

2.الزمن الصرفي

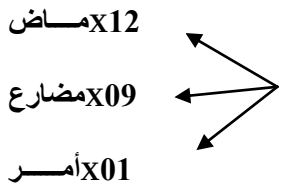

3.الزمن السياقي

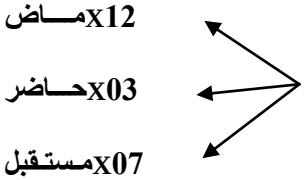

4.الافتقار والاكتفاء

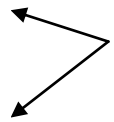

21 (محذوف المفعول : يأفكون + تعلمون)xمتعدِ

01 (جـــــاء)xلازم

ب.المسند إليه :

1.نوعه: – ضمير x 15 – ظاهر x 4 (السحرة، موسى x 2، ربنا)
– محذوف x 3 (ن فاعل).

2.مرتبته: – قارة (بعد المسند) إلا في موضعين: تقديم مركب النسبة عليه
(لهم موسى – لنا ربنا)

نوعه	صورته	عائده
جماعة المخاطبين x 4	متصل x 4	السحرة
جماعة غائبين x 4	متصل x 4	السحرة
جماعة متكلمين x 3	منصهر x 2	الحاشرون x 1
	متصل x 1	السحرة x 2
متكلم مفرد x 3	منصهر x 3	فرعون

ج.السوابق واللواحق :

نحاول حصرها في الجدول الآتي :

مف		مض إ	التوابع	ح	ظر	أد
المباشر	غير المباشر	10 مفرد 01 جملة	1– بـدل V عطـف بيان X 01 (رب موسى) 2– توكيـــد X 01	02 (سـاجدين – مـــن خلاف)	لمّا	– لام X 03 (توكيد). – سوف X 01 – أنْ (مصدرية)
15	07					

			(أجمعين) 3- نعت 01X (معلوم) 4- معطوف 03 X (عصيّهم – هارون – أرجلكم)			02 X
مج	22	11	06	02	01	06

1- غلبة المسند المعلوم المتعدي يصبغ الوحدات الإسنادية بخصائص دلالية تواصلية، تتركّز في التحديد والتدقيق في المحتوى المدلولي والثراء الإخباري؛ لِما يستدعيه المقام من بيان ذي مقصدية تأكيدية تأثيرية.

2- الحركة السريعة حقل دلالي تكاد تهيمن عليه العاكسة فعلا ماديا خارجيا، ويظهر ذلك من خلال :

أ- إخضاعها لمورفيم الربط : " الفاء " ذي الدلالتين : التعقيب والسببية. والفعل الوحيد غير الدال على حركة مادية، والذي سبق بها، خرج إلى دائرة الامتداد الزمني

بفعل قرينة الاستقبال البعيد (سوف)، التي ألقت بظلالها عليه، وحالت بينه وبين الفاء. ولو أن اللام السابقة تدخله في حكم المجزوم بوقوعه.

ب- الفعلين اللذين غُيّب معهما المسند إليه : جُمِع + قيل، والتعريف الاستغراقي فيما نُقلت حركتهما إليهما : السحرة + الناس، مع زيادة شحنهما بدلالات اليسر والتهييج والتحميس بفعل بقية المتممات (م ن + مر إ ض + ن + المقول).

ثالث الأفعال المغيّبة الـ (م إ) محوري في المجموعة؛ إذ إن حركته المندرجة ضمن الخارق، والمقتضبة الزمن، تمفصل بين وضعين على طرفي نقيض، كما أنه يُبقي السحرة في وضع الفاعل الموجِّه للأحداث، وتغييب الـ (م إ) تركيز لانتباه المتلقي على الحركة وما نقلت إليه كاملة (السحرة). ويجذب المسند إليه عنصر الحال في صورة اسم فاعل؛ تبيينا للحركتين : الخارجية والداخلية، وإشارة إلى أن الإلقاء كان نتيجة أثر قلبي[1] مُحدِثه هو الله تعالى، وهو

[1] ورد في الحديث الذي رواه الشيخان :" ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه " . وفيما ذهب إليه الزمخشري من تأويل لفعل الإلقاء في هذه الجملة مؤازرة وتصديق. انظر: الكشّاف . 167/4.

خلفية الخارق المتجسد في الحركة المادية الخارجية الذاتية، فالإلقاء غيره في السابقيْن (ألقوا حبالهم – ألقى موسى عصاه)؛ ففي هذين إخضاع، وفي (أُلقي) اختيار واقتناع. عنصر الحال، إذاً، حصَر الفعل في جهة تقيده، فباين السابقيْن، مع ما تحقق بينه وبينهما من مشاكلة[2] .

وتصبح الحركة بالغة الأثر إذا وضعنا في الحسبان أمورا:

* نتيجة الفعلين الأوّلين " جمع، قيل " من شهود حشد مشحون المباراة.
* السّحر كان حرفة مقدّسة لا يزاولها إلاّ كهنة المعابد[3].
* إعلانهم المدوي قبيل المباراة: " بعزة فرعون إنّا لنحن الغالبون ".

3– في مقابل أفعال الحركة الماديّة الخارجيّة، تبرز على سطح النّص أفعال آيلة إلى الحركة النفسية العقلية الداخلية: " نتّبع، آمنّا، آذن، علّمكم، تعلمون، نطمع "، وتتبادل التأثير مع السابقة.

4– تظهر دقة التوظيف الأسلوبي باستغلال الخصائص الصوتية والنحوية والدلالية للعنصر اللغوي، ليشحن بطاقة دلالية وكمّ إخباري يتلاءم والسياق المقالي والحالي، ومن أمثلته:

*–/تلقّف ما يأفكون/– / لأقطّعن أيديكم وأرجلكم من خلاف / –/ لأصلبنّكم أجمعين/.

* سرعة ظهور التمويه والتزوير في الفعل الإنساني (السحر) بمجرّد ملامسته الخارق الإلهي، تجسّده حركة التلقّف، وهي " أسرع حركة للأكل "[4]، والمتمظهرة مقتضبة صوتيا بتغييب مورفيم المضارعة، وتعدية الفعل إلى مفتوح الدلالة ، فلا ذات محددة له، وإنما هو صفة تحيل إلى حقيقته : " الإفك "، وهو يحيل سيميائيا إلى اللاجدوى. كما أنه يمتد ويتحرك على المستويين الظاهر والباطن للنص إلى النسق الأخير (ترتيبا) حتى " تنزّل على كل أفّاك أثيم". وأخيرا، فإن انتقاء العنصر جدوليا في صورة المضارع تحيين للصورة وتدليل على الاستمرار

---

(2) المشاكلة في هذا الموضع مأخوذة عن الزمخشري . الكشاف . 167/4. وهو معنى قريب مما ذكره د. مرتاض منسوبا إلى المنذري، والزمخشري سابقه بقرون. وهذا تأييد لحديث الدكتور حول تعامل العرب مع مفهومي التشاكل والتقابل . انظر: د. عبد المالك مرتاض. التحليل السيميائي للخطاب الشعري . دار الكتاب العربي . الجزائر . أفريل 2001 . ص11.
(3) الظلال . ص 2597 .
(4) الظلال . ص 2596.

في كلا المسندين : تلقّف + يأفكون، فاللقف متواصل؛ لأن المأفوك كذلك، إلى جانب كونه كثيرا (حبال وعصي)، ومستهانا به بالعدول إلى الموصول.

* يستدعي الخطاب القرآني حشدا من الوسائل اللغوية لبناء دلالة الترهيب في الوحدتين الإسناديتين الأخيرتين :

أ- العدول المورفولوجي إلى الصيغتين المضعفتين للمسندين، لما فيهما من شدّة وقوة.
ب- إحاطتهما بمورفيمي توكيد : اللام + النون الثقيلة.
ج- توسيعهما دلاليا ببسط الجهات التي قُيّدا بها:

(- مفعول x 2 + هيئة – مفعول + توكيد معنوي).

5- ينبئ المنطوق اللغوي عن هيمنة السحرة في صورتين: المسندان إليهما، والمفعول به (مباشرا و غير مباشر)، ويمتد حتى العناصر المتممة. ولا يقف الأمر عند

المستوى المادي الظاهري للنص، بل يتجاوزه إلى أطراف العملية التواصلية التي نجدها كما يأتي :

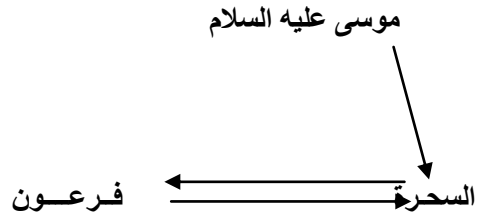

وينتفي التواصل بين موسى عليه السلام وفرعون؛ لانتفاء أسبابه بالحسم في المجموعة السابقة.

2- الجمل الاسمية :

يقارب عددها ثلثي الفعلية: $\frac{14}{22}$. مع الإشارة إلى مساواتها نظيرتها في المجموعة السابقة عددا.

ونحاول حصر مكوناتها وأبرز خصائص طرفي الإسناد فيها في الجدول الآتي:

م إ		م		ع مو	
نوعه	مرتبته	نوعه	مرتبته	أد X 21	لواحق
1. ضمير x 12	الأول x 01	مشتق x 06	الثاني x 01	إنّ x 06	توكيد x 03
عائده	الثاني x 09	م ن x 02	الثالث x 06	كان x 03	نعت x 01
السحرة x 08	الثالث x 03	ج ف x 03	الرابع x 03	إنْ (شرط) x 02	القسم x 01
البقية موزّعة بين:	الخامس x 01	مض x 02	الخامس x 04	هل x 01	م ن x 01
الناس، العصا،		محذوف x 01		همزة x 01	
الحاشرون، موسى		(لا ضير)		لام مزحلقة x 04	
2. ظاهر x 2 :				لا (نفي) x 01	
أجرا – ضير				إذا (مفاجأة) x 01	
				إذًا (جواب) x 01	
				لعلّ x 01	

1- تباين السابقة في ترجيح كفة نوع بعينه من العناصر الموسعة للوحدة الإسنادية: وسائل التوكيد.

2-متطلبات السياق والغرض الإبلاغي يفرضان على التراكيب وظائف نحوية ودلالية مقيِّدة، تجعلها خاضعة لما قبلها موسعه له، إلى جانب البناء المدلولي الذاتي الذي تشكله سلسلة الملفوظات : لحمة الإسناد وما يتحلّق حولها. فالجمل تؤدي دورين:

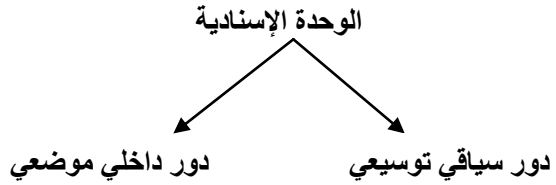

وإذا عرفنا بأن العناصر الموسعة متواترة باطّراد في هذه الجمل، باستثناء واحدة، تبين ثراء الوظيفة التوسيعية للوحدات المشكلة لهذه الجمل، وبالتالي ثراء الكم الإخباري.

وأبرز الوظائف السياقية النحوية هي:

– " المفعولية " و " التعليل" في مثل : " هل أنتم مجتمعون، لعلنا نتبع السّحرة "[1]، و" أئنّ لنا لأجرا "، و" لا ضير إنّا إلى ربّنا منقلبون، إنّا نطمع أن يغفر لنا ربّنا خطايانا أن كنّا أوّل المؤمنين."[2]

– والتّقييد في: " إن كانوا هم الغالبين ".

– الموصوليّة في: " أنتم ملقون ".

– الإخضاع في: " إنّكم إذا لمن المقرّبين ".

3– بسبب من الدّور السّياقي الإخباري، خضعت الجمل لدرجات من التغير مسّت عناصرها في تموضعها الصّوتي، وتوزيعها، وكذا الكمّ التّركيبي للجمل:

أ– التّمظهر الصّوتي:

◆– **<u>أساس الجملة المخبر عنه</u>:**

ورد في أغلبه ملفوظا أدنى غير متحرّر البنية ملتصقا بالنّاسخ، باستثناء ثلاث صور استقلّ فيها خطّيا، لكنّه في جميع الحالات غير مكتف ذاتيّا في المستوى الدّلالي، وهو ناتج عن عمليّتين: إزاحة للأصل، وإحلال لنسخته محلّه. وهو تحويل اقتضاه السّياق، فهو مذكور سابقا، باستثناء حالة واحدة تدخّل فيها الغرض الإبلاغي بكمّ دلالي زاد شحنة جديدة إلى العنصر اللّغوي، هي التحفيز في: " إنّه لكبيركم "، كما فرضت صورته هذه مجيئه مسلوب السّمة الحركيّة (مبنيّ).

الصور المتبقّية له حافظت على الأصل النحوي: مسند إليه مستقل بنيويا، لكنّه في الوقت نفسه سُلب التّعيين باعتباره خاصيّة مورفولوجيّة تقتضيها وظيفته النّحويّة: " أجرا "، " ضير". تنازل ثانيهما عن سمته الحركيّة خضوعا للعنصر الطّارئ حدًّا أيمن للجملة.

---

[1]- على اعتبار أن لعلّ لها من معانيها : الترجي والتعليل. أنظر: المغني .471/1. وهما معنيان نرى جملتها هذه تحتملهما معا بتأثير منها (لعل)، ومن الموضعة السياقية للجملة.

[2] التعليل في الجمل الثلاث الأواخر قال به الألوسي . روح المعاني . ص89. والقرطبي . الجامع لأحكام القرآن . مج 7 .ج 13 . ص77.

◆- **النّواة المخبر به:**

يخفت أثر السياق في تحديد الصورة اللفظية له، لحساب الحركة الداخلية المغلقة للجملة، دون أن ينعدم تماما. وعلى اعتبار أنه العنصر الحامل جديدا إلى المتلقي، فقد اختيرت له صور متعددة تتناسب وطبيعة المعلومة أو الخبر الذي حُمّله. يمكن حصرها في صورتين :

1- قواعدية[1] : غير معرّف x 6 (مشتق : اسم فاعل) + معرف x 2 (مشتق : صفة مشبّهة + جامد)

2- فرعية : خبر صوري x 2 + جملة فعلية x 3

3- محذوف x 1. ولم ندخله في تعداد ما سبق على اعتبار أن لا صورة لفظية له.

ب- التّوزيع:

حافظ طرفا الإسناد على موقعهما الأصلي في جملة واحدة: " أنتم ملقون " .
أما فيما تبقى، فقد غلب على الموضوع شغل الموقع الثاني، والمحمول الثالث، واستأثر بالموقع الأول العنصر الموسع السابق. ويلفت النظر جملة تأخر فيها الـ(م إ) إلى الحد الأيسر: " أئنّ لنا لأجرا ".

ج – عدد العناصر المشكلة للوحدة الإسنادية :

الجملة نظريا تتشكل من معقد الإسناد : الموضوع والمحمول؛ لتحقيق التشبّع النحوي والانغلاق الدالي، لكنها فعليا لم تتمثل إلا في جملة واحدة نحويا فقط؛ لأنها وظيفيا أُلحقت بعام مبهم؛ لتحديد دلالته (ما أنتم ملقون).

[1] والمقصود بها الصورة الأصلية له؛ لأن له صورا أخرى فرعية تأخذ صفة الجواز (الصوري، الجملة) كما سيأتي.

أما البقية فكلّها موسَّعة، أغلبها من طرفها الأيمن، وقد لعبت هذه الحدود الطارئة دورا مهما في تشكيل البنية المدلولية، وتوصيل المقصد الإبلاغي، يبقى الطرفان قاصرين عنهما دونها.

ونمثل لما سبق بما تواتر مما يشكّل ملمحا أسلوبيا، وبما يبدو لنا قادرا على إعطاء صورة للشبكة المدلولية والغاية التواصلية، ولو بصورة مجملة :

1- **وسائل التوكيد** :

هي أكثر الملفوظات الموسعة دورانا، وصلت إلى أربع في وحدة إسنادية تتشكل من ستة عناصر : " بعزّة فرعون إنا لنحن الغالبون ". وقد كانت " إن " الأداة المفضلة على سواها، بعدها اللام المزحلقة، فالعماد فالقسم أخيرا.

- **إنَّ** : يشمل أثرها النحوي السمة الحركية لمدخوليها، وموقعة اللام، أما دورها الدلالي، فهو تقوية لجملة الإسناد؛ ذلك أن الخبر كان " بأمر يبعد مثله في الظنّ "[1]، فهي وسيلة مدافعة وممارسة ضغط على المتلقي لدفعه لتقبّل المحتوى

الدلالي المشكَّل؛ لأنه ظان في خلاف ما يخبر به، عاقد قلب على عكسه[2]؛ ولذلك استدعت "إنّ" في أكثر من موضع ما يدعِّم وظيفتها من بنات جنسها، وأولها وأكثرها مرافقة لها اللام؛ لأن مجيئها معها لا يكون " إلا لضرب من المبالغة"[3]. فالتعالق بين المحمولات والموضوعات ضعيف متوتّر، والبنية النحوية والدلالية بالتالي ناقصة مفتقرة إلى التقوية والتثبيت، رغم كون السّمة الاسمية للجمل تحمل في طياتها هذه الخاصية (الثبوت)، ما لم يستند المركب الإسنادي إلى الوسائل اللغوية المؤكدة.

---

(1) الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص297.
(2) المرجع السابق.
(3) ضياء الدين بن الأثير . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق د.أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة . دار الرفاعي.الرياض .ط2. 1983. ج2 . ص270.

وقد كانت تقوية العقدة درجات، بحسب عدد ونوعية وسائل التوكيد الظاهرة على السطح. وتنبئ موضوعات الجمل وأفعال القول أن أعلى درجات التوكيد كانت في الملفوظات الصادرة عن السحرة قبل إيمانهم، وعن فرعون.

وهي صيغ أسلوبية منبئة عن مواقف وحالات نفسية سمتها الاضطراب وعدم اليقين والحدة والمعاندة المتصلبة، "حتى كأنّ هذه اللغة اشتُقَّت من أجل تلك المواقف وتلك الشخصيات، ولتعبّر عنها بالخصوص"[1].

2. يظهر الأثر الإبلاغي بقوة في الانحياز في لغة الإعلام، بممارسة الضغط التأثيري لشحن الناس؛ قصد ترجيح كفّة أحد طرفي المباراة، مع ما تضمنته المرسلة من تشويه وتزييف، فطبيعة المرسِل والمرسَل إليه فرضتْ عليها لغة محددة :
– **أداة الاستفهام** " **هل**" باستغلال طابعها الطلبي التحفيزي، مع إفراغها من دلالتها المتواضع عليها في العرف اللغوي، ليصار بها إلى دلالة حافة هي الحث والاستعجال[2].

– محاصرة المسند بأداة التوقع[3] الملاصقة المسند إليه؛ دلالة على شحنه بمعناها (لعلنا)، والتوجّه المعنوي بقي غير واضح، لكن التتابع الخطي انتقى من العناصر ما يتلاءم ويتآلف لبناء المحتوى المرغوب، فجاء المسند في صورة الفعل المضارع

المصهورة فيه نسخة ثانية للمسند إليه الأصلي (الحاشرون والناس)، وصورته الفعلية الاستقبالية الزمن بتأثير من (لعلّ) دالة على التجدد والاستمرار. ويأتي أخيرا الطرف الأيسر (المفعول المباشر) الذي يمثّل قمة المحمول؛ فعناصر الجملة – في الغاية التواصلية– جميعها متجهة إليه، متجمعة لأجله، فالمحمول محصور بين عنصرين، متضافر معهما؛ تلوينا للرسالة بلون خاص :

لعل+ نا(نحن + أنتم)

(1) طول محمد . البنية السردية في القصص القرآني . ص184.
(2) روح المعاني . ص77.
(3) وهو " ترجي المحبوب والإشفاق من المكروه، وتختص بالمكن": مغني اللبيب. ج1. ص471.

↓ ⟵ السحرة

نتبع (نحن + أنتم)

هذان نموذجان كافيان لشرح ما جيء بهما تمثيلا له، وقياس ما عداهما عليهما.

3- نجد جملا تبدو في ظاهرها جملة واحدة مع اختلاف طفيف، لكن السياق ينفي عنها صفة التكرار، وهي :

1. " إن كانوا هم الغالبين "
2. " إن كنا نحن الغالبين "
3. " إنا لنحن الغالبون "

- فنواتها جميعها واحدة، غير أنه في الجملة الأخيرة محلّى بسمة حركية مخالفة للسابقيْن؛ لتغيّر العامل النحوي، وكذلك مرتبته واحدة. وقد ورد مشتقا مُشرَبا حركية.

- العماد الوارد زمرة نسخ كالمسند إليه، وقد أدى دور تخصيص المحمول بموضوع الجملة، مع نفي اشتراك غيره معه، ونفي احتمال تحوّله إلى سواه.

- المسند إليه الموحّد المرجع مع اختلاف نوعه كالعماد: غائب في الأولى، ومتكلّم في الأخريين.

- فعل الكون الحامل معنى الرّسوخ[1]، والذي تخلو منه الجملة الأخيرة؛ إذ استبعد وجيء في خانته باللام المزحلقة.

- أداة الشّك، والتي افتتحت بها الأوليان، لتترك مكانها في الأخيرة لوسيلة اليقين. ويتدخّل السّياق الحالي والمقالي إلى جانب العناصر المتباينة بين الجمل ليعمّق القيم الخلافية، ويجعل وجودها جميعها ضرورة. ويمكن أن نصل من ذلك إلى ما يأتي:

[1]- البقاعي . نظم الدّرر . ص359.

أ- تجمع الجملتان الأوليان بين وسائل الشّك " إنْ " ووسائل اليقين " هم " + التّعيين؛ للجمع بين مقاصد متباينة: في الأولى: الإلهاب[2]، وإظهار الإنصاف استجلابا، مع القطع بظفر السّحرة تقديرا[3]. وفي الثّانية: الجزم بالغلبة مع التّخويف؛ دعما لمضمون الجملة " أئنّ لنا لأجرا"، ففيها خوف من عدم تحقّق الملكية بين المسند المحذوف والمستعاض عنه بخبر صوريّ (لنا)، والمسند إليه (أجرا) الوارد مسلوب التّعيين؛ توجيها إلى صفته المحذوفة (تعظيما)، فلم يكن للسّحرة " علاقة بعقيدة أو قضيّة، إنّما هو الأجر والمصلحة"[4]. وللسّبب نفسه سيق الطّلب مساق الاستفهام أدبا مع فرعون. وفي الوقت نفسه قابلوا خوفا بتخويف، وخوفهم تصرخ به عناصر الجملة السّابقة " أئن لنا لأجرا"، وخصائصها: حشد وسائل التّوكيد: إن + اللاّم، وتقديم النّواة على الأساس وإن كان إجباريّا.

- الجملة الأخيرة، بتأثير من السّابقة " نعم، وإنكم إذن لمن المقرّبين " المغطّية شكّا بيقين؛ إذ زادت عن الأولى تأكيدا سواء في العناصر المشكّلة أو في إجابة الطّلب. جاءت في قمّة الجمل المؤكّدة، بداية بالقسَم بـ : "عزّة "[5] فرعون. ثم صهر الموضوع في أداة التّوكيد، فاللاّم والعماد، وتعيين المحمول أخيرا. فهو تصريح قويّ يجعل أثر ما سيأتي من قول وفعل كالصّاعقة.

4- قول السّحرة: " لا ضير": ملفوظ أدنى يستغني بأقلّ حدّ ممكن من العناصر لبناء دلالة ثريّة، وتحقيق ضغط إبلاغيّ شديد على المتلقّي، وقد كان للسّياق دور كبيرفي ذلك. وهو مقابل لما سبق تحليله، وخاصّة لتهديد فرعون القويّ الرّهيب، " والمقابلة نوع من التّحدّي بين المعاني والمنافسة في الظّهور" [1]. والطّريف أنّ المقابلة كانت بملفوظ أدنى لملفوظ موسّع، رغم أنّه أُتبِع بسلسلة موسّعة، غير أنّها تابعة له؛ لأنّها معلِّلة[2]. ويرجع ذلك الاقتضاب والتّغير القولي إلى التّغيّر النّفسي والفكري.

بُدئت الجملة بأداة سلب عامّ ممتدّ متواصل:

---

[2]– روح المعاني .ص 77.
[3]- نظم الدّرر.ص 358.
[4]– الظّلال . 2595.
[5]ومادّة "عزّ" دائرة في استعمالاتها حول معنى الشّدّة والصّلابة.أنظر: محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي . القاموس المحيط . ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي. إشراف مكتب البحوث والدّراسات. دار الفكر.بيروت.لبنان.1425- 1426 2005 م .ص 465.
[1]– أحمد الشايب . الأسلوب؛ دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية . مطبعة النهضة المصرية. القاهرة. ط 6، 1966م. ص197.
[2] نقصد الجملتين الأخيرتين : " إنا إلى ربنا منقلبون، إنا نطمع ..."

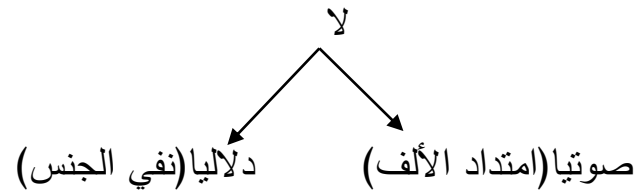

م إ : المسلّط عليه النّفي دلاليّا، وصوتيّا : بسلبه سمته الحركيّة وتعويضها بعلامة البناء.
م : المتّسمة خانته بالشّغور؛ إمعانا في تعميم السّلب.

– وأخيرا، فإنّ الخطاب القرآني يدعم مظاهر القوّة في الملفوظات وفي العلاقات المتولّدة من نظمها أفقيّا، بمظاهر القوّة في الأصوات المشكّلة لها؛ ذلك أنّ الجملة المعلِّلة الأولى(إنّا إلى ربّنا منقلبون) تتشاكل أصواتها في كونها جميعها مجهورة باستثناء " القاف ".

– مج ت 4 :

تمتد من الآية الثامنة والخمسين إلى السادسة والستين، وهي خاتمة قصة موسى عليه السلام. وتحتوي التراكيب الآية :

م ت ت × 2 + ف ب مو + ف ب مج + ف ب مو + مت + م ت ت × 2 + ف ب مو × 2 + ف ب مج = 11

1– ارتفاع نسبة الجمل البسيطة مقارنة إلى المجموعات السابقة، بل إلى كل ما سبق (النسقان الأول والثاني). إذ تصل إلى $\frac{6}{11}$ ، أي أكثر من نصف التراكيب.

2– انخفاض نسبة أفعال القول إلى اثنين ملفوظين، وآخر مضمر.

3– تشاكل سابقتها في ارتفاع نسبة المفصلة بالفاء : (08)، دلالة على السرعة والتعاقب. أما الواو فنسبة تواترها مرتفعة قياسا إلى السابقة؛ إذ تصل إلى 06 مرات باعتبارها رابطا حديا خارجيا. وتدخل (ثم) رابطا جديدا.

هذا الملفوظ يهدي إلى :

أ– قلة التعقّد دالة على التمايز والوضوح، وهي طبيعة النهايات عموما.

ب- انفكاك العُقد يشي بسرعة السريان والتجمع في نقطة النهاية، وهو ما جسدته الفاء.

جـ- انسحاب القول مظهر تباعد الفريقين، وترك المجال للحدث المسرود ليعضد القول في إنهاء ما كان قد أدى دوره في إنهائه والفصل فيه.

1- **الجملة الفعلية :**

تشكل نسبة 15 من مجموع 22 جملة.

1- م		**2- م إ**			**3- مف**			
متعد × 13	**لازم × 02**	**نوعـه**			**مباشر × 11**			**غ مباشر × 6**
- ماض × 10* - أمـر × 02 - مضارع× 01	**- ماض × 02**	**ظاهر×3 فرعون الجمعان**	**ضمير×12 - جماعة متكلمين × 7**	**مرجعه الله تعالى**	**ظاهر×7 حاشرين بني إسرائيل**	**ضمير×4 - جماعة غائبين×2**	**عائده فرعون وملؤه + موسى وأصحابه**	**إلى موسى بعبادي**

4- ع مو		أصحاب موسى	- مفرد مخاطب × 2 - مفرد غائب × 2 - جماعة غائبين × 1	موسى (ع.س) الله تعالى + البحر فرعون وملؤه	البحر الآخرين × 2 موسى (ع.س) مقول قول	- مفرد غائب × 1 - متكلم مفرد محذوف	الجنات وما عطف عليها موسى (ع.س)	في المدائن من جنات إلى موسى بعصاك
السوابق	اللواحق							
- إن (تفسير) × 2 - لمّا	- م ن × 2 - ح × 1 - مع × 3 - ن × 1 - ظر × 1 - مف معه × 1 - توكيد × 1							

جدول تفصيلي للمكونات المباشرة للجمل الفعلية

1- الأفعال كلها مبنية للمعلوم، يتوافق زمناها الصرفي والنحوي، عدا واحد (سيهدين). يطغى عليها تواتر الماضي $\frac{12}{15}$. وترتيب عناصر الجمل قار باستثناء ثلاث تقدّم فيها المتمم (م ن + ظ) على المفعول، وهي حالة من التواتر في

اللغة العربية تكاد تكتسب صفة القانون – مع التحفظ الشديد –. وأخيرا، فإن الخبر فيها يطغى على الإنشاء (فعلا أمر). كل هذه الخصائص تدل على إعادة الأشياء إلى وضعها الطبيعي الأصلي.

2- طغى المسند إليه في صورة ضمير جماعة متكلمين عائده الله سبحانه وتعالى، فهو ضمير عظمة $\frac{7}{15}$، هذا في حالة موقِع الفعل المباشر؛ إذ نجده فاعلا غير مباشر في الأفعال المسندة إلى موسى عليه السلام : " – أسر – سيهدين – اضربْ "؛ لأن فعلي الأمر مطابقان

للفعلين المسندين إلى رب العزة " أوحينا × 2 "، يدعم ذلك ذكر استجابة موسى عليه السلام، فهو، أولا تحصيل حاصل، وثانيا تركيز لدائرة الاهتمام على الفعل الإلهي؛ فموجدها هو الفعل الإلهي، وكذلك الثالث : هو فعل مستقبل معلّق بالتوجيه الإلهي، فهو في حيز الغائب، أصبح موجودا في صورة " اضربْ " بفعل " أوحيْنا ".

3- الفعلان : " أخرجنا " و " أزلفنا"[1] حُمّلا مدلولات وأسندا إلى ما يقود المتلقي إلى غاية إبلاغه تُحرّك فعلا عقليا لبناء أثر نفسي مهم في منظومته العقدية؛ فالظاهر هو أن فاعلهما فرعون ومن معه باختيار، بل بحرص وإصرار شديدين يُستشفّان من جملة : " فأرسل فرعون في المدائن حاشرين"، فالإرسال كان سريعا إلى جميع المدائن[2]، والشمول يُستفاد في حرف النسبة " في" و " الـ" الاستغراقية، والمفعول مسلوب التعيين، دلالة كثرة وعدم انتقاء، كما يفهمان من الرسالة التي حُمّلها الحاشرون إلى المحشورين، لكن الخطاب القرآني عدل عن ذكر هذا الفاعل – وإلا كانت الجملة مفرغة الفائدة وظيفيا – وزحزحه إلى مرتبة الواقع عليه الفعل، وأسند الفعل إلى فاعله الحقيقي : الله تعالى، لا بمباشرة الفعل، بل بتهيئة الأسباب[3] المادية والنفسية ليظهر إلى الواقع كما كان، وكذلك كان.

4- وتظهر قدرة وقوة الفاعل الحقيقي في شمول فعل الإخراج الذي تجسده العناصر الموسِّعة لمحتواه المدلولي، فقد كان إخراجا نوعيا بتحديد مواضع ابتدائه :

الجنات، والعيون، والكنوز، والتي وردت جميعها جمعا غير محددة (– الـ)، ثم المقام الذي عُيّن بصفته (الكريم)[4]. ولبروز القدرة والقوة والعظمة في هذا الفعل بالذات، إلى درجة استثارة تعجب المتلقي؛ جاء مركب النسبة (كذلك) حدا أيسر للجملة إتماما للدورة الدلالية، وتثبيتا لصحة الخبر. وقد ورد الطرف الثاني من المركب في صورة اسم إشارة إلى البعيد تعظيما، وإبهامه يقتضي مضافا إليه محذوفا يمكن تقديره (الإخراج)[5]، مع الإشارة إلى أنّ مواضع ابتداء الفعل إيجابية الدلالة : مظاهر نعمة.

---

[1] وقد فسر بمعنى : أهلكنا وجمعنا وقدمنا وقربنا. وهي معان " متقاربة يرجع بعضها إلى بعض" . ابن قتيبة . تفسير غريب القرآن . ص 317، 318.

[2] جمع : مدينة، أي البلد العظيم، ومدائن القطر المصري يومئذ كثيرة ". التحرير والتنوير. ص 129.

[3] انظر تفصيل هذه الأسباب في : - التحرير والتنوير. ص 136- ونظم الدرر. ص 363. 364.

[4] المقام : المنازل، وكريم : على النهاية من الحسن حتى أنه لا يقال فيه : ليته كان كذا، أو كان فيه كذا : نظم الدرر. ص 363.

[5] نظم الدرر. ص 364.

5- يتقدم السياق مواكبا الأحداث، ومُخرِجا إياها في بناء لغوي يتضافر مع سابقه ولاحقه لبناء المحتوى المدلولي السابق، والغرض التواصلي المذكور آنفا. ويظهر ذلك في السلاسل الملفوظية الآتية:

- / سيهدين / ف / وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر / ف / انفلق /

الفعل الأول، كما سبق، معلّق، لكن إدخال مورفيم الاستقبال يدخله في حيز الوجود بالقوة؛ لأنه مدفوع إلى ذلك بقوة اليقين والثقة المطلقين. ويصوّر الخطاب القرآني ذلك بتوظيف ثنائية :

غياب طور الدعاء لفظا على مستوى النص.

الحضور والغياب

حضور الاستجابة بسرعة : مورفيم التعقيب والسببية.

وقد حذف مفعوله رعاية على الفاصلة، وتركيزا على عقدة الإسناد.

رغم أن الفعل يدخل في حيز الخارق، ولا يعزّ عليه تعالى إيقاعه دون واسطة، غير أن حكمته اقتضت – تكريما لنبيه ودعما – أن يكون موسى فاعله بواسطة عصاه؛ ولذا، قدّم مركب النسبة : باء الاعتمال[1] أو الاستعانة[2]،

والمجرور الوارد مركبا إضافيا متلاحما(عصاك)؛ تخصيصا دلالة تكريم، وأُخّر المفعول؛ لأن تعدي الفعل إليه لا يكتسب صفة المعجزة إلا بوسيلة محددة هي (عصا موسى). ورغم أن الوسيلة في مقابل المفعول لا تكاد تظهر ضآلة، إلا أن النتيجة وزمن وصورة حدوثها (فانفلق) تُصوّر الخارق على طريقة القرآن في نقل وتصوير المشاهد، بما يستثير خيال المتلقي لتحريك تفاعله وتبليغ أثر نفسي محدد :

[1] الثعالبي . فقه اللغة وأسرار العربية . ص376 ، 377.
[2] المغني : 175/1.

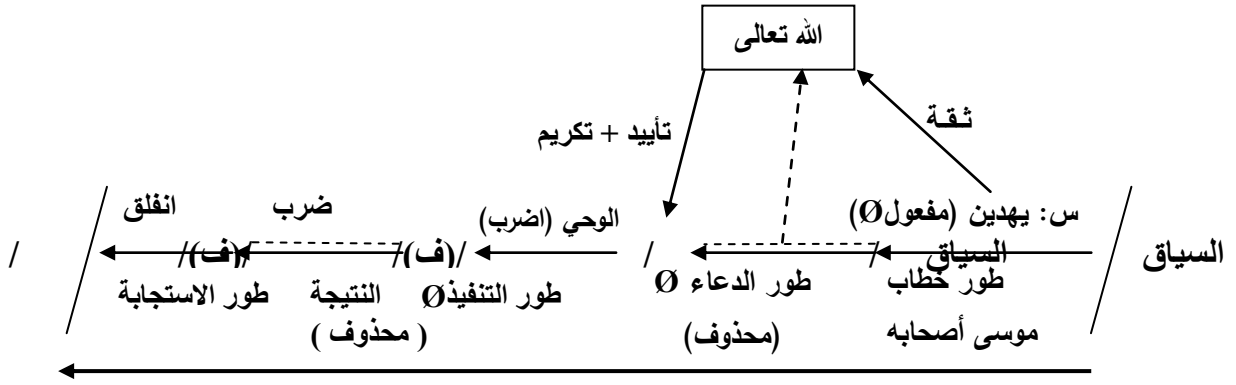

تعاقب دون مهلة + حذف = سرعة + تكثيف

6- تنتهي المجموعة بجمل فعلية بسيطة :

و/ أزلفنا ثم الآخرين / و / أنجينا موسى ومن معه أجمعين / ثم / أغرقنا الآخرين/.

يسترعي الانتباه تزامن الإزلاف والإنجاء، وتراخي الإغراق عنهما. وقبل ذلك وصل الجملة الأولى بالواو، والأرجح أنها معطوفة على محذوف يقتضيه السياق تقديره : فأدخلنا بني إسرائيل فيما انفلق من البحر وأزلفنا[1]. وهو جمع للأفعال الثلاثة تنبيها على عظيم القدرة المسيّرة، والترتيب السياقي يومئ إلى الترتيب المكاني في المشهد الواقع، وعطف الأفعال إبراز لأهمية المسند إليه الموحد بينها، فهو مركز الدائرة المتحلقة حولها الأفعال في مسار واحد. وتقييد فعل " أزلفنا " بمكان وقوعه في صورة إشارة إلى مكان بعيد مقدَّما على المفعول به بيان للعظمة، وكذا في آخر متمم لـ: أنجينا(أجمعين). والإزلاف والإغراق كانا " للآخرين" دون تسمية احتقارا وإراحة منهم. أما الإنجاء فكان لـ: " موسى " المذكور إكراما، والملحق به " من معه " إيماء إلى كونه السبب في تعدي الفعل إليهم. واكتفى الخطاب القرآني بأقل عدد من العناصر اللغوية مما يقف حدا فاصلا بين تمام البناء الدلالي ونقصه، تعميما، ودلالة على اليسر(أغرقنا الآخرين)، وتحريكا لخيال المتلقي. ذلك، مع دقة في انتقاء مورفيمات المفصلة، آخرها " ثم "[2]، فمعناها قريب من معنى الثم، والمهلة بين الطرفين أقرب إلى المعنوية منها إلى

[1] نسبه في روح المعاني إلى مجهول بعد تأويله الخاص، فهو مرجوح عنده، وهو، فيما يبدو لنا، كما ذكرنا، إذ فيه سد للثم. انظر : روح المعاني. ص 89.

[2] " ولفظها كلفظ" الثم "... وأصله من ثممت البيت، إذا كان فيه فرج فسدد بالثمام " : ابن القيم. بدائع الفوائد. 84/1

الزمنية؛ لما بين الفريقين من بعد معنوي[1]، فهي هنا ليست لسد الفرجة، بل لإثباتها. وأخيرا، فإن المقاطع الصوتية المغلقة في الجملة الأخيرة ضعف المفتوحة (6 – 3).

– الجمل الاسمية :

تشكل ما يقل بأقل واحدة عن نصف الفعلية $\frac{7}{15}$. والملفت فيها أنها جميعها :

– موسعة منسوخة بـ [إن × 6 – كان]– ثلاثة منها من كلام فرعون في رسالته التي حمّلها الحاشرين– اثنتان من كلامه تعالى، الأولى معلَّلة بالأمر بالسّرى، والثانية في وصف البحر بعد انفلاقه.

– واحدة هي كل ما قاله أصحاب موسى حين رؤيتهم فرعون وجنوده – والأخيرة من رد موسى عليه السلام على أصحابه.

– إضافة إلى ما بينها من تشاكل نحوي مورفولوجي، يُظهِر التأمل وجها آخر، هو أنّها جميعها – باستثناء اثنتين – انعكاس لغوي لحالات نفسية قوية، تولت وسائل التوكيد إظهارها على سطح النص : إن، اللام المزحلقة، التبادل الموقعي بين المحمول والمتمم، تعدد المحمول في الجملة الواحدة.

– أكثر صور الموضوع : الضمير المتصل $\frac{4}{7}$.

– أكثر صور المحمول : المشتق النكرة $\frac{5}{8}$.

1– كلامه تعالى :

أ– " إنكم متبعون":

جيء بها تعليلا للأمر بالسرى بعباد الله، المضافين إليه تكريما ورعاية، ففيها تقوية لعلاقة الإسناد بالناسخ، وانتقاء لإحدى صور المسند من جدول البدائل؛ لما فيها من خصائص صوتية ومورفولوجية ونحوية تؤدي دور تعليل أمر بانتقال نوعي كبير في زمن غير

[1] روح المعاني. ص89.

عادي (الليل)، فهو اسم فاعل في صورته المضعّفة التاء دون المخففة (متبوعون)؛ لما فيه من دلالات التقصي واقتفاء الأثر والإلحاح في الطلب، كما أنه حالي الزمن رمزا إلى سرعة الملاحقة حتى كأنه يزامن الأمر بالسُرى. فتعالق دلالات الملفوظات يفرز إثارة الشعور بالخوف تغطية لما أثارته السلسلة الخطية المعلَّلة من شعور بالمفاجأة والتردد، كل ذلك دفعا إلى السرعة في التنفيذ.

ب- " فكان كل فرق كالطود العظيم" :

يشد فيها التغيير الصوتي في (فِرق) عن السابق (انفلق)؛ إذ يجوزان كلاهما[1] بالراء أو باللام، وكلا الصوتين لثوي المخرج، متوسط بين الشدة والرخاوة مجهور، إلا أن اللام جانبي والراء تكراري[2]، ولعل هذا هو سبب العدول إليه في الثاني؛ فالبحر بعد انفلاقه غدا أجزاء (بدلالة كل)، لكنها أجزاء متماثلة، كأنها واحد له نسخ عديدة (بدليل الإفراد في : فِرق، وفي المشبه به : طود)، فكانت صفة التكرار في الراء أنسب لوصفه. وتماثل الأجزاء دليل تمام القدرة، كما يظهر تسخير الخصائص الصوتية لخدمة المستوى الدلالي، في صوتي : الطاء المضعّف والظاء المفخّمان دلالة على ضخامة الموصوف، داعميْن بذلك دلالتي الصفة والموصوف (الطود[3] العظيم). كما أم طرفي الإسناد وردا مركبين استقصاء لجوانب الدلالة:

- الموضوع ببنيته المزدوجة (مر إض) أدى مدلولا بينا به تدقيق ووضوح.

- والمحمول ببنيته المركبة تركيبا مضاعفا (م ن + م و) ممّا أكسبه إبانة وتدقيقا تامين جعلا الخبر الصوري مغنيا وظيفيا عن الحقيقي؛ إذ وصل بالوحدة الإسنادية إلى درجة التشبع النحوي والاكتمال الدلالي. والمستويان، متحدين، يفرزان غاية تواصلية هي كمال القدرة وتمام تصرّف الخالق فيما خلق كيفما شاء، خاصة حين خرق السنن وتعطيل الأسباب. هذا من جانب، ومن جانب آخر مفرّع عن السابق : إظهار عظمة قدر الأنبياء والمؤمنين عند الله.

[1] " وقرئ : كل فلق، والمعنى واحد : الكشاف. 164/4. وهو مرجوح بما أورده الألوسي من أن الفلق باعتبار الانشقاق، والفرق باعتبار الانفصال. ومنه الفرقة للجماعة المنفردة من الناس. انظر روح المعاني . 89/7/19

[2] د.أحمد محمد قدور. مبادئ اللسانيات. ص 69.

[3] "وهو الجبل، أو عظيمه، وطاد : ثبت : الفيروز آبادي. القاموس المحيط. ص 268. وفي الكشاف : " الجبل العظيم المنطاد في السماء" : 169/4.

وقد استعان الخطاب القرآني بالتعبير بالصورة المُحسّة المتخيلة[1]؛ تحفيزا للوظيفة التخيلية في عقل المتلقي، تثبيتا للصورة والفكرة والأثر النفسي.

2- كلام فرعون ومرسليه[2] :

/ إن هؤلاء الشرذمة قليلون/ و / إنهم لنا لغائظون / و / إنا لجميع حذرون.

- العلاقات الناشئة من تجاور العناصر المشكّلة الكيان التركيبي للجملة، ونوعها وترتيبها تبعا لذلك ولوظيفتها وأهميتها في محيط الكلام، تؤدي مدلولا عاما يكشف تحفّز الكيان النفسي، بفعل قوة المشاعر التتنازعه، والمتجهة إلى القدرة اللغوية لتحملها بقوتها قدر المستطاع قصد ممارسة ضغط تأثيري على المرسَل إليه : حشرا وحشدا؛ ليسعى سعيَهم(فرعون ومرسلوه). فثلاثة الجمل تبادر المخاطَب بالناسخ المؤكِّد (إنّ) الذي تبقى دلالته ناقصة ووظيفته معلّقة حتى يقابَل من الطرف الآخر بما يتراسل معه لصبغ الجملة بلونها(لام)، وهو بناء هيكلي قار في طرفه الأول، له ثلاث صور في طرفه الثاني :

1- مؤكد ثان + م × 2

2 - س + مؤكد ثان + م (س ≠[3] م ن) ⇔ / مؤكد أول + م إ /

3- مؤكد ثان + م + س[4] (س = ن)

V مؤكد ثان + م (ج)

والمسند إليه الأول بصورته الإشارية يحمل دلالات التحقير، كون المشار إليه قريبا، تهوين وتحفيز لإدراكهم (فهم جماعة واحدة متساوية عندهم رغم التباين الرتبي والتأثيري والجنسي (رسول وأتباع + بنو إسرائيل والأقباط))، ويبقى البناء التركيبي والمدلولي غير مكتملين ولحمة الإسناد غير منعقدة حتى دخول المسند في صورة متعددة (شرذمة قليلون)؛ ليدعم ويضاعف المحتوى التحقيري التهويني، مسنودا باللام، بخصائصه الصرفية : (- ال، دال على القلة)،

[1] سيد قطب. التصوير الفني في القرآن . ص 32.
[2] وقول لقول محذوف : التحرير والتنوير. ص130
[3] معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم . ص483
[4] التحرير والتنوير. ص 131.

فالشرذمة الطائفة القليلة، ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا[1]. هذا عن المسند الأول، أما الثاني فهو كذلك :- ال، تصريح بالوصف بالقلة + جمع سلامة، شرذمة للمسند إليه وجعل لكل جزء منه قلة[2].

المسند إليه الثاني نسخة عن الأول، فالسياق يرتد إليه بواسطة الدلالات السابقة، لتوسيعها موضعيا موظّفا مورفيم المفصلة " الواو"، وكذا مع الوحدة الإسنادية الأخيرة. وفي هذه الثانية شغل (م ن) موضع المسند الذي أخذ المرتبة الأخيرة؛ تركيزا على من نسب إليه المسند الذي لو تقدم إلى موضعه القواعدي لصار هو محور التركيب؛ لذا توسط مركب النسبة جاذبا إليه طرفي الإسناد، فهو مانحهما وجودهما الوظيفي الخطير والمؤثر. والجملة تؤدي وظيفة تعليلية مضاعفة : تعليل للحشر، ولوصف موسى أصحابه بالقلة والهوان؛ فهي جاعلتهما مقنعتين وموضع قبول، فهم قد أثاروا الغضب الشديد في نفس فرعون، وغيظ فرعون ليس كغيظ سواه!

الجملة الأخيرة يشد فيها طرفها الثاني الموسّع بملفوظين : مؤكد (ل) + (ن)، أو هو مسند وحدة إسنادية (مبتدأ + خبر). ولحد الجملة الأخير قراءتان[3]، مما يثري دلالته؛ لأنه بدون ألف صفة مشبهة دالة على الثبات، أو صيغة مبالغة، ومعناه أنهم مجبولون على الحذر دائمو التيقظ في المشتق الأول، وأنهم شديدو الحذر في الثاني. وأما بالألف فهو اسم فاعل دال على الحدوث والتجدد، ومعناه تام السلاح المستعد[4].

وذكر له الألوسي قراءة ثالثة[5] بألف ودال مهملة " حاذرون" ومعناه : ممتلئون غيظا وأنفة. وهي دلالات يحتملها العنصر جميعها لانسجامها مع السياق، مما يجعل الملفوظ مركز ثقل التركيب.

- مج ت 05 :

---

[1] الكشاف 168/4.
[2] السابق.
[3] قراءة الجمهور : حذر، قراءة حمزة وعاصم والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر وخلف بألف : حاذر: التحرير والتنوير. ص 131.
[4] روح المعاني. 82/7/19.
[5] قراءة سميط بن عجلان، وابن أبي عمار، وابن السميقع : السابق نفسه.

تمتد من الآية التاسعة والستين إلى التاسعة والثمانين محتوية قصة إبراهيم عليه السلام، التي فيها حوار مختصر مركّز بينه وبين أبيه وقومه حول معبوداتهم، ثم وصف ومناجاة مستفيضان لربه. فالخطاب القرآني لا يقف طويلا عند قصة إبراهيم عليه السلام وقفته عندها في غير هذا الموضع[1]، ما يتعلق منها خاصة بمحاجته قومه.

ويبدو التقسيم الوظيفي للتراكيب عسيرا، خاصة في الجزء الواصف له تعالى، الذي يبدو وكأنه سبك سبكا واحدا، لذا؛ فإن الفصل بين وحداته الإسنادية المشكلة له قد يخلّف بترا دلاليا، ويخالف السيرة المنتهجة في التحليل فيما سبق، وكذلك جزء المناجاة.

والتراكيب هي الآتية :

- **و/ اتل عليهم نبأ إبراهيم إذا قال لأبيه وقومه ما تعبدون/** ← م ت ت.

- / **نعبد أصناما فنظل لها عاكفين** / ← م ت إ.
-/ **هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون** / ← م ت ت.
- / **بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** / ← م ت إ.
- / **أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني .... والذي هو يطعمني.....وإذا مرضت.... والذي يميتني....والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين** ← م ت ت.
- / **رب، هب لي حكما وألحقني بالصالحين، واجعل لي .... واجعلني.... واغفر.... ولا تخزني ....إلا من أتى الله بقلب سليم/**← م ت ت.

* يظهر التلاحم بين الوحدات الإسنادية المشكلة للتراكيب، وحسن توزيع الروابط على سطح النص بين التركيب بالتفريع أو بالربط. وقد تنوّع الرابط الحرفي :

الواو × 11 – الفاء × 5. أو × 2 – ثم × 1.

* بعد البساطة التي مالت إليها المجموعة السابقة، تعود هذه إلى التعقّد والامتداد والتداخل خاصة في التركيبين الأخيرين.

[1] انظر مثلا سورة الأنبياء الآيات من 51 إلى 73.

* عودة التراكيب إلى التوسيع الموضعي (الواو) بعد التعاقبي في السابقة[1].

* يعود الطابع الإنشائي لبسط سلطانه، متمثلا خاصة في الاستفهام التحفيزي التحريكي، لغرض تواصلي داخلي وخارجي، يتماهى وثلاثة أزمنة للتلقي: زمن إبراهيم عليه السلام، زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وزمن تلقي الخطاب القرآني المفتوح بعده.

* وتراكيب المجموعة قسمان متواجهان، يحتوي كل قسم منها حقل أو بنية دلالية مؤكدة، الأول تمثله أقوال إبراهيم عليه السلام، والثاني أقوال أبيه وقومه. والملاحظ أن الصوت الإبراهيمي مهيمن على مستويات :

1- مستوى امتداد وسعة مقوله.

2- مستوى المبادرة بالحوار وإنهائه.

3- مستوى المخاطبين: الممتد أفقيا إلى قومه، وعموديا إلى ربه، أما خطابهم فأفقي فقط.

- الجمل الفعلية :

تحتوي المجموعة 31 جملة فعلية من مجموع 39 وحدة إسنادية.

أ- المسند :

1- الزمن الصرفي
- **ماضي × 6**
- **مضارع × 19**
- **أمر × 6**

2- الاكتفاء والافتقار
- **متعدي × 30**
- **لازم× 01 (مرضت)**

ب- المسند إليه :

- ض×30
- **مخاطب**
  - **مفرد × 7 : عائده : - الله تعالى × 6 – الرسول ρ × 1**
  - **جمع × 4 : عائده : قوم إبراهيم**

  × 11
- **متكلم**
  - **مفرد × 2 : عائده : إبراهيم**
  - **جمع × 2 : عائده : قوم إبراهيم**

  × 4
- **غائب**
  - **مفرد × 10 : عائده فالله تعالى × 8**
  - **إبراهيم × 01**
  - **اسم موصول (من) × 01**
  - **الأصنام × 03**

  × 14

[1] المقصود بالمقطع الخارجي لا الداخلي، أي بين التركيب والوحدات الإسنادية. هذا أولا. وثانيا : الحكم الوارد في الملاحظة تقصد به الغلبة لا الإطلاق.

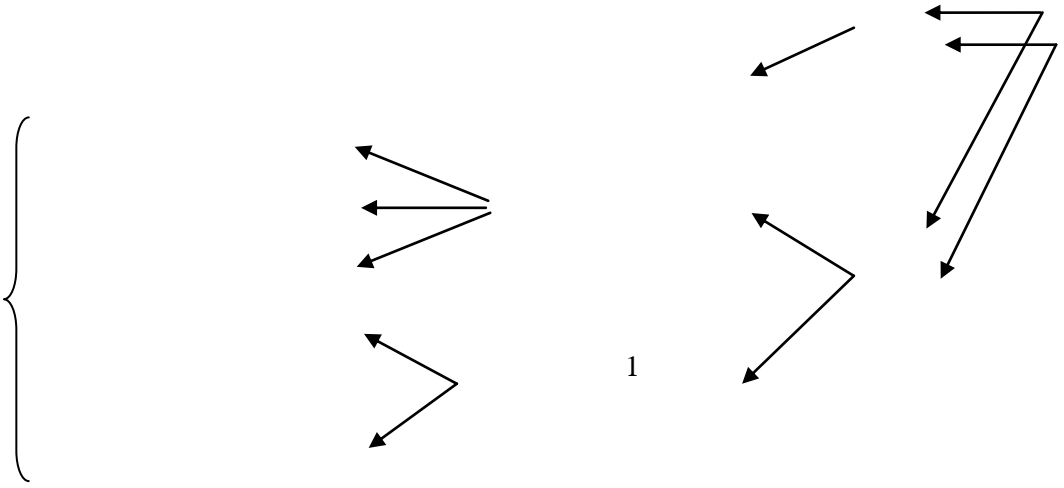

– **اسم ظاهر × 02 : مال + بنون :** عن طريق الوصل : لا ينفع مال ولا بنون.

جـ– المفعول : ← **39 ×** { **مباشر ×29**[2] ; **غير مباشر × 10** }

د– العناصر الموسعة :

أد × 8	**مر إ ض × 17**	**ظ × 05**	**معطوف × 07**	**ب × 01**
هل – بل أ (استفهام)	المضاف إليه جملة × 05			يوم
أن – لا × 3 (نفي + نهي) إلا	**توكيد × 01**	**نعت × 02**	**نداء × 01**	
	أنتم	– الأقدمون – سليم	رب	

الجمل الاسمية : × 08 موزعة كما يأتي :

أ– منسوخة × 05 ب– غير منسوخة × 03

[1] 01 نائب فاعل (يبعثون).
[2] 09 منها محذوفة لغرضين رئيسين : - الفاصلة – التركيز على علاقة الإسناد.

الناسخ × 05	المسند إ × 08	المسند × 08	المتممات
– كان × 02 – إن × 02 – ظل × 01	– ض × 08 – <u>عائده</u> : 1– المتكلم : قوم إبراهيم × 1 2– المخاطب : قوم إبراهيم × 01 3– الغائب : – الله تعالى × 03 – أبو إبراهيم × 02 – معبودات قومه × 1	– مفرد × 2 : عاكفين + عدو. – صوري×01: من الضالين – جملة × 05 : – فعلية مضارعية × 04 – اسمية منسوخة × 01: كان من الضالين	– م ن × 02 : لها – لي. – مستثنى : رب العالمين. – نعت : الذي[1].

* 01 نائب فاعل (يبعثون). ** 09 منها محذوفة لغرضين رئيسين:– الفاصلة– التركيز على علاقة الإسناد.

الروابط	
الرابط	الوظيفة
– الواو × 12	– الوصل والإشراك
– الفاء × 5	– التعقيب والسببية والتفريع
– أو × 2	– العطف والتخيير
– ثم × 01	– التراخي وبيان العظمة

[1] أعربه البعض : مبتدأ محذوفا، وبدلا . انظر : معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص 485، وروح المعاني : ص 95/7/19 – والبحر المحيط: ص 24 . والتحرير والتنوير : ص 142. والأظهر أنه نعت كما اختاره الثلاثة الأواخر، فهو أنسب للدلالة والسياق.

التلاحم التركيبي بين سلاسل الملفوظات أبرز خصائص المجموعة، فلا يتجلى الأثر الوظيفي، ولا مظاهر الفرادة الأسلوبية بتحليل العنصر اللغوي فحسب، بل، وخاصة، بتحليل المجموعة، وهي كتلة واحدة، دون تقسيمها + كالعهد فيما سبق، وهذه نماذج موضحة :

1- يشد أولا ظهور المسند على سطح النص في أول جملة (اتل) محدد المسند إليه، طويل اليد فيما جذبه إليه من عناصر موسعة ومحددة لإطاره الدلالي مثرية له، فخاصية الافتقار فرضت جذب عنصر المفعول المباشر الذي فسرت طبيعته المعجمية (نبأ) ولو جزئيا سبب إظهار المسند ومخالفته نظيره في أول النسق، هذا المفعول الوارد في صورة مركبة (م إض) فيه تحديد، فصورة المضاف أو دلالته العامة تفرض أن نحويا ودلاليا استدعاء شقه الثاني، وإلا كان ناقصا وغير وظيفي. ثم إن محتواه الدلالي (الخبر العظيم الشأن) يحرك انتباه المتلقي وفضوله لمعرفة هوية المضاف إليه.

هذا الأثر التواصلي تزيد درجته من خلال التبادل الموقعي الاختياري بينه وبين المفعول غير الصريح : م ن (عليهم) الذي استدعاه المسند بعده مباشرة حصر لإيقاعه على مخاطب به محدد، والذي اختاره الخطاب القرآني نسخة للأصل المغيب في النص، لكن المسند إليه والسياق يرشدان إليه، وكذلك المضاف إليه المفعول، فالمقصود (العرب)، لما بينهم وبين المتلوّ نبؤه من صلة، مالهم في خصوصية به[1] فهم يفتخرون بالانتساب إليه والتأسي به[2]. وجيء أخيرا بعنصر الظرف (إذ) تحديدا للزمن الحدثي، انتقاء له من بين أجزاء قصته عليه السلام لخدمة الغرض التواصلي الذي أفرزه البناء الدلالي لسلسلة الملفوظات المنظومة. فالعلاقة القائمة بين المفعولين المباشر وغير المباشر، دخلت عاملا آخر مساهما في انتقاء المسند، وفي إخراج صورتيه إلى حيز الوجود، ليؤدي دوره في استغلال هذه العلاقة، لبناء الغاية الإبلاغية المستهدفة منذ أولى خطوات النص : تأكيد عدم تأثرهم واقتناعهم، وعدم إيمانهم، وشدة عنادهم[3] لذلك كان (اتل) دون سائر البدائل المعجمية من مثل : اذكر، أو : اقرأ[4].

---

[1] البحر المحيط. ص21.
[2] روح المعاني : 93/19/7.
[3] نفسه
[4] التلاوة أخص من القراءة وتعني الإتباع، وتختص بإتباع كلام الله، المنزل بالقراءة تارة، وأخرى بالارتباط لما فيه من أمر ونهي وترغيب وترهيب – انظر : القاموس المحيط. ص 1139. هامش رقم 04

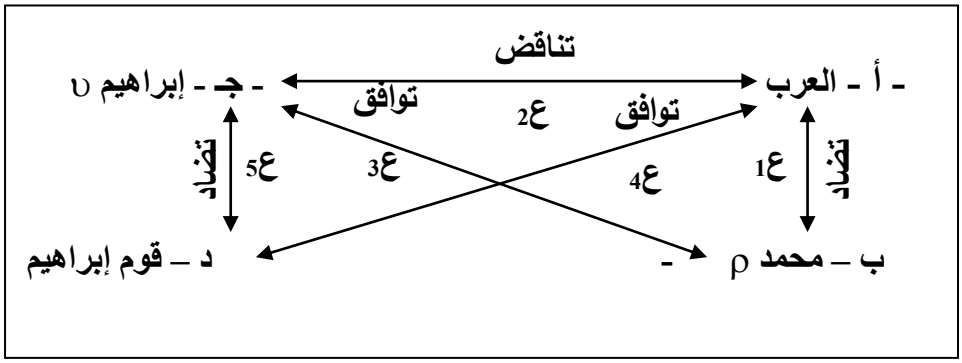

شبكة العلاقات بين أطراف العملية التواصلية في المجموعة التركيبية[1]

– ونقف فقط عند العلاقة رقم 06، القائمة بين (هـ) وجميع أطراف العلاقات التواصلية الأخرى (أ، ب، جـ، د)، وهي علاقات متحققة إما ماضيا وإما حاضر، أما (ع6) فهي مستهدفة لتأسيسها قصدا إلى الغاية التواصلية السابقة؛ لذا كان بناؤها بواسطة فعل الأمر (اتل) الاستقبالي.

2– يتوافر في المجموعة عدد من الظواهر والعناصر اللغوية فارضة خصائص أسلوبية مميزة، ومشكلة بنية دلالية، تؤول إلى حقائق إخبارية مهمة تتجه إلى دوائر التلقي الثلاث الآنفة الذكر:

أ– طغيان المسند إليه الضمير : 39/38، الذي يغلب فيه ضمير الغائب : 38/20، عائد هذا الأخير هو الله تعالى بنسبة 20/11، وإن أضفنا إليه ضمائر المخاطب العائدة عليه تعالى، ارتفعت النسبة إلى 38/17، أي ما يقارب نصف الضمائر (م إ).

هذا المرجع المذكور في المجموعة بلفظه : " رب العالمين"، وبتفحصنا الأفعال المنسوبة إليه تعالى (والمسند مع الضمير العائد عليه فعلي في جميع الوحدات الإسنادية) ونجدها متعدية إلى مفعول مفرد : إبراهيم عليه السلام، وأبوه في حالة واحدة (واغفر لأبي). لكن الأثر التواصلي الذي يستوي في القصد إليه : إبراهيم عليه السلام في الخطاب القرآني : مجابهو

[1] انظر تفصيل هذه العلاقات في التحرير والتنوير.ص 137 كما سيأتي بسط القول فيها في المستوى الدلالي.

الفوضى ومواجهة العادات والتناقضات القبلية الممتزجة بالعقائد الوثنية[1]، ومقارعة الانحراف التصوري[2]، بإحياء الفطرة في العقل والعمل، وإعمال النظر[3] لاستحكام الحياة وفق طراز رفيع من المنطق والقانون والتشريع، فسيرة إبراهيم عليه السلام ملتهبة " بين التحول الذاتي الساخن، وخلق الموضوع المطابق له خارج الروح والعقل"[4]، هذا الأثر التواصلي يوسع مجال المفعول، جاعلا من إبراهيم مثلا أو أنموذجا أعلى. يسند هذا المذهب طبيعة العائد اللغوية :

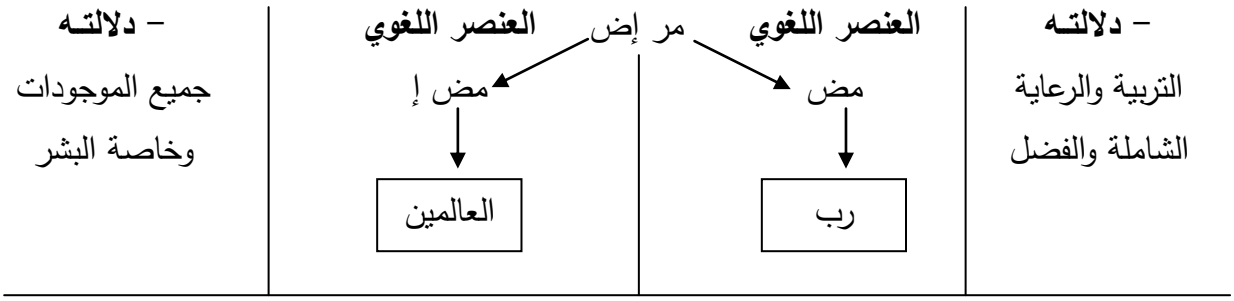

– هذا العنصر الوارد مستثنى[5] – إذ تشكل الأداة (إلا) نقطة القطيعة والتحول عن الفوضى والتناقض إلى النظام، فهي عنصر لغوي على اقتضابه الصوتي، مركزي البناء الدلالي – أشبه بمركز الدائر لمحدثها حجر يرمى في الماء.

ب– يأتي عنصر النعت الذي اختاره الخطاب القرآني في صورة اسم موصول (الذي) فهو واسطة بين الموصوف وصلته المتضمنة الصفة، وقد تكرر مع كل صفة، مع كفاية عطف صلاتها على صلة الأول، لما تفرضه دلالات الأفعال الموصوف بها تعالى، فهي من السعة والعمق والعظمة ما يجعلها أهلا لأن تفرد بتركيب لغوي مستقل، وهي خصائص اكتسبتها من موقعها الموصوف بها (رب العالمين).

[1] نظرية العلم في القرآن : غالب حسن. ص 219.
[2] نفسه. ص 187.
[3] التحرير والتنوير. ص137.
[4] نظرية العلم في القرآن الكريم . ص 213.
[5] يجوز اعتبار الاستثناء متصلا أو منقطعا بحسب التأويل الدلالي للمستثنى منه (معبودات قومه)، بين كونه تعالى منها أو خروجه من مجموعها. انظر روح المعاني.ص 95.

جـ- الفعل الوحيد اللازم هو : " مرضت"، كما تميز أيضا بتغيير المسند إليه خلافا لأفعال مجموعته، إذ أن فاعله هو " إبراهيم". وهذا التعبير البنيوي فرضه المحتوى المدلولي ذو المصدر الإنساني في ظاهرة الأسباب الموجدة إياه. ولتتم للجملة خاصيتا التقصي والدقة المدلولين دخل الظرف الاستقبالي المتضمن معنى الشرط (إذا)[1] لاكتساب المسند معنى الوقوع مستقبلا، فهو منتف حاضرا، كل ذلك مع معنى التأدب معه تعالى.

د- أكثر الملفوظات دورانا بعد الضمير : الفعل المضارع المشترك في دلالة عامة ذات وجهين:

1- إحضار صورته في الذهن[2]. 2- الاستمرار والتجدد.

1- مرحلة التقويض : الواردة في مساءلة إبراهيم قومه. وقد سارت في خطوات مدروسة محكمة متدرجة ذكية، تجعل المسؤول منفذها لا السائل، و"حاسة النقد عند إبراهيم تكشف عن أصول نافذة في فن المعينة الفكرية الفاحصة"[3].

- والفعل محور العملية الإسنادية، وما ينضم إليه على المستوى الخطي يمينا ويسارا وسائل لإتمام البناء النحوي وغلق دائرة الدلالة لتحقيق المقصد الإبلاغي، والأفعال الممثلة لهذه المرحلة هي : - تعبدون، نعبد، نظل، يسمعونكم، تدعون، ينفعونكم، يضرون، يفعلون، تعبدون.

ودلالات التقويض تحملها إلى السطح الوسائل الآتية تمثيلا :

1.1- الاستفهام الصوري في " ما تعبدون" حال تلبسهم بممارسة الفعل[4]، لمعرفة السائل المسؤول عنه، فاتحة الاستفهام إلى غير ما وضع له، وهو الدفع إلى شرح حقيقة العبادة والمعبودات إصابة لغايتين[5] :

- شعور شارح الباطل بما فيه من بطلان عن نظم معاينة أكثر من سامعه.
- بناء الاحتجاج على فساد دينهم على جوابهم.

---

[1] انظر النحو الوافي : عباس حسن : 278/2-279.
[2] مغني اللبيب : 452/2.
[3] نظرية العلم في القرآن : غالب حسن. ص : 186، 187.
[4] التحرير والتنوير. ص 139.
[5] السابق. ص138.

2.1- مجيء جوابهم في صورة جملة مركبة موسعة، وقد كان يكفي المفعول لبناء جملة متشعبة دلاليا : " أصناما"[1]. فقالوا : " نعبد أصناما فنظل لها عاكفين". بذكر طرفي الإسناد، وسلب المفعول التعيين، تعظيما وافتخارا ثم عطف مركب إسنادي اسمي منسوخ بناسخ دال على الاستمرار نهارا، وفيه تأكيد وترسيخ لدلالة الجملة الأولى، مع تقديم مركب النسبة تخصيصا وتعظيما، بدليل انتقاء اللام مورفيم الجر دون (على)، كل ذلك مع ما في المحمول من تصوير للمشهد المعبر عن مطلق الخضوع. وهذا الجواب في مجمله من الأسلوب الأحمق.[2]

3.1- يسمعونكم، تدعون، ينفعونكم، يضرون :

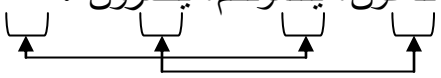

فقد حقق أولا حذف المفعول مع فعلين توازنا إيقاعيا بديعا مع موافقة الفاصلة، وثانيا، فإن الاستفهام باشر فعل السمع الذي جعل مفعوله ضميرهم، وفي ذلك توسّع، بحذف مضاف تقديره : دعاءكم[3].إلى أنه تغييب المضاف لفظا لوجود ما يدل عليه. وقد قيد الفعل بظرف مضى مضاف إلى مضارع توسيعا للمجال الزمني ليشملها معا. وفعل السمع أدنى ما يجب لمعبود عند ذي لب لذا قدم، ووسع زمنه المستفهم عنه قصدا إلى إثبات انتقاء الصفة عن معبوداتهم.

4.1- يؤدي مورفيم الإضراب الانتقالي دورا مهما في السياق وفي البناء الدلالي لجملته، إذ يقطع الصلة مع الاحتجاج المنطقي، لينقلها إلى دليل التقليد " بل وجدنا

آباءنا كذلك يفعلون" دون أن تخمد مشاعر التعظيم المعبر عنها بتقديم " م ن" الذي ورد طرفه الثاني اسم إشارة إلى بعيد، ثريا دلاليا بتركيبه اللفظي

* تأتي جملة : " فإنهم عدو لي" بطابعها الاسمي المؤكد المحيل إلى الثبات، مع تمظهر المسند صوتيا، في صورة مفرد (عدو) غير متوافق عددا مع المسند إليه، لكونه صفة موحدة

[1] بدليل وجود صورة مماثلة في القرآن كالآية الثلاثين من سورة النحل : " وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم، قالوا خيرا"
[2] روح المعاني. ص 93.
[3] البرهان في علوم القرآن : الزركشي : 146/3، 147.

بين مكونات المسند إليه، وهي نتيجة للإضراب السابق، لذا كانت مفصلتها بفاء التعقيب السببية. وهي واسطة التحول المنطقية في المرحلة الأولى الباقية مغلقة لبدايتها وانتهائها بالفعل نفسه : يعبدون – إلى الثانية :

2- مرحلة البناء : تمثلها بقية أفعال المجموعة، وهي حديث رخي لين ومنطقي كذلك عن رب العالمين وإليه ويتجسد البناء في صور شتى.

1.2- جميع الأفعال المسندة إلى " رب العالمين" تتضافر لتشكيل بناء دلالي ثري ذي طبقات :

أ- التعبير عن عظمة القدرة والفعل المطلقين :

ب- أجزاء موضحة، حين نجمعها تصبح مساوية لـ : رب العالمين، في حدود سياقها.

جـ- تمتد أفقيا لتغطي حياتي الإنسان : الأولى من أولها، والآخرة، وعموديا بجمعهما مظاهر الكمال النفسي إلى النعم المحققة كمال الخلق الجسماني[1] في المستوى الأفقي.

ومن عجائب التشاكل أن يساوي عدد مظاهر الكمال الجسماني عدد مظاهر الكمال النفسي الملحق بها طلب المغفرة لوالده (5 – 5).

كما أنها موزعة بشكل هندسي بديع محكم متنوع الصور، كلما تغيرت زاوية النظر مع دقة انتقاء الوحدات المرافقة للمسند لتشكيل هيكل التركيب قصدا إلى محتوى مدلولي محكم دقيق، وأبرز ما يمثل ذلك : محاصرة أفعال دون أخرى بالمسند إليه عن يمينها وشمالها:

م إ	م	م إ
هو	يهدي	هو Ø
هو	يطعم	هو Ø
هو	يسقي	هو Ø

[1] التحرير والتنوير. ص 144.

هو	يشفي	هو Ø

وفي هذا قصر لها على المسند غليه، لاحتمال نسبتها إلى سواه، دون غير المقصورة (خلق، يميت، يحي) لاختصاصها به، فلا احتمال لتغيير المسند إليه أو تعدده.

ويمكن تجسيد الخصائص المذكورة آنفا فيما يأتي :

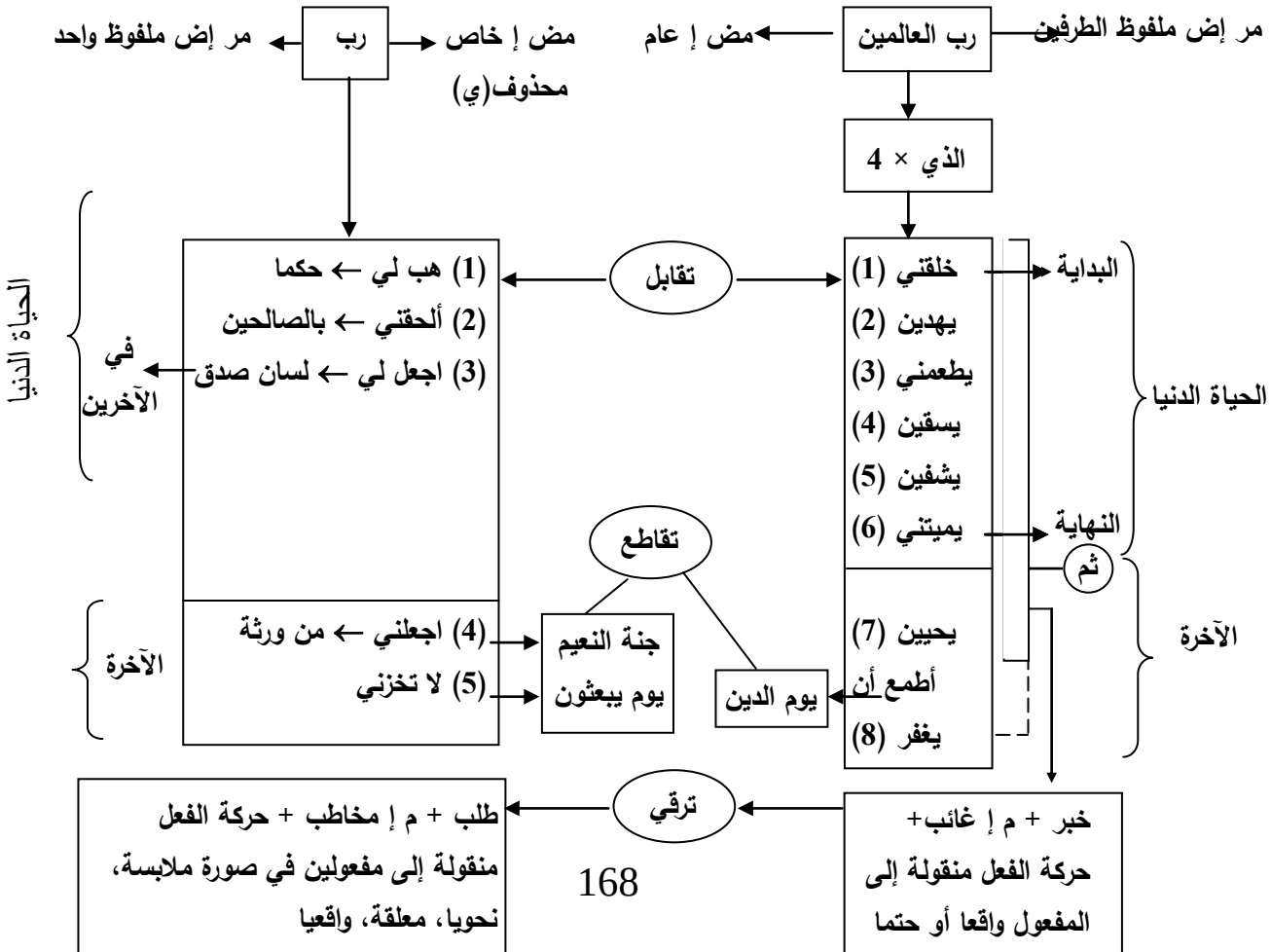

↓

2.2- يسيطر إيقاع لين رخي ممدود، بفعل تواتر حرف المد (الياء)، من بداية " الذي خلقني" ليختفي عند (إذا مرضت) ويتغير لتغير المسند إليه، ثم يعود ليسير نحو الضمور والتغيير بداية من (واغفر) ويختفي عند الجملة الأخيرة تاركا المجال لإيقاع مختلف (إلا من أتى الله بقلب سليم)، كأنه تهيئة لنسق قولي آخر يومئ إليه المسند المختلف زمنيا عما سبقه (أتى)، رغم أن زمنه المقصود سياقيا والمعول تقريبيا له *** هو المستقبل (الآخرة) وتبادل الفاعل والمفعول المواقع : "الله تعالى" و " الإنسان" وهذه التهيئة تبدأ من ظرف الزمان ثم بذله (يوم) بعدها أداة الاستثناء : " إلا" ودلاليا بتغيير مقاييس التقييم والانتفاع

المجموعة التركيبية السادسة :

تنحصر بين الآية التسعين والثانية بعد المائة.

وفيها تصوير لمشهد من مشاهد الآخرة، خرج إليه الخطاب القرآني نتيجة لفحوى المجموعة السابقة. وتتشكل من :

ف ب مو × 2 + م ت ت + ف ب مو + م ت ت = 05

ويسترعي الانتباه فيها ما يأتي :

1- غلبة البسيطة على المركبة 5/3

2- مشاكلة المركبة سابقتها في تداخل وتلاحم الصبغتين الاسمية والفعلية.

3- موزعة بين الخبر والإنشاء، مع تنوع في الإنشاء بين الطلبي وغير الطلبي : "- الاستفهام – القسم – التمني".

4- استأثر بالبسيطة السرد، وبالمركبة الحوار. وأكثر الخبر في البسيطة، أما الإنشاء ففي المركبة فقط.

5- تنوعت وسائل الربط بين الوحدات الإسنادية المشكلة للهياكل التركيبية بين الربط الدلالي والنحوي :

- **م ت ت 1** ← ربط نحوي (مقول القول) + دلالي (توضيح وتفصيل) + ربط نحوي (أو) ⇐ و / قيل لهم + أين ما كنتم تعبدون من دون الله + هل ينصرونكم + أو + ينتصرون /

- **م ت ت 2** ← ربط نحوي (قول + ج ح + مقول قول : قسم + جواب + ظرف مضاف + مض إ(ج) + و + ف + و + ف + ف) ⇐ / قالوا + و + هم فيها يختصمون + تالله + إن كنا لفي ضلال مبين + إذ + نسويكم برب العالمين + و + ما أضلنا إلا المجرمون + ف + مالنا من شافعين + و + لا صديق حميم + ف + لو أن لنا كرة + ف + نكون من المؤمنين /

- **الوحدات الإسنادية :** تشكل كيان التراكيب : 11 ج ف + 08 ج إ = 19 و ح إ.

1- الفعلية :

أ- **المسند** : { أ- { - **ماضي** × **06** / - **مضارع** × **05** } ب- { - **معلوم** × **07** / - **مجهول** × **04** } جـ- { - **متعدي** × **09** / - **لازم** × **02** } } × **11**

ب- المسند إليه

- محذوف × 04
- ض × 06
- جمع متكلم × 01 (الغاوون)
- جمع مخاطب × 01 (الغاوون)
- جمع غائب
  - الأصنام
  - الغاوون
- ظاهر × 01 (المجرمون)

× 11

جـ- المفعول :

- صريح × 09
  - نائب فاعل × 04 (الجنة – الجحيم – مقول – ض ج غ)
  - ضمير × 03 ← (ض ج خ × 2 : الغاوون + الأصنام) + (ض ج ك : الغاوون)
  - مقول قول × 01 (قسم + جواب)
  - محذوف × 01 : تعبدون
- غ صريح × 06 (للمتقين – للغاوين – لهم – فيها – من دون الله – برب العالمين).

×15

د- العناصر الموسعة :

أ- *أد* × 3 (هل – ما + إلا : حصر)

ب- *عل* × 3 (- توكيد × 2 : هم + أجمعون – معطوف × 2 : الغاوون + جنود إبليس)

2- الاسمية :

أ- م إ

- ظ × 3 : ما (موصول) – من شافعين – كرة
- ض × 4 : كنتم – كنا – نكون Ø – هم (عائده : عبدة الأصنام) – ض شأن (إن Ø)

ب – م

- م ن × 4 : في ضلال – لنا × 2 – من المؤمنين
- ج ف × 2 : تعبدون – يختصمون
- ظرف × 1 : أين (الاستفهام)
- ج إ : كنا لفي ضلال مبين

جـ- أ × 09 : كان × 03 – إن – أن – ما + لا (نفي) – لام (توكيد) – لو.

د- مم × 06 : - م ن (فيها) – قسم (تالله) – ن × 2 (مبين + حميم) – ظرف (إذ) – معطوف (صديق)

1- هذه المجموعة متعلقة بكلام إبراهيم السابق[2]، تحتمل جملة (أزلفت) الحالية[3]، أو العطف[4] على (ينفع) المضارعي، دلالة، دلالة على استمرار انتقاء النفع، وكلاهما يحتمله الغرض التواصلي : الترهيب و التهويل.

2- هذا الأسلوب الفني الاستطرادي، اكتسب قدرة إثارية بجمع المنحنيين الحيويين : الارتدادي والاستباقي، *** أخبار غابرة بأخرى لاحقة، بطريقة تجاوزية تكثيفية تبئيرية.

3- وقد اعتمد الخطاب القرآني التبئير الداخلي (تبئير الذات)[5] في أكثر محطات المشهد، باستبطان الفعالين من خلال تصريحاتهم، التي " شفت عن الواقع النفسي الذي يتملكهم، واقع يجد ترجمته في حال الندامة المتحسّرة[6]" بسبب " المصير التدميري، الذي انخرطوا في تقريره لأنفسهم، بالاختيار الشركي الذي نهجوه"[7].

4- وفرض الغرض الإبلاغي محتوى مدلوليا عاما مؤَطَّرا بتصوير حال المشركين، الذين تبين في المجموعة السابقة رفضهم الدعوة المبنية على المنطق بديهي بين، بحجج أوهن من بيت العنكبوت، وذلك بالمقابلة بين البدأة والمنتهى إمعانا في تحقيق المقصدية الإقناعية التأثيرية. وقد كان تشكيل المستوى الصوتي التركيبي (انتقاء للعناصر، وتوزيعا لها، وبناء للعلاقات التركيبية) كل ذلك تقصيا للمدلولية الدقيقة. وسنحاول التمثيل بنماذج :

أ- إخضاع أكثر من نصف الأفعال لعملية تحويلية اختيارية، أدت إلى مجموعة من التغيرات الصوتية والنحوية والدلالية، وهي تحويل المسند المعلوم إلى مجهول[7]، وتغييب المسند إليه،

---

[1] روح المعاني. ص 103 ، معجم الإعراب والإملاء : د. إميل يعقوب ص 89.
[2] البحر المحيط. ص 28.
[3] التحرير والتنوير. ص 151.
[4] روح المعاني. ص 101.
[5] الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي) : د. سليمان عشراتي. ص204.
[6] . [7] نفسه
[7] القانون التحويلي رقم (12) : قواعد تحويلية للغة العربية : د. محمد علي الخولي. ص131.

وشغل عنصر المفعول خانته، وأخذه سمته الحركية. مع الملاحظة أن جميع هذه الأفعال نقلت حركتها إلى مفعول ثان غير صريح. وفي كل تركيز على عملية الملابسة بين الفعل والمفعول، وتحديد جهته. واحد فقط من الأفعال الأربعة ذو محتوى تبشيري (أزلفت)؛ لوقوعه على (الجنة)، وتخصيصه بلام التعدية (للمتقين). وهي الجملة الوحيدة التي وقف فيها الخطاب عند جزاء المتقين المؤمنين؛ لأن الإطار السياقي يستدعي التركيز على المحتوى التهويلي الترهيبي، وهو الذي استأثر بما تبقى من السلاسل الملفوظية، وحشد له الخطاب القرآني كما من العناصر اللغوية ذات طاقة تعبيرية ثرية ونوعية، ودلالات ذات قوة تحريكية وتأثيرية، من ذلك :

ب- بداية المجموعة بجملتين فعليتين بسيطتين، يمكن اعتبارهما مجردتين ظاهريا، لتغييب أحد طرفي الإسناد، وتوسيعها في الوقت نفسه بعنصر لاحق (م ن). وقد جاءتا متعاقبين سياقيا، متزامنتين بواسطة مورفيم الوصل (واو)، متماثلتين تركيبيا، متقابلتين دلاليا :

و/ أزلفت الجنة للمتقين / (2) / برزت الجحيم للغاوين /

وهما، على اقتضابهما التركيبي، تشكلان نواة هذه الخلية التركيبية، فنقطة انطلاقهما المسند الفعلي، الذي امتدت ذبذبات حركته في اتجاهين، توقفت أولاهما عند آخر عنصر في وحدته الإسنادية، لكنها تداخلت وتمازجت مع الحركة الثانية، التي اتسع نطاقها حتى آخر عنصر في المجموعة، وأفرزتا كلتاهما، مشهدين متقابلين متكاملين في لوحة من لوحات اليوم الآخر.
وقد أغنين الخطاب مثر الحركتين؛ توجيها للتلقي إلى ما يحدثه انتقالهما إلى مشمولاتهما.
- محور الحركتين : " أزلفت" و " برزت" المختومان بمورفيم تأنيث (ت)؛ الذي مارس إجبارا ركنيا على الواقع عليه الفعل، فشرطه أن يكون (+ مؤنث)، وفيه كشف جزئي يثير فضول المتلقي.

وفي حذف الـ (م إ) إيماء إلى يسر نقل حركة الفعل مع الدلالة الآنفة. وحتى جمع مضموني الفعلين؛نجد بأن "التبرير" سابق نظريا ومنطقيا للإزلاف الذي لا يستقيم مع غائب، مع التحفظ، ففي علم وقدرة الله ما تقصر دونهما الأفهام. وإذ نلتفت إلى البنية الصرفية

الصوتية للمسندين، نلفي ثانيهما معدًّى[1] بالتضعيف خلافا للأول بالهمزة. ومعناه المبالغة في إظهار ما كان خفيا.هذه الدلالات تبقى عائمة مبهمة غير وظيفية؛ دون اكتمال الملفوظ نحويا. ويجذب الفعل المفعول معنى (نائب الفاعل إعرابا)، والمفعول غير المباشر الواصل إليه بواسطة حرف النسبة المشترك (اللام) + ثم التركيب نحويا، وانغلق دلاليا. ويبدو والمفعولان كالبحرين العظيمين، يصب فيكل منهما نهران عن يمينه وعن شماله؛ لاكتنازهما دلاليا، فهما يحيلان سيميائيا منظرين يحتوي أولهما مظاهر المتعة القصوى الخالصة من شائبة + الجمال المطلق، وثانيهما عكسه تماما.

وهذا يفتح آفاقا لا متناهية للخيال البشري – مع قصوره عن الإحاطة بالمتخيل – مع ما يثيره كل ذلك في كيان المتلقي؛ الذي قد لا يتحقق تلقيه بالصورة نفسها؛ بالنظر إلى الرصيد المعرفي المفترض لدوائر التلقي الثلاث، دون فتح نافذة الفروق الفردية بين المتلقين عامة؛ ذلك أن مورفيم التعريف (ال) في العنصرين يبدو اعتباره للعهد الذهبي أو العلمي أنسب دلالاته[2].

وتبقى الحركة على إطلاقها؛ غير محددة الوجهة، حتى دخول المفعول غير المباشر المستدعى بلام التعدية؛ تخصيصا للحركة؛ إثارة لمشاعر الفرحة والابتهاج عن (المتقين)؛ مع ما في التقريب من إشارة إلى قرب الدخول وتحققه، وجمعا للغموم على (الغاوين)، " فيهلكون غما في كل لحظة"[3] برؤيتهم، هذه النار العظيمة في مهواة بعضها فوق بعض، شديدة التأجج، التأجج، وقد عرف أهل الموقف أنها لهم[4].

- هذه الحركة المستقبلية المغيبة العظيمة، نقلها الخطاب القرآني في صيغة منقضية فائتة زمنيا؛ ليلبسها في خيال المتلقي معنى التحقق وشدة القرب، كأنها قد وقعت وانتهت، ترسيخا لها في نفسه، وتهييجا له للمسارعة للانضمام إلى (المتقين) وملازمة صفتهم، وكذا فعلا : " قيل، كبكبوا" ويمكن تمثيل العلاقات بين الجملتين بالرسم الآتي :

---

[1] وفيه تكرير، وهو قوة. قال ابن جني : " فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل" وقال معللا تكرير العين دون الفاء واللام : " والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما ومكنوفة بهما. الخصائص : 155/2."

[2] مع جواز أن تكون (ال) لتعريف الحقيقة أو الماهية أو الطبيعة؛ أي الحقيقة الذاتية للمعرف، وعنصره وطبيعته، وماهيته التي عرف بها. انظر شرح ابن عقيل على الألفية 168/1. والنحو الوافي : عباس حسن : 428/1. .

[3] الكشاف 172/4

[4] نظم الدرر : البقاعي.ص 371.

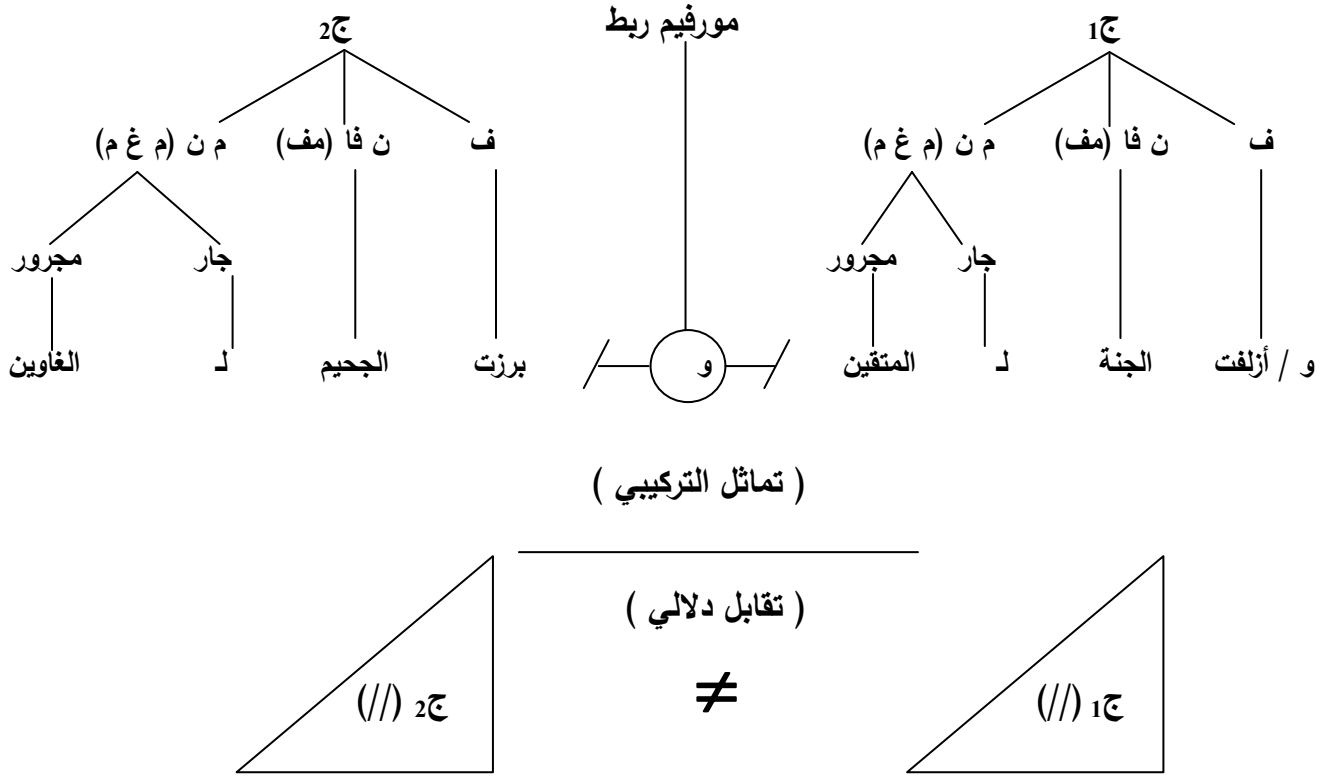

جـ- أما المتقون، فقد " اتقوا" نار " الجحيم"، فطوي المشهد بسرعة، وأما " الغاوون"[1]، فإن ضلالهم، وغيبوبتهم، وضياعهم، قد تجدد في صورة غير الدنيوية وهو في الحالين ضلال شديد؛ لذا امتدت حركة فعل التبريز في صورة أخرى، بداية من تثبيت غوايتهم في شكل استفهام توبيخي تهكمي تقريعي (وهي دلالات شحنه بها سياقه الحالي والمقالي)، بعد ما أحدثه التبريز من هول الصدمة والمفاجأة، وكان الاستفهام موجها إليهم (قيل لهم) من قائل مجهول تحقيرا، وتركيزا على المقول. واختار الخطاب من المحور الاستبدالي لأدوات الاستفهام: " أين" دون غيرها؛ لأنها الكاشفة الغيبة والضياع. أما المسؤول عنه فمبهم غائب: (ما) ، وقصدا إلى صلته (كنتم تعبدون)، الدالة على الرسوخ بفعل الكون، والعبادة – في بعض وجوهها- اتقاء للضلال.

ومن عجائب دقة التعبير القرآني أن يكون هذا التركيب هو نفسه الوارد في سؤال إبراهيم التنبيهي في المجموعة السابقة، مصدّرا بفعل الرؤية (أفرأيتم ما كنتم تعبدون)، وفي هذا رمز

[1] والغواية : الإمعان في الضلال : المعجم العربي الأساسي. ص 907.

إلى الغواية في الدارين، وتعميما : الدار الآخرة مرآة للأولى. والمسؤول عنه غير غائب، بل محضر، يثبت ذلك السياق اللاحق، والاستفهام البياني الآتي؛ فغيابها (لأن المقصود الأصنام) في غياب قدرتها على نفعهم أو نفع نفسها (وقدرتها معدومة أصلا). وقد أسندت إليها ضمائر العاقل (ينصرونكم)؛ إمعانا في تثبيت غيابها المتأصل، واستهزاء. ولا ينتظر جوابهم، فلا جواب. وكان الفعل " كبكبوا" الذي يكشف دقة الانتقاء والتوظيف الأسلوبيين، فأصل الفعل " كبّبوا"، واستثقالا لاجتماع ثلاث باءات، أبدل من الباء الوسطى كافا[1]، وهو إلقاء على الرؤوس، وقلب عظيم مكرر سريع[2]. وتناوب الحركات والسكنات فيه مع تناوب الكاف والباء، تجسيد بالجرس والصوت للحركة السريعة. وعظمته يجسّدها تعدّد وكثرة المنقولة إليه الحركة؛ تقصيا يظهره إلى السطح عنصر التوكيد (هم) في الطرف الأيمن للمجموعة، وفي الأيسر (أجمعون). والملاحظ أن " إبليس" غائب حاضر وسط المجموعة؛ بحشره في مركب إضافي (جنود إبليس)، فشمول الفعل جنوده يعني سبقه إياهم تلميحا أغنى عن التصريح الأدنى بلاغة وبيانا. ومجيء عناصر المجموعة جمعا ترسيخ للكثرة والتقصي، وقد عطفت الجملة بالفاء تعقيبا دون مهلة، بعد الإزلاف والتبريز والقول.

د- تكاتف العناصر اللغوية والتصوير الفني لنقل حالة اللغط والصياح؛ بعد أن أنطقهم القرار في قعر جهنم، وقد كانوا ذاهلين واجمين، معبرين عن غليان مشاعر مركبة : تسفيه لأحلامهم، وتوبيخ، وندم، وتحسر، وتوجع، وتيئيس ذاتي :

1- الحال المركبة : في صورة مركب إسنادي اسمي، محموله المُخبَر به مركب إسنادي فعلي مضارعي متبادل الموقع مع المتمم (م ن)؛ المحدِّد موضع وقوعه (في جهنم)، فقيمة الخبر الوظيفية ترجع في جزء أساسي منها إلى موضع حدوثه، مع ما في التبادل الموقعي من رعاية على الفاصلة. والخبر محور (ج ح)؛ لأن الـ (م إ) فيها هو نفسه مع فعل القول السابق (المكبكبون). والحال (هم فيها يختصمون) مخرِجةٌ فعل القول من عمومه وحياديته، مع زيادة بث الحركة والتحيين بالمسند الفعلي المضارعي. فكل العناصر، عمدة كانت أم فضلة، أساسية وظيفيا. وهذا من خصائص الخطاب القرآني.

[1] تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة. ص318.
[2] نظم الدرر. ص 372.

2- حشد وسائل التوكيد : القليلة الدوران في الاستعمال اللغوي الشائع (وكأني بمتلقي النص هو المقصود بهذا الخطاب المتميز)؛ فهي أشبه، في تسليطها على مدخولها، بآلة ضخمة عظيمة القوة، جيء بها لاقتلاع شجرة ممتدة عمرا وطولا وعرضا وعمقا في أغوار الأرض، وكذلك ضلالهم، **فنجد :**

* **القسم :** بالتاء دون الباء أو الواو؛ لأن ما تختص به ينفيهما : الله تعالى مُقسَما به، والتعجب من المقسم عليه[1]. ولنا أن نتعجب من قسمهم بالله أولَ ما نطقوا.

* **إن المخففة من** "إنّ" + **فعل الكون + اللام**[2] **+ ن :** وقد حشدت كلها لإفادة معنى تمكّن ملابسة الظرف في الخبر الصوري (في ضلال) للمسند إليه الضمير في الناسخ (كنا)، مع دعم ذلك باجتلاب حرف الظرفية[3] (في)؛ لأن المظروف شديد الملابسة لظرفه الشديد الظهور (مبين).

* **فعل الكون** السابق محدّدٌ جهة زمنية مطلقة؛ مما يبقي الشبكة المدلولية مفتوحة ناقصة الدقة، وهذا ما استدعى المركب الإضافي الموسع (إذ نسويكم برب العالمين) لإزالته، فهذا مناط التعجب؛ لذا استحضر بصيغة المضارع[4] مضافا (الجملة) إلى ظرف زمن ماض. فهي تسوية في الدعاء والأوصاف الإلهية بين أصنام لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، وبين المعبود الحق. وقد أنزلت منزلة العاقل مبالغة في التندم، والكلام مقابل لـ (نعبد أصناما فنظل...)

3- حشد أدوات النفي: مبالغة في : التملص من الذنب طمعا، متْبعين النفي بالاستثناء (ما أضلنا إلا المجرمون)؛ حصرا للجرم في أصحاب المعاصي العظام والجراءة. - تدعيم النفي بـ (من) الزائدة؛ تسليطا له على جنس الصديق والشفيع[5](فما لنا من شافعين ولا صديق حميم).

---

[1] انظر : مغني اللبيب 195/1.
[2] ومذهب البصريين أن اللام فارقة بين " إن" المخففة من المثقلة وبين إن النافية : روح المعاني. ص 103.
[3] التحرير والتنوير : ص 153.
[4] نفسه. ص : 154.
[5] السابق. ص : 155.

4- التمني بـ " لو" : واستبعاد بدائلها العمودية؛ فليس غيرها لبناء معنى شدة المبالغة في التيئيس الذاتي؛ فهي في أصلها للشرط الامتناعي، فتنوسي وأشربت التمني، ودلالتها تبرز من وجهين[1] :

1- التمني طلب حصول شيء محبوب دون توقع وطماعية في وقوعه.

2- الإشعار بعزة المتمنَّى؛ حيث أبرز في صورة ما لا يوجد.

هـ- نلحظ إيقاعا ممتدا منذ " تالله"، حتى " حميم". يبرز بقوة عند " فما لنا من شافعين ولا صديق حميم"، ولا يحتاج أذنا دَرِبَة لتمييزه، وكأننا نسمع أصوات المتخاصمين اليائسين المرتفعة الممتدة. ثم يتقلص ويتقارب فجأة في الجملة الأخيرة، كأنه إعلان للنهاية.

امتد بنا التحليل في هذه المجموعة، وهو أمر مقصود مفروض، وقد فرض القصد إليه المشهد المتفرد في المدونة.

- مج ت السابعة :

من الآية الحادية عشرة بعد المائة، إلى العشرين بعد المائة. محتوية قصة نوح عليه السلام مع قومه. الآيات الست الأولى تدخل ضمن المكررة؛ لذا لم تدرج. وتتوزع التراكيب كما يأتي :

- / أنومن لك واتبعك الأرذلون / م ت إ
- و/ ما علمي بما كانوا يعملون، إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون، وما أنا بطارد المؤمنين، إن أنا إلا نذير مبين / م ت ت.
- / لئن لم تنتهي يا نوح لتكونن من المرجومين / مت
- / رب إن قومي كذبون، فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين / م ت ت
- ف/ أنجيناه ومن معه في الفلك المشحون / / م ت إ
- ثم / أغرقنا بعد الباقين / ف ب مو.

* لا تكاد هذه المجموعة تباين المجموعات الحوارية السابقة في خصائصها الهيكلية العامة.

[1] التلخيص في علوم البلاغة : الخطيب القز ويني. ص ص : 151 – 152.

*التركيبيان الأخيران، ذوا الطابع السردي، يشاكلان الأخيرين في قصة موسى عليه السلام حذو النعل بالنعل .

* وهي متألفة من : – 09 وحدات إسنادية فعلية. – 07 اسمية.

ونقف عند كل تركيب على حدة.

ت1 : أتى جوابا من قوم نوح عليه السلام على دعوته المفصّلة سابقا. وتشد فيه مجموعة من الخصائص التركيبية المشكّلة بينتَه الدلالية؛ كاشفة عن كيان نفسي فكري للفئة الكافرة، لم نجدها في النماذج السابقة.

ورد تركيبا استفهاميا مفرغا من دلالته المتواضع عليها، ومشحونا بدلالات الإنكار؛ ممارسة لضغط تأثيري على نوح عليه السلام، محاولة لخلخلة بناء الدعوة. فهو متشكل من وحدة إسنادية محورية، وأخرى فرعية، لكنها، وظيفيا، مركزية، مرتبطتان بواو الحال.

– علاقة الإسناد في الوحدة الأولى منقولة إلى مفعول غير مباشر، بواسطة حرف النسبة : اللام. وفي هذا حصر للفعل (الإيمان) فيه (الكاف : نوح). وفيه تغييب للمحتوى الدلالي الصحيح للمسند، الذي جاهد نوح عليه السلام لتبليغه. كما يدل على تأويل خاطئ للدعوة الجديدة بحسبانها جاعلة نوحا فوقهم درجة[1]. وهذه الحركة منفية؛ لرؤيتهم فيها تمييزا لنوح عليه السلام – والنفي مسوقا في صورة استفهام آكد – .

– أما الوحدة الثانية؛ فهي مشحونة بما يدل على كيان فكري ضيق محصور، وكيان نفسي غير سليم، مؤكِّدة موضحة لمحتوى الوحدة الأولى؛ فمجال تفكيرهم هو الدنيا : المكانة والجاه والمال[2]، وبالتالي فهم يرفضون كل ما يؤدي إلى تغيير الأوضاع، لكنهم حصروا الرفض في الحال العائدة على صاحبها (المفعول غير المباشر في الوحدة الأولى) الواردة جملة فعلية، وفي قراءة أخرى : "أتباعك"[3].

[1] محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر. د. ت. ص. 113.
[2] المرجع نفسه.
[3] قراءة ابن مسعود وضحاك ويعقوب الحضرمي وغيرهم : الجامع لأحكام القرآن : 91/13/7.

ومركز الوحدة المسند : " الأرذلون"، الوارد بهذه الصيغة[1] دون سواها دلالة شدة اتصافهم بهذه الصفة، وبروزها فيهم دون سواهم. وهي محمَّلة بمجموعة من الدلالات السلبية؛ إذ تدل على الخسة والحقارة : أعمالا، ونسبا، وفي قلة النصيب من الدنيا[2]. وفي هذا تكبر مع تمويه وخداع؛ بالإيماء إلى طلب إبعاد (الأرذلين) عنه ليؤمنوا.

ت2 : إحكام للبناء، وتوضيح، وتصحيح، وثبات على الموقف والمبدأ دون تنازل، مع ذكاء وحكمة وملاطفة.

– فيه تشاكل تركيبي صوتي بين الوحدات، وتوزيع هندسي ذو أثر جمالي :

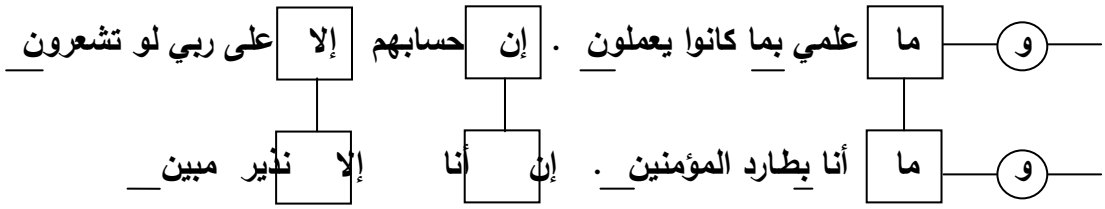

أ– ويكشف الدلالات السابقة أولا : الطابع الاسمي التأكيدي التدقيقي بواسطة أداتي الحصر : " إن النافية + إلا " في الوحدتين الثانية والرابعة.

ب– دلالة التصحيح تبدأ من مورفيم العطف الأول (الواو)، والمسمى : عطف " تلقين" أو " تكميل"[3] ؛ ففي ملفوظهم خطأ ونقص.

– الاستفهام " ما" : – المحمَّل دلالات قلة العناية بالمجهول، وضعف شأنه؛ فالاستفهام عن شيء إيذان بالجهل به[4].

– المستفهم عنه : – فيه توسيع وتقص بوسائل :

1– تضمينه معنى[5] الاشتغال والاهتمام، زيادة على معناه الأصلي، مع مجيئه مصدرا؛ توسيعا لمجاله الزمني.

2– هذه الدلالة فرضت بإجبار ركني نقل حركته بواسطة " باء التعدية".

---

[1] ففي القاموس المحيط : " أرذل العمر : أسوأه". وفيه بقية الصيغ. ص905.
[2] روح المعاني. 107/7/19.
[3] التحرير والتنوير : ص 160.
[4] م. س.
[5] المرجع السابق. ص 161.

3- المنقولة إليه الحركة تمظهر في صورة موصول (ما)؛ ليشمل جميع الأحوال 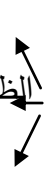

وهو بذلك يتساوى دلاليا مع المستفهم عنه.

4- إقحام (كانوا) بين الصلة والموصول؛ لزيادة معنى التأكيد والترسيخ، والتركيز، بالتالي على الحركة في الصلة الفعلية دون الزمن.

جـ- وإتماما للمستفهم عنه، ذي الطابع الشمولي العام، الذي لا يدخل بكامله في دائرة ما كلف به، وما يهتم له، وهو الأعمال المحاسب عليها؛ جيء بالوحدة الثانية، القاصرة هذا الفعل (الحساب)- والذي اختير لما فيه من دلالات التمحيص والتحقيق الشامل جميع الأحوال، غيرِ المفوِّتِ ذرةً – على " ربه"، الوارد مضافا إلى ضميره، والعنصر المتلاحم الطرفين يومئ إلى شدة اتصاله بربه. ثم هو مرسله؛ فربط نفسه به؛ إيذانا بأن التصرف من شأن المرسِل لا المرسَل.

د- وفيما سبق، دلالة على الجهل الناضح به جوابهم السابق، والذي يخالطه الكبر والغرور، وهما صفتان متأصلتان؛ فكان ذلك مانعا لتحرر مشاعرهم الفطرية السليمة؛ لذا، عبّر عنه بـ " لو" الامتناعية، وحذف جوابها.

هـ- تأتي **الوحدتان الأخيرتان** متضافرتين لتتويج المحتوى الدلالي للتركيب؛ فهما جامعتان سالبا وموجبا مؤكّدَين : الأولى واضحة في رد طلبهم المبطِّن كلامَهم؛ فجاء المسند إليه ضميره؛ تمييزا لنفسه عنهم، والمسند مصدَّر بالباء الزائدة المدعمة النفي، والمسلّط على صفته الدائمة الزمنية : اسم الفاعل المضاف إلى معموله الوارد مثله (اسم فاعل)؛ دلالة على رسوخ الصفة، وهو مقابل لوصفهم المضاد (الأرذلون)؛ تكريما، وإعلاء لشأن أتباعه.

- أما **الوحدة الأخيرة؛** فتأتي بعد الوظائف السلبية الممحوّة؛ تأكيدا لوظيفته الإيجابية؛ ترسيخا لمعقد الإسناد بوسائل : تسليط النفي على الـ (م إ) كاملا، ثم إخراجه في صورة واحدة: "

[1] م. س.

نذير" في صيغة مبالغة، محدَّدا وموضَّحا بعنصر(ن) : مبين. وهما الصفتان المتحققتان في كل ما سبق من الملفوظات المسندة إليه.

ت3 : محمَّل بمدلولات نفسية فكرية تضع نهاية للحوار من طرفهم، وذلك مقيمٌ الحجةَ عليهم؛ ففيه دلالة على العجز عن المطارحة الفكرية الإقناعية – وقد عرف ذلك من أول رد، لكنه هنا إعلان صريح–، وفيه كشف عن ضيق و تبرّم تراكما منذ أول الدعوة ،مع احتقار واستهانة بنوح عليه السلام .

يحمل هذه الدلالات إلى السطح ما يأتي :

1– تزاحم المؤكدات:*القسم المحذوف *اللام الموطئة *لام ونون التوكيد المثقلة *الخبر الصوري مركب النسبة.

2– مناداته باسمه؛ ففيه جفاء و قلة أدب[1].

3– التركيب الشرطي التهديدي، مع انتقاء لفعل شرط دال على أن صنيعه وسعيه هو من قبيل القبيح، والفعل الإجرامي المحرم في عُرفهم؛ لما فيه من إفساد، دون تحديد جهة هذا الإفساد، فالفعل مما يتعدى بحرف النسبة " عن"؛ لذا كان اختيار العقاب التهديدي بحشره – عليه السلام – في زمرة الدُّعّار المستحقين الرجم[2].

ت4 : التصريح القولي السابق المحكم الإغلاق، يضع جدارا قويا فاصلا، وحدّا لـ " الإنذار المبين"، وبالتالي نهاية للرسالة. لكن النهاية الحقيقية يبد مصرّف كل أمر؛ فكان توجه النبي إليه طلبا لوضع هذه النهاية الجارفة الإعراضَ المتأصل المتواصل، على تكرر محاولات الرسول، مع التمهيد له بـ : " إنّ قومي كذبون"، وهو إخبار منبئ عن تحسر ويأس، وكان فيه كأنه غير مصدق هذا الخبر؛ فجاء بـ " إنّ" إقناعا لنفسه، فالمسند إليه مضاف إلى الضمير، عيّنه بنسبته إلى نفسه دون " أل"؛ تعبيرا عن المشاعر السابقة. أما المحمول المسند

[1] نظم الدرر. ص 376.
[2] التحرير والتنوير. ص 163.

فهو المعلِّل للطلب، المسبّبُ قطعَ الصلة في المركب الإضافي المسند إليه، وكأن حذف المفعول به في المسند، إشارة إلى ذلك، مع رعايته على الفاصلة.

وكانت المفصلة بمورفيم الربط " الفاء"؛ مسارعة إلى الطلب دون تردد، وتسبيبا له عن سابقه.

– أما الطلب؛ فقد تمظهر في صياغة أسلوبية مقابلة الإحكام الإنهائي في قولهم، فاختير له من المسانيد : " افتح"؛ مدعوما بمصدره في صورة مفعول مطلق " فتحا"، ويعني الحكم بما يكون له فيه فرج، ومن الضيق مخرج به[1]. فهذا المحتوى المدلولي لا يتسع له " احكم". والمجيء بمصدره فيه زيادة توضيح وتدقيق، بحيث يكون الحكم إنهائيا فاصلا شديدا. وفي هذا إيماء وتلميح إلى نوع الحكم المطلوب. ولأن الفعل ورد منقول الحركة إليهم جميعا (بيني وبينهم)؛ احتاج زيادة تدقيق وتفصيل، وهو ما جاءت الوحدة المرافقة بواسطة " الواو"، والمتناغمة مع أختها والظرف في السابقة (بيني وبينهم)، لتأديته؛ فالحكم المطلوب عمليتان متزامنتان، ثانيتهما : " الإنجاء"، بدلالتها الإيجابية المسلطة منطقيا على الفئة الإيجابية، التي يمثلها " نوح ومن معه". ويحدّد المجرور، في مركب النسبة المغلق دورةَ التركيب والدلالة : " المؤمنين"، صفة الفئة الإيجابية.

ت5 + 6 : يتشاكلان، كما سبق التصريح، مع التركيبين الأخيرين في قصة موسى عليه السلام حذو النعل بالنعل؛ مع وجود ما يدل على اختلاف النعلين. وهو ما سنقف عنده :

– الاستجابة مساوية للطلب، محققة له كاملا : نصرة، وتأييدا، وإرضاء. يعبر عن ذلك تكرار العناصر نفسهما، مع ما يفرضه تغير المسند إليه (أنجيناه ومن معه)، فكأنه صدى للسابق، أو صورته، ولله المثل الأعلى.

– " الفلك المشحون" : – تبيين وسيلة الإنجاء، ونعتها؛ إشارة إلى غرابة إنجاء المملوء جدا، وبالتالي إثبات مدى قدرة وعظمة الفاعل.

– " بعد الباقين"، وما قال " الآخرين"، كما في السابق؛ دقة في نقل الوقائع كما حدثت بتفاصيلها، وتأكيدا للعظمة؛ فالإغراق شمل كل من بقي على الأرض، على كثرتهم وقوتهم، بسير[2]، وليس الشمول صفة السابق.

---

[1] نظم الدرر. 376.

[2] م. س

- مج ت الثامنة :

تمتد بين الآيتين : الثامنة والعشرين بعد المائة، والتاسعة والثلاثين بعد المائة؛ محتوية قصة عاد مع أخيهم ونبيهم هود عليه السلام.

وتحتوي التراكيب الآتية :

1- / أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم جبارين / م ت ت.
2- ف / اتقوا الله وأطيعون، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم / م ت ت.
3- / سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، إن هذا إلا خلق الأولين، وما نحن بمعذبين / م ت ت.
4- ف / كذبوه / ف ب مج.
5- ف/ أهلكناهم / ف ب مج

* الربط بين وحدات التركيب الأول وسيلتان : أ- دخولها جميعها في دائرة الاستفهام.
ب- الربط الحرفي: الواو.

- وبين وحدات الثاني : أ- الرابط الحرفي : الواو.
ب- التكرار التوسيعي للمسند الفعلي (اتقوا + أمدكم).
جـ- الربط الدلالي التعليلي للوحدة الأخيرة[1].

* الحركة الدلالية في التركيب حركتان :
أ- موضعية : في ثلاثة التراكيب الأولى. ويميزها :
1- تواتر الواو رابطا حديا وداخليا 8/7.
2- التعقد والامتداد التركيبيان.
ب- أمامية تعقيبية سريعة : في التركيبين الأخيرين. ويميزها :
1- الرابط بالفاء.

[1] التحرير والتنوير. ص 170.

2- البساطة والاقتضاب التركيبيان.

* نسبة المشاكلة بين هذه المجموعة وسابقتها عالية من حيث خصائصها الهيكلية العامة، ومن حيث هيمنة الصوت النبوي. غير أن هذه ترتفع فيها نسبة الوحدات الإسنادية الفعلية على حساب الاسمية : 16 في مقابل 06، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الانحراف المميز عادا، والذي يبرز بقوة في مظهر عملي، رغم صدوره عن خلفية فكرية نفسية.

فالمجموعة دائرة حول محتوى دلالي مركزي اشتهرت به عاد تاريخيا، لكنه تواصليا متسع ليشمل دائرتي التلقي الأخريين؛ متخذا من عاد جسرا ورمزا. وتظهر الملفوظات اللغوية، مفردة ومركبة، تداخل هذين الحقلين في انسجام محكم بديع، ونمثّل لذلك بنماذج موضحة.

- **ن ت 1** : التركيب الأول الذي تحدد إطاره الدلالي، وغرضه التواصلي المغلق والمفتوح : **الهمزة**، التي يستغل الخطاب طابعها الاستفهامي التحفيزي بتوظيفه لحمل دلالات الإنكار والتوبيخ؛ الموسّع نظيره في الجملة السابقة (ألا تتقون). والملاحظ أن الإنكار والتوبيخ منصبان على ما الأصل فيه الإباحة : " تبنون"، " تتخذون مصانع ". وهذا المحتوى لا يتلاءم وعمل الأنبياء، فلا يكتسب خصائص المدونة، رغم اكتمال التركيب إسناديا (م + م إ ، م + م إ + مف) . وهذا فرض على المسند أن يستدعي عناصر أخرى، ويجذبها إليه؛ قصدا إلى إكساب الاستفهام جدواه؛ فكانت العناصر الآتية، مع دقة في تمظهرها الصوتي، وتوزيعها في محيط الكلام :

- **المفعول غير الصريح** : المتبادل الموقع اختياريا مع المفعول الصريح، والمركب من عنصرين متلاحمين: (مض + مض إ). انتقلت حركة الفعل إليه بواسطة الباء الظرفية. ودلالة الشمول فيه مع الكثرة المغطية المضاف إليه، الذي هو موضع الحركة[1]، هي المظهرة ما أنكره عليهم النبي؛ لذلك قُدم على : **المفعول الصريح**،: المنتقى لدلالته على المصنوع المعجب الذي " يكون علامة على إتقان صانعه، أو عظمة صاحبه"[2]. فهو موسع موضح دلالة المفعول غير الصريح. وكلاهما، معا، يفرضان بإجبار ركني، ويسوّغان التصريح بمناط الإنكار؛ المجسَّد على السطح في صورة الحال " تعبثون"، العائدة على المسند إليه. والحال

[1] والريع : المكان المرتفع المشرف على الطريق المسلوكة، وكانوا يبنون عليها لتيسير السير على السابلة لألا يضلوا في الفيافي المهلكة. انظر: التحرير والتنوير : 167، 168.
[2] السابق. ص 167.

مبينة هيئة صاحبها أثناء وقوع الفعل، أي أنهما متزامنان، وفي ذلك تنزيل للفعل المفضي إلى العبث، منزلة المراد منه العبث عند الشروع فيه[1]، وقد يجوز اعتبارها مقدرة مستقبلة[2].

سكت الخطاب عن جهة وقوع الفعل (تعبثون)؛ لأن الحركة نفسها هي مصب الإنكار، وهي راجعة إلى خلل نفسي.

– وكذلك الأمر بالنسبة **للوحدة الثانية**؛ فالدلالة المنبثقة من عناصر الإسناد : م + م إ + مف، لا عيب فيها، فلا ضرر في بناء القصور الشاهقة[3]، بل الغرور وعبادة الدنيا ورجاء الخلود هو المنكر.

– **الوحدة الأخيرة** كذلك : فالبطش : الضرب[4]؛ عام الدلالة، فيمكن أن يتجه إلى الإيجابي المباح، كالعقاب على الذنب. لكن تكرار المسند بلفظه في الجواب، مع تقييده بعنصر الحال الذي يمثل مركز الدلالة في هذا المركب الشرطي؛ فالجبار من دلالاته : " قلب لا تدخله الرحمة، والقتال في غير حق، والعظيم القوي الطويل"[5]، هو ما يحوّل الفعل إلى دلالة سلبية ينصب عليها الإنكار.

وفي العدول إلى التركيب الشرطي، والزمنية الماضية في المسند في الوحدة الأخيرة، دقة تعبير ونظم؛ ذلك أن الفعل في الوحدتين الأوليين واقع مستمر، فناسبه المضارع، وفي الأخيرة غير واقع، لكن يغلب احتمال وقوعه، فكان التعليق بـ (إذا)[6]؛ لاشتهارهم به فيما مضى.

ويمكن تجسيد العلاقات الدلالية داخل التركيب كما يأتي :

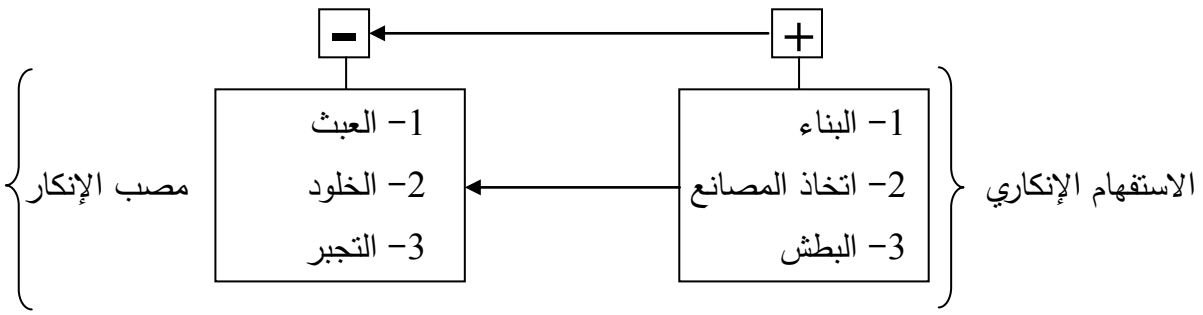

[1] التحرير والتنوير. 167.
[2] " هي التي يتحقق معناها بعد وقوع معنى عاملها " : عباس حسن، النحو الوافي : 2 / 390.
[3] هو أنسب دلالات " المصانع" للسياق، لما توحي به من معاني المكنة والرسوخ المولدة ما انصب عليه الإنكار في الوحدة الموالية. انظر : روح المعاني : 110/7/19. والتحرير والتنوير. ص 168.
[4] تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة. ص 319.
[5] القاموس المحيط : ص 325 . وقوم عاد كانوا أشداء أقوياء، وقد قالوا : " من أشد منا قوة" : سورة فصلت : 15
[6] انظر هذا البحث. ص 82 هامش (6).

– **ن ت2** : هو عود على بدء، مع توسيع وإضافة، ناسبا مقام كشف مكمن الانحراف، مع تحقيق للبلاغ المبين. نجد ذلك في التركيب الثاني؛ فهو تصحيح للانحراف وتوجيه إلى وضع الأمور في مواضعها الصحيحة. وتظهر هذه الدلالات في المسندين المكررين : " اتقوا" و" أمدكم"، وقبلهما في التفريع بالفاء السببية؛ فالمسند الأول تعدى إلى غير مفعوله المباشر

الأول لفظا : " الله"، الذي شغل خانته الاسم الموصول الخاص : " الذي"؛ قصدا إلى صلته ذات القدرة على التمدد التركيبي؛ لشحنها بكم مدلولي ثري؛ إصابة للغرض التوصيلي. هذه الصلة المجسدة ماديا في المسند الثاني المكرر: " أمدكم"، وتظهر فيه وفيما تحلّق حوله، دقة التوظيف والانتقاء والنسج :

1– اختياره من بين البدائل الجدولية المحتملة، مثل : منح، وهب، رزق...؛ لما يمتاز به عنها من دلالة على " إتباع الشيء بما يقوّيه على الانتظام"[1] ففيه دليل عظمة الفضل والمنة على المنقولة إليه الحركة : ضمير القوم.

2– المسند إليه النسخة للحقيقي : " الله"؛ تنبيها على أنه مصدر الحركة في المسند، والمنقولة إليهم، وإلى المفعول غير المباشر.

3– تعدي الأول إلى موصول عام: " ما" مفعولا غير مباشر؛ إجمالا؛ تهيئة للتلقي[2]، مع مجيء صلته فعلا مسندا إلى ضميرهم، ودلالته تنفي أيّ نوع خفاء في الموصول؛ فينتفي إعذارهم في الغفلة عن تقييده بالشكر[3].

4– استدعى الأثر الإخباري تكرار المسند " أمدكم"، المحتمل نحويا إعرابين : توكيد، أو بدل بعض من كل[4]، ولعل الثاني أقرب إلى السياق؛ لأن فيه توجيها لإدراك المتلقي إلى التركيز على الأجزاء المهمة في الكل المذكور في الوحدة الأولى. ومركز هذه الوحدة المفعول غير المباشر، المتعدد بواسطة " الواو" : " أنعام، بنين، جنات، عيون". وفيها دقة اختيار وتوزيع

[1] نظم الدرر. 378.
[2] التحرير والتنوير. 170.
[3] نظم الدرر. 378.
[4] التحرير والتنوير. 170.

ودلالة؛ إذ وردت مسلوبة التعيين دلالة كثرة، ومرتبةً بحسب الأهمية، والسابق منها يحتاج اللاحق : – يسبق أولها المفعول المباشر، وهي سبب البقاء، وما يقيم الأود، ثم البنين. والأخيران مظهرا رفاهية وكمال وعيش. هذا المحتوى الناتج عن العلاقات المتشكلة من نظم عناصر التركيب، هي ظهر القطعة النقدية، ووجهها : كمال الإنعام والإفضال المستحق الشكر والتقوى. غير أن واقع القوم عكس ذلك، وهذا ما يجعلهم معرضين للحركة المضادة السلبية المساوية للواقعة في قوتها، فجاءت **الوحدة الأخيرة** لتكمل البناء الدلالي، وتحقق الإبلاغ

التام، فماثل المفعول المباشر فيها غير المباشر في سابقتها؛ إذ ورد مركبا من : " م إض + ن". ورغم ما في ذلك من تقص وتحديد، إلا أنه يمثل نصف الدلالة، فنصفها الآخر : إبهام وتهويل؛ تقريبا لتحقُّق النصف الأول (عذاب يوم عظيم)؛ إمعانا في الترهيب. وأخيرا، فإن الناسخ (إن)، و المسند الفعلي (أخاف)، يتضافران لبناء دلالة رحمة النبي بقومه وإشفاقه عليهم. والوحدة متناغمة مع قوله : " وما أسألكم عليه من أجر".

– **ن ت 3** : تمثله بعض خصائص التركيب الثالث وعناصره المشكلة كيانه التركيبي : معللة لسابقتها :

1– مجيء المحمول في الوحدة الإسنادية الثانية خبرا صوريا : " من الواعظين" مبالغة في نفي الصفة عنه.

2– دلالة المبالغة يحملها كذلك القصر الإضافي في الوحدة الموالية : إن ....إلا.

3– الاكتناز الدلالي في محمول هذه الوحدة "خلق" الذي اتسعت دائرته لتشمل وحدته المعللة سابقتها، والوحدة الموالية. فله قراءتان : – بضم الخاء واللام – بفتح الخاء وإسكان اللام[1]. يحتمل على الأولى معنيين[2] : أ– مدح أحوالهم لاقتدائهم بأسلافهم. ب– خلق أناس قبله انتحلها وما هي بأمر الله.وعلى الثانية معنيين[4] : أ– الإنشاء والتكوين كالأولين، وفيه تكذيب للعبث بدلالة الاستثناء. ب– خبره كذب واختلاق. وفي هذا الاتساع الدلالي جمع المنطوق كثير. "فلله إيجازه وإعجازه".

4– ترسيخ نفي المستدعى المسند إليه بالباء الزائدة في الوحدة الأخيرة.

---

[1] انظر البحر المحيط. ص 33، 34.

[2] ، [4] التحرير والتنوير. 173

– فالمبالغة هي ميزة البناء الدلالي لهذا التركيب، قصد إلى غرض تواصلي هو : مناقضة وتقويض بناء هود.

ن ت 4 : تمثله الوحدة الأخيرة : "ف / أهلكناهم /". م المتقاطعة في خصائصها التركيبية والسياقية، والدلالية مع الخواتيم في السوابق. وتتميز باكتسابها جنسية سياقها الخاص، فهي ترجمة عملية لإنذار النبي المبهم (عذاب يوم عظيم) فجاء مبهما مثله، وهذا يدفع متلقي النص إلى التفاعل بتحريك الوظيفة التخيلية. وقد حدد في سياقات أخرى[1].

– مج ت التاسعة :

تمتد بين الآيتين : السادسة والأربعين بعد المائة، والجزء الأول من الثامنة والخمسين بعد المائة، محتوية قصة صالح عليه السلام مع قومه : ثمود.

تتشكل تركيبيا من :

1– / أتتركون فيما هاهنا أمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتتخذون من الجبال بيوتا فرهين / م ت ت.

2– ف / اتقوا الله وأطيعون، ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون / م ت ت.

3– / إنما أنت من المسحرين، ما أنت إلا بشر مثلنا، فات بآية إن كنت من الصادقين / م ت ت.

4– / هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم / م ت ت.

5– ف/ عقروها / ف ب مج.

6– ف/ أصبحوا نادمين / ف ب مج.

7– ف / أخذهم العذاب / ف ب مج.

[1] أنظر مثلا : فصلت : الآية 16، والحاقة : الآية 06.

* مع إمكانية دمج الوحدات الثلاث الأخيرة في تركيب واحد، لكن جريا على المعهود فيما سبق نفيها مستقلة برغم الترابط الدلالي؛ وهو تقسيم إجرائي تيسيري.

* مظاهر التشاكل مع المجموعة السابقة بارزة، خاصة في التركيبين الأولين، والثلاثة الأواخر. لكنها تزيد عليها شوطا حواريا يمثل مرحلة التحدي من طرف القوم لنبيهم وإجابته؛ قبل المرحلة الإنهائية المترتبة عما أفضى إليه الشوط الحواري.ونقف عند ما يميز البناء الدلالي للمجموعة، وعند نماذج من التفرد في التشكيل الأسلوبي الفني الجمالي :

1- تواتر الاستفهام المفرغ من دلالته المتواضع عليها في هذه المجموعة، وفي سوابقها ولواحقها، فهو خروج به عن أصله؛ ليتلاءم والسياق؛ إذ خرج إلى الإنكار والتوبيخ المنبهين، وما انصب عليه خروج عن الأصل في الحياة، مع غفلة وغياب للعقل، وتبلد في المشاعر.

2- دقة انتقاء أول المسانيد : " تتركون" وسّع مجال حركته لتبلغ حدَّ التركيب الأيسرَ؛ فتغطيه بكامله؛ فتشتد عرى التعالق الدلالي، رغم التعقد والامتداد الخطي للتركيب. ويتضح ذلك فيما يأتي :

- خضوعه لتحويل اختياري : البناء للمجهول، ووقوعه على ضمير القوم، أي أن المسند إليه المحذوف هو غيرهم، فليسوا المتحكمين في أمرهم، ولا هم مسيرو حياتهم، بل المسند إليه المحذوف؛ لأنه معلوم، وتنبيها.

- موضع وجهة وقوع الفعل مثلته العناصر الآتية :

1- ما ههنا.

2- جنات، عيون، زروع، نخل طلعها هضيم.

يوحدها حرف النسبة، وتجمعها علاقة البدلية المتمثلة في تفصيل الثاني إجمال الأول.يميز أولهما دلالة الشمول والكثرة المنبه إليهما بحرف التنبيه والإشارة إلى القريب المشاهد. ويزيد الثاني (العناصر الأربعة المتعاطفة) كونه الجزء النوعي المجلي الحضور الإنعامي للمسند إليه، وآخر هذه العناصر متوج هذه الدلالة بتركيبه اللغوي، وثرائه المضموني، فجزؤه المتمظهر في صورة وحدة إسنادية، يمثل المحتوى المقصود، والذي محوره دلالة المحمول :" هضيم"؛ لذا ورد مكتنزا متعدد الدلالات : الجودة، الكرم، الينع، النضج، اللين، الرخاوة...

وكلها راجعة إلى معنى اللطافة[1]، وهذه الدلالة هي التي استدعت إفراد الأصل؛ لأنه داخل في العنصر الأول (جنات)[2].

3- يؤدي عنصر الحال المؤسسة :" آمنين "، دورا رئيسا في بناء الشبكة الداخلية للتركيب؛ إذ يمتد أثره إلى طرفي المفعول غير المباشر اللذين يتوسطهما، ويمنحهما صفة النعمة المتمتعين بها. ويتضافر مع المسند (تتركون) لتشكيل الدلالة المسلط عليها الإنكار والتوبيخ. ولا يقف أثره هنا، بل يمتد إلى الوحدة الموالية : " تنحتون..." موسعا معه أثر وحيّز الاستفهام في المسند، فجاءت الوحدة الإسنادية الفعلية معطوفة عليه، مشتركة معه في الحكم؛ لأنها بمعنى : ناحتين[3]. وقد تخالف العنصران المتعاطفان، من حيث اسمية الأول " آمنين"؛ قصدا إلى دلالة رسوخ الصفة، وفعلية الثاني " تنحتون" بصيغته المضارعية؛ بقصد إلى استحضار الحركة في خيال المتلقي، لتميزها، والذي يظهره المفعولان: غير المباشر المقدم؛ لبروز الصفة (التميز) فيه : الجبال، ثم المفعول المباشر المؤخر : بيوتا. أما المسند؛ فإن انتقاءه من المحور الاستبدالي كان لملاءمته سياقه بدلالاته : الدقة، امتداد شريحته الزمنية، مظهر قدرة. وهي الدلالات نفسها التي استدعت عنصر الحال :" فرهين " المتكاتف مع المسند بدلالاته : أشرين، بطرين، نشطين، مهتمين، حاذقين[4]. وهي، على ما يبدو بينها من تباعد، متناغمة، يحتملها العنصر، ويساهم بها مجتمعة في إنهاء التركيب نحويا، وإغلاقه دلاليا، مع بقائه مفتوحا تواصليا. وقراءته دون ألف[5] أنسب صوتيا لمعناه؛ لتوالي الحركات، ولأنه صفة مشبهة دالة على الثبوت، أو صيغة مبالغة، كما سبق في " حذرون" أواخر قصة موسى.

4- مظهر الخروج عن الأصل في التركيب السابق عام شامل القوم جميعهم؛ أما لاحقه، ففيه تركيز على الفئة الطاغية المبالغة في الخروج، إلى درجة التأثير في بقية القوم. وهذه المعاني تظهرها إلى السطح العناصر الآتية:

- المضارع المسلّط عليه النهي:" لا تطيعوا "، الواقف في الطرف المقابل لسابقه: " أطيعون"؛ لتقابل صفات المفعولين: النبي، والرهط، وما يأمران به.

---

[1] نظم الدرر. ص 381.
[2] روح المعاني. 113/19
[3] التحرير والتنوير. 176.
[4] روح المعاني : 113/19.
[5] وهي قراءة الجمهور، وقرأه بالألف : عبد الله ابن عباس، وزيد بن علي، والكوفيون، وابن عامر، السابق.

– العدول : بنسبة المسند إلى الأمر، دون الآمر، مجاز زاد الدلالة مبالغة[1].

– إضافة المفعول إلى ما يبين الصفة المميزة للفئة : " الإسراف"، وهو سبب تسليط النهي على فعل الطاعة، وبه يكتمل بناء الوحدة. وفي عموم المضاف إليه وجه آخر للمبالغة.

– تدقيق الدلالة بواسطة عنصر النعت المتمظهر في صورة موصول : " الذين"؛ قصدا إلى صلته الفعلية المضارعية؛ استحضارا وتجسيدا للحركة، كأنها المظهر المادي للموصوف. وقد وردت بتشكيل أسلوبي يبدو للقراءة العابرة تكرارا لا حاجة إليه، وتكشف المتأنية ضرورتها للبناء الدلالي، والمقصد الإبلاغي خاصة؛ فقد عطف الخطاب القرآني على الصلة : " يفسدون" نفي ضدها : " لا يصلحون"[2]. والدلالة المخدومة هي : تأكيد إثبات الفساد لهم[3]، وأنه فساد خالص، ونفي ادعاء الصلاح في بعضه[4].

5– يكشف رد القوم إحكام تبليغ النبي، وعجزهم عن الطعن، وبالنتيجة عدم الجزم بتكذيبه، وهي دلالات تحملها الملفوظات الآتية :

– القصر : إنما + من المسحرين : ففيها مبالغة في التعبير عن تمكن السحر منه، وبقصره على الصفة الواردة دون سواها، وفي الحذف والتعويض : الخبر الحقيقي وتعويضه بالصوري؛ فانتماؤها إلى فئة المسحرين أدل على رسوخ الصفة من اسم المفعول : مُسحَّر. واختيار صيغته المضعفة دون المخففة (مسحور)، دلالة على المبالغة، فالفعل وقع مرة بعد مرة حتى غلب عليه[5].

– إتباع الوصف في الوحدة السابقة بآخر في الوحدة الموالية، دون عطف؛ لتمام الاتصال.

– تكرار القصر المحاصر دلالة تقي تميزه عنهم.

---

[1] روح المعاني : 113/19.
[2] لها نظائر في القرآن الكريم كقوله تعالى : " وأضل فرعون قومه وما هدى" : طه : 79.
[3] التحرير والتنوير. 176
[4] نظم الدرر. 381.
[5] نظم الدرر 381.

6- تتسارع الحركة فيما تبقى من التراكيب؛ دلالة تبين واتضاح المواقف وثباتها، فتواتر العطفُ بالفاء التعقيبية السببية. ويتضح ذلك فيما يأتي :

- سرعة إجابة التحدي بالإشارة إلى المحمول بواسطة أداة القرب، مع دلالته على السهولة. وفيه مطابقة لذلك للخارق المطلوب : " آية". بل ودعمت الآية بأخرى؛ تأكيدا على الخارق، وتصديقا للرسول : بشربها ماء البئر كله في يوم معلوم[1].

- تعقيب التخويف والتحذير على مخالفة المهني عنه، وتسبيبه عنه. وقد جاء المنهي عنه مشحونا بالتشديد؛ لأن الحجة قد قامت عليهم بإجابة التحدي. ويظهر ذلك : المسند " تمسوها "، والمفعول غير المباشر : " تسوء" مسلوب التعيين دلالة تقليل وشمول : أي كائنا ما كان وإن قل. وفي مقابل المنهي عنه الهين القليل، يترتب عقاب شديد مهول مبهم : المسند : " يأخذ"، الدال على الإزالة والمحو الكامل، دون تبيين كيفيته، والمسند إليه " عذاب"، المسلوب التعيين، رغم إضافته، فالمضاف إليه نفسه غير معين " يوم"، النعت " عظيم" الذي هو موصوفه في الحقيقة المسند إليه، لكنه نقل إلى المضاف إليه، ترسيخا لأثر ووقع العذاب في نفوس المتلقين؛ " لأن الوقت إذا عظم بسببه، كان موقعه من العظم أشد"[2].

- سرعة مخالفة النهي، وسرعة تحقيق المتعهد به في صورتين متعاقبتين :

1- الندم حين الإيقان بالعذاب[3].

2- تحقق المتوعد بالصورة نفسها التي أخبر بها صالح عليه السلام، إذ أعاد الخطاب القرآني العنصر نفسه محلى بـ "ال" التي للعهد الذكري، والتي أغنت عن تكرار المضاف إليه والنعت، وفيه إيجاز بديع، وقد عمهم العذاب، رغم أن العقر كان من فعل واحد فقط هو : قدار بن سالف، لكن القرآن الكريم نسبه إلى ضميرهم جميعا، لما روي أنه اشترط رضاهم ليباشر فعلته[4].

---

[1] نفسه. ص 382.
[2] الكشاف 178/4
[3] ذكر القرطبي أنه أنظرهم ثلاثا، فظهرت عليهم العلامة في كل يوم، وندموا، ولم ينفعهم الندم عند معينة العذاب : الجامع لأحكام القرآن : 99/13/7.
[4] فكانوا يسترضون المرأة في خدرها وكذلك الصبيان حتى رضوا جميعا : روح المعاني : 114/19، والبحر المحيط : 35/7.

- مج ت العاشرة :

تشملها الآيات من : الخامسة والستين بعد المائة، إلى الثالثة والسبعين بعد المائة، محتوية قصة لوط عليه السلام مع قومه. وتضم التراكيب الآتية :

1- / أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزوجكم بل أنتم قوم عادون / م ت ت.

2- / لئن لم تنته يالوط لتكونن من المرجومين / م ت.

3- / إني لعلمكم من القالين / إ ب مو

4- / رب، نجني وأهلي مما يعملون / م ت إ.

5- ف / نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين. / ف ب مو

6- ثم / دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين / م ت ت.

* تحذو هذه المجموعة حذو السوابق في أكثر خصائصها، وفي بنائها التركيبي والدلالي. وتختلف، منطقيا ، لاختلاف القوم والفعل المنكر، فظهرت فيها ألوان خاصة تركيبيا ودلاليا، لعل ما يأتي يوضحها:

1- التركيب الأول يقوم على ضرب من تناسق والتلاؤم الدلالي بين الوحدات المشكلة بناءه الهيكلي، تتضافر العناصر اللغوية المنتقاة الموزعة بدقة بليغة في بنائه. فالتركيب وضْع لفعل قوم لوط في ميزان الفطرة، الذي كشف : قبح فعلهم وتفردهم به، ومخالفتهم الفطرة؛ مما أنتج حكمين : إنكار توبيخي، ونتج عنه تصنيف لهم، وكشف لحقيقتهم الصادر عنها فعلهم. وهذه نماذج موضحة :

- **من العالمين** : تؤدي " من" دورا مركزيا - على اقتضابها الصوتي، وعدم استغنائها الدلالي- في بناء دلالة الوحدة؛ إذ تفصل بين متخالفين متضادين: فعل قوم لوط، وبقية المخلوقات، التي اقتصر الخطاب القرآني على تمثيلها بعنصر واحد : " العالمين"، المغني

لبناء المحتوى المقصود الذي هو : بقية الأنواع، من بشر وغيرهم، مما فيها ذكر وأنثى، فليس مما يأتي الذكور، وفيه إيماء إلى الانحطاط دون مرتبة الحيوان الأعجم، مع مخالفة الفطرة. وتساهم الوحدة الموالية المقابلة في توضيح هذا المحتوى من خلال : المسند في الصلة:

– **خلق** : الدال على الفطرة؛ فما يخالفه مضاد للفطرة[1]، ولذلك صرح به في المسند الواقع على الموصول " تذرون" المضاد في دلالته لـ : " تأتون"، مع دلالة الأول على النفور، والثاني على الرغبة. وقد عُدّي فعل الخلق بلام التمليك؛ دلالة قصد وتخصيص وتهيئة، وفاعل ذلك هو : "ربكم"، راعيكم وبارئكم، ومهيء أسباب الحياة السوية. وقد أضيف إلى ضميرهم؛ تذكيرا وتنبيها. وجاء مركب النسبة الأخير مع إضافة المجرور إلى ضميرهم؛ تخصيصا لجهة وقوع الفعل[2]؛ تقصيا وتدقيقا، مع ما بين المتضايفين من حميمية. وقد أدى هذا التضاد البيّن بين محتويي الوحدتين المنصب عليهما الإنكار والتوبيخ، إلى بناء دلالة الوحدة الموالية، المتوصل إليه بما يناسب العلاقة بين الطرفين، وهو : الإضراب الانتقالي " بل". وشدة المخالفة ولّدت شدة الحكم الناتج :

– الصبغة الاسمية للوحدة " مبالغة في تحقيق نسبة العدوان إليهم"[3].

– إخراج المحمول إلى السطح في صورة مركب وصفي، مع إمكانية تشكيل محتوى مفهوم بواسطة النعت " عادون"، والمنسجم مع السياق بصورة بليغة؛ لأن باطنه ذو وجهين متكاملين : " ترك الأزواج بتعدي الفعل بهن، وتجاوزه إلى الفعل بالذكران"[4]، وتجاوز الحق إلى الباطل. وقد جاء الخبر الموصوف " قوم" لبناء دلالة ثرية مكافئة مطابقة للموضوع المخبر عنه، وهي إثبات الصفة لهم، فليست بالمعارضة، بل هي سجية راسخة، هم عريقون فيها. ويمكن تجسيد العلاقات بين وحدات التركيب كما يأتي :

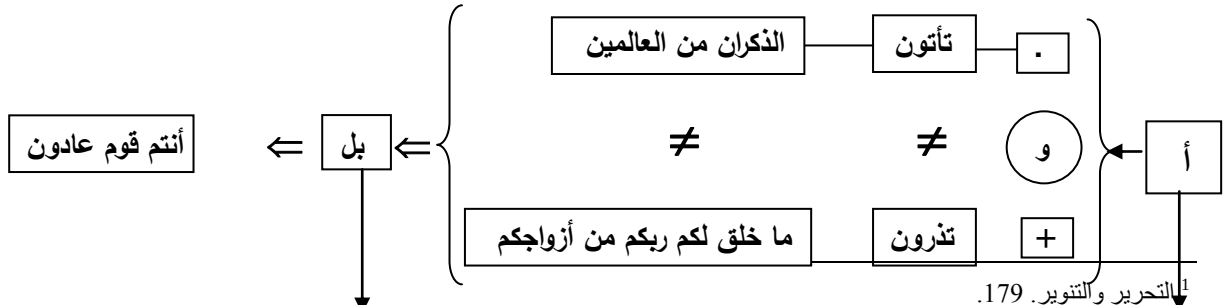

[1] التحرير والتنوير. 179.
[2] باعتبار " من " تبعيضه فيكون المقصود : القبل : نظم الدرر 384/5 – أو الفروج : قاله : الفراء : معاني القرآن، 282/2. والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن، 100/13/7.
[3] التحرير والتنوير. 180.
[4] نظم الدرر : 384/5.

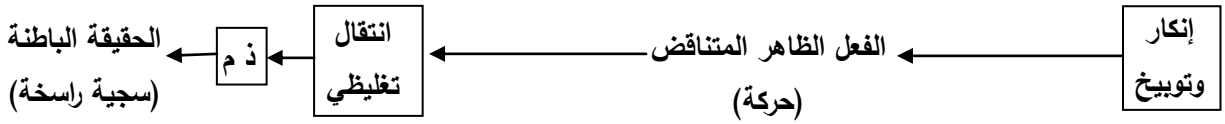

2- تَظهر دقة السرد القرآني في مطابقته الحدث التاريخي في مركب النسبة في جواب الشرط التهديدي : " من المخرجين"، فقد كان لوط عليه السلام غريبا عنهم. مع زيادة معنى يؤكد وصفه السابق، هو أن ذلك ديدنهم مع كل معترض.

3- جواب لوط تهديدَهم: تركيب اسمي مؤكد بوسائل :

أ – الناسخ المحتضن ضميره.

ب – التبادل الموقعي بين الخبر الصوري ومركب النسبة (لعلمكم).

جـ – العدول عن الخبر المفرد إلى الصوري.

د- دلالة المجرور في الخبر : البغض الشديد كأنه يقلي الفؤاد. ونظم العناصر في السلك التأكيدي يَؤول إبلاغيا إلى إعلان الاستخفاف بالوعيد، والاشمئزاز مما تمجه فطرته السليمة، والثبات على الإنكار.

4- تكرار مادة " عمل" في الدعاء الموجه إلى ربه، لكن بصيغة فعلية مضارعية. وفيه عدول عن صيغة المصدر في الوحدة السابقة؛ خضوعا لمتطلبات السياق، فمقام الترسيخ المغلِّف دلالة الوحدة السابقة بماشيه المصدر، ومقام الإشارة إلى استمرار الحركة – رغم ما بذله من جهد لإيقافها- يناسبه الفعل المضارع، خاصة وأن الموصول مسبوق بمضاف محذوف يدل عليه فعل الأمر : " نجني"، وهو " عذاب"، فمزامنة الحركة المستمرة حجة عليهم، وإقناع للمتلقي؛ لذا ورد مركبا إضافيا متلاحم الطرفين، وحذف المضاف لفظا لغيبته، لكن المضاف إليه يستدعيه ويفرضه.

5- وتتميز هذه المجموعة باتساع الحيز التركيبي المصوِّر العذابَ، رغم تقاطعها مع السوابق

في التصوير الإجمالي المتسارع. ودلالات العناصر المستدعاة لبناء الهيكل التركيبي، مع العلاقات الناشئة من التبادل الوظيفي بينها، تظهر الاستمرار في السياق نفسه الذي ينتظم ملفوظات لوط عليه السلام، والأثر التواصلي الموحَّد، بداية بالمسند :

– **دمرنا:** المتجه نحو الوظيفية التخييلية في ذهن المتلقي، بصورته الصوتية المضعّفة المجسدة الشدة والقوة، مع دلالته التقويضية الإهلاكية، المتوقف قصدا عند حدود طابعها الإبهامي.

– نقل حركة الفعل كاملة إلى مفعول صريح، ظفر بشغل خانته عنصر معجمي، بفضل ظلال المعنى الممتدة منه؛ فهم " متأخرون من كل وجه"[1]، فكان أنسب البدائل الممكنة لتسليط حركة الفعل عليه.

– تضيف الوحدتان الأخيرتان محتوى مميِّزا قصة لوط عن إخوانه السابقين، ويرجع إلى ما فسرنا به اتساع الحيز التركيبي في أول الملاحظة، وكذلك إلى ما ورد في بداية الملاحظة الثانية. أولى الوحدتين تصور شكلا آخر للعذاب؛ لذا عطفت بالواو. توسَّط فيها بين المفعول والمسند مفعول غير مباشر، عُدّيَ الفعل إليه بواسطة حرف النسبة الذي فرضه المحتوى : " على". أما المفعول المباشر، فقد سلب التعيين تهويلا وتضخيما. وفي تأخيره عن غير الصريح تخصيص للفعل لهذا الأخير. أما آخر الوحدات، فمعقَّبة بالفاء، مسبَّبة عن السابقة، مشحونة بدلالات التحقير والاستصغار، مع انتقاء دقيق للمفعول المباشر؛ لبناء دلالة استحقاق العذاب.

– مج ت الحادية عشرة :

تضم آخر القصص، وتضمّها الآيات من : الحادية والثمانين بعد المائة، إلى التاسعة والثمانين بعد المائة، وتشكلها التركيب الآتية :

[1] نظم الدرر : 385/5.

1- / أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين / م ت ت.

2- / إنما أنت من المسحرين، وما أنت إلا بشر مثلنا، وإن نظنك لمن الكاذبين / م ت ت.

3- ف/ أسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين / م ت ت.

4- / ربي أعلم بما تعملون / م ت إ.

5- ف/ كذبوه، فأخذهم عذاب يوم الظلة، إنه عذاب يوم عظيم / م ت ت.

* لا تحتاج مظاهر تشاكل المجموعة مع سابقتيها، خاصة، إلى توجيه الانتباه إليها لوضوحها.

* أما مظاهر المباينة، فنحاول التمثيل بما يضيئها :

1- افتتاح الخطاب الخاص، بعد العام المشترك في التراكيب المكررة، بالإنشاء الطلبي كالسابقين، لكن بصيغة مختلفة هي الأمر، وهو أقل حدة من الاستفهام الإنكاري التوبيخي. ولعل ذلك راجع إلى طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب، علامتها اللغوية على المستوى السطحي للنص، غياب كلمة " أخ" أول القصة[1].

2- بين الوحدات المشكلة التراكيب تواشج دلالي، تؤدي مورفيمات الربط وتلاؤم الوظائف دور تحقيقه، إلى جانب التعالق النظمي المحكم البديع داخل الوحدات؛ مما يكسب التراكيب هويتها المتميزة على مستوى السياق؛ لبناء محتوى للرسالة تام مكتف؛ لتبليغ الأثر التواصلي في حدود المساحة المخصصة في النص.

- ن ت1 :

- ففي التركيب الأول توسيع يقوم على الانتقال من الخاص إلى العام، وعلى التناظر، مع تدرج؛ فالوحدة الأولى انتُقي لها من المسانيد " أوفوا" المكتنز دلاليا، ففيه دلالتان غائبتان : النهي عن النقص، والسكوت عن الزيادة؛ لأنه لا يترتب على تركها فعل عقابي. ونقلت حركة

[1] روي أن شعيبا أرسل إلى أمتين : قومه مدين، وأصحاب الأيكة : أهل بادية بجوار مدين. انظر الكشاف 182/4 والجامع لأحكام القرآن : 103/13/7. والتحرير والتنوير : 182. 183. ويؤيد ذلك التصريح بأخوته مدين في : الأعراف 85 : هود 4 والعنكبوت 36.

المسند إلى مفعول محدد : الكيل. أما الوحدة الثانية؛ فدلالتها هي الوجه الآخر لمحتوى السابقة مع زيادة؛ لذا كان عطفها بالواو، ففيها : تصديرها بأداة نهي مسلطة على العلاقة بين طرفي الإسناد المدَعَّمة بفعل الكون، والمسند إليه خبر صوري، المجرور فيه اسم فاعل محذوف المفعول، وفي ذلك مبالغة، مع ما فيه من إيماء إلى عدم تحقق الإسناد حاضرا، وأن المسند ليس من صفة المسند إليه؛ ففي الوحدة " أمر بالتبرؤ من أهل هذا الصنيع"[1]. وذلك مدعِّمٌ دلالة المجرور المحيلةَ إلى ما يخلّفه الفعل من ضرر. كل ذلك يحقق أثرا توصيليا بليغا، ويكتشف حكمة المبلِّغ.

– تتناظر الوحدتان التاليتان مع السابقتين في الانتقال من الخاص إلى العام، وتزيدان دورانهما حول صورة أخرى للتعامل التجاري، فكان محور التبادل الدلالي: " الواو".

– وقد جذب المسند في الوحدة الأولى إليه عنصرين من جنسه: مفعول غير صريح، توصَّل إليه بباء الاستعانة؛ فهو آلة الفعل التي " لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بها"[2]، ونعته. وهي عناصر دائرة حول معنى واحد : العدل، وهذا تغوير للدلالة مبالغة وتدقيقا.

– أما الوحدة الثانية؛ فإن المسند المسلَّط عليه النهي، متلائم بدقة بليغة مع السياق والغرض التواصلي؛ ذلك أن دلالته أشد، وأميل إلى إظهار الانحراف من المسانيد السابقة؛ إذ يدل على النقيض " كالسبخة لا فائدة فيه"[3]، وعلى غبن منافع المبيعات وذمها بغير ما فيها؛ ليضطروا أصحابها لبيعها بغبن[4]. وقد تعدى المسند إلى مفعول عام الدلالة شامل.

– وكذلك الوحدة الموالية؛ فهي تتويج للسوابق، تجمعها كلها. يظهر ذلك المفعول غير المباشر : " الأرض". وفيها تصريح بالانحراف في : المسند : " تعثوا"، المستدعي عنصرَ الحال " مفسدين" المتجاوز معناه لفظه؛ ذلك أنه: إما موسعٌ دلالةَ المسند، فيكون حالا مؤسِّسة بمعنى : مفسدين آخرتكم[5]. وإما مدعّم، فيكون حالا مؤكدة.

– آخر وحدات هذا التركيب فرضها السياق، خاصة دلالة الوحدة السابقة، فهي مقابلة لها، فالمسند إليه في السابقة مصدر فساد؛ لذا وقع النهي على علاقة الإسناد. وهو في هذه مصدر صلاح في الأرض؛ فتضمن المسند طلب تحقيق علاقة الإسناد، بنقل حركة المسند

---

[1] التحرير والتنوير 184.
[2] ابن هشام : مغني اللبيب : 175/1.
[3] نظم الدرر: 387/5.
[4] التحرير والتنوير.185.
[5] روح المعاني : 119/13/07. 119

إلى المفعول به. ولأن دلالة الوحدة السابقة المعبرة عن واقع المسند إليه تناقض هذه؛ انتُقيَ لها من العناصر ما يتضافر لتحقيق ضغط تأثيري إقناعي على المتلقي، فاحتاجت الوحدة إلى ثراء دلالي يتطلب كمًّا موسَّعا من العناصر، فتمظهر المفعول في صورة موصول؛ لتحقيق الصلة الغرض الآنف. وقد جيء فيها بالعناصر الكاشفة صفات المفعول به النحوي الحقيقي : " الله تعالى"، مما يبلغ الغاية الإخبارية السابقة:

– الفعل المسند إلى الموصوف، والواقع على ضمير المخاطبين : " خلق"؛ لدلالته على الإيجاد، والموجد قادر على الإعدام[1].

– توسيع حركة المسند لتمتد إلى الماضي البعيد لتدخِل في دائرتها، إلى جانب المفعول به، مفعولا معه من جنسه، يتميز بالشدة والقوة المجاوزة نظيرتها في المفعول به : " الجبلة الأولين". ويتضافر كل من الصوت والدلالة في العنصر لإظهار هذه الميزة : تضعيف اللام أولا، وثانيا اكتنازه الدلالي؛ فله تأويلان محتملان: الخلقة والطبيعة العظيمة كأنها الجبال قوة وصلابة[2]، والجماعة إذا كانت عشرة آلاف، وقيل: الجماعة الكثيرة. هذا البناء الباطني المخدوم، يخدم غرضا توصيليا هو : كشف المسند إليه ضعف المفعول به؛ لتحقيق أثر المسند الأول " اتقوا".

ويمكن تمثيل العلاقات بين وحدات التركيب كما يأتي.

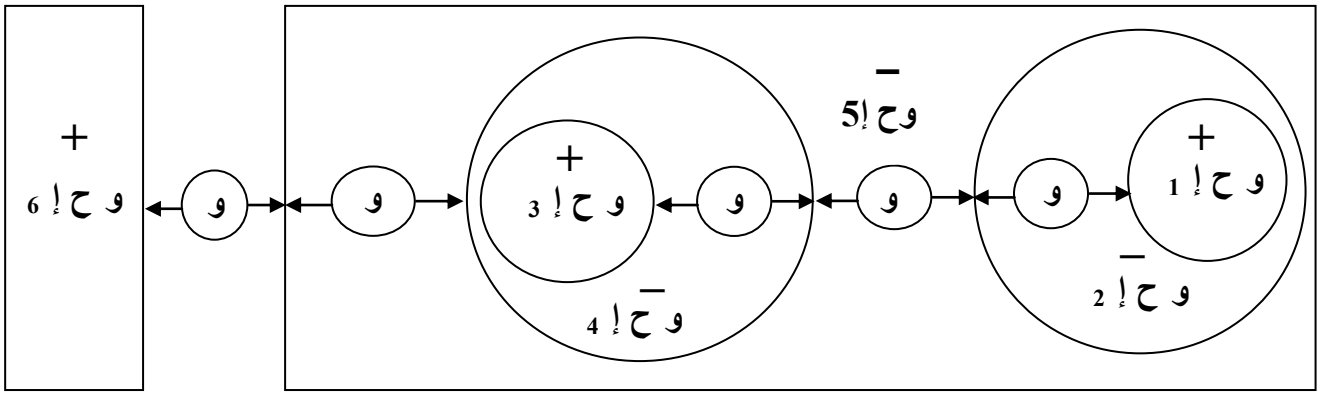

– ن ت 2 :

[1] نظم الدرر : 387/5.
[2] السابق.

– يأتي التركيب الثاني إجابة وردا من قوم شعيب، وكذلك الثالث. وقد قابل توسيعا ومبالغة بمثلهما. سبق تحليل مثيل الثاني في المجموعة التركيبية التاسعة، غير أنه هنا يزيد عن السابق عناصر تجسّد المبالغة في القدح في الرسالة؛ إذ عُطفت الوحدتان الأوليان بالواو؛ وفي ذلك قصد إلى معنيين، كلاهما مناف للرسالة. وترْك الواو في السابق مؤداه معنى واحد[1].

– الوحدة الخيرة في التركيب داعمة محتوى سابقتيها المتعاطفتين؛ إذ يتضافر فيها : " إنّ " ذات الدلالة المتعددة بحسب التأويل[2]، والمسند المحتمل هو الآخر معنيين : الظن بحسب أول معنيي " إنّ "، واليقين بحسب معناها الثاني. ثم اللام والمفعول الثاني. والبناء الدلالي للوحدة على التأويلين آيل إلى المبالغة تقوية اتصاف المفعول الأول بالثاني.

– ن ت 3 :

يأتي آخر التركيب بعد اتضاح تكذيب القوم رسولهم بتحديه، ثم ردّه بإيكال أمرهم إلى ربه؛ لإحاطة عمله وشمول قدرته. وقد بدأ التركيب بمسند فعلي معطوف بفاء فصيحة، وهو عود على بدء؛ تلاؤما مع السياق، وتحقيقا للغاية الإبلاغية، فطرفا الحركة: مصدرها : ضمير القوم، والمنقولة إليه : ضمير شعيب؛ ذلك أن حصر جهة وقوع فعل التكذيب في الرسول، ترجمة موجزة لردهم السابق، الذي لم يتجاوز إلى القدح في المرسِل؛ ولذلك كان ختم ردّهم تحديه بطلب الفعل الخارق منه لا من مرسِله.

أما من زاوية المستوى الإبلاغي، فإن تكرار لفظ المسند يتجه نحو المتلقي في دائرتي التلقي : المشركون، وكل متلق بعدهم؛ ذلك أن مظهر الانحراف في فعل أصحاب الأيكة لم يندثر معهم، بل هو مرافق للحياة الإنسانية، متجدد مهما تغير الزمان؛ لأنه ترجمة للطبيعة الإنسانية؛ ففي التكرار إيقاظ وتخويف. وهو غرض لا تؤديه الوحدة الأولى في التركيب منفردة، بل كل وحدات التركيب وعناصره اللغوية.

---

[1] الكشاف 181/4.

[2] فهي إما نافية على مذهب الكوفيين، وإما مخففة على مذهب البصريين، وقد رجح البقاعي الأول، وابن عاشور الثاني مع تفصيل، انظر : نظم الدرر : 388/5 و التحرير والتنوير : 186.

ولكل ما سبق؛ كان تسبيب الوحدة الموالية بالفاء التعقيبية : " فأخذهم"، كما أن ظلال السياق امتدت إليها بإسناد الفعل إلى " عذاب يوم الظلة"، دون فاعله الحقيقي؛ ذلك أن الغرض متجه إلى : إجابة التحدي والعقاب، وهما مركز البناء الدلالي، والغرض التواصلي.
كما أن الوحدتين الأخيرتين غير متعاطفتين؛ تغويرا وتوسيعا للدلالة المتجهة نحو الترهيب والتهويل؛ ولذلك كان محتواهما عاما مبهما موجزا؛ قصدا إلى المبالغة، كما في خواتيم السوابق. والمسند الفعلي " أخذ"، هو محور الوحدتين؛ تتحلق حوله كل العناصر. ودلالته تحيل إلى السرعة والمفاجأة والاستئصال الكامل.

بعد هذا الشوط الوصفي التحليلي الممتد؛ لامتداد النسق على سطح النص، نصل آخر محطة؛ نحاول فيها لمّ الشتات في عملية تركيبية بين المستويات : التركيبي، والدلالي، والتواصلي؛ قصدا إلى اكتناه الموضعة الوظيفية للنسق في منظومة البناء الكلي للنص.
يتميز النسق بانعدام التوازن الكمي بين أجزائه، وبترتيب مخالف للترتيب التاريخي للقصص، وانتقاء لأجزاء محددة من قصص الرسل.

وتأويل كل ذلك يرجع إلى المحتوى المدلولي، والمقصد الإبلاغي؛ فالنسق خاضع خادم دلاليا وتواصليا للنسقين الآخرين، كما سبقت الإشارة في مواضع شتى من

تحليلهما، والتراكيب المكررة وسيلة التقييد والتقاطع، كما سيأتي بيانه حين الوقوف عندها. وتفصيل ذلك ما يأتي :

I- البداية بقصة موسى عليه السلام، والتي كانت أطول القصص – مما يتلاءم ورتبتها –؛ يرجع إلى واحد من أهم المقاصد المستهدفة بالنص: التسلية والتثبيت، يثبت ذلك :

1- انسجامها دلاليا مع : / لعلك باخع نفسك/.

2- متلقي النص اثنان :

أ- الرسول، صلى الله عليه وسلم، ومن تولى حمل النور بعده.

ب- دائرتا التلقي : - المغلقة (منكرو الرسالة زمن إنزالها).

- المفتوحة (دائرة الخطاب العالمي).

وهما متلقيان مرتبان بهذه الصورة نفسها ترتيبا نوعيا، وكذلك ترتيب الخطاب الموجه إليهما؛ فقصة موسى عليه السلام موجهة إليه صلى الله عليه وسلم : " وإذ نادى ربك موسى".

تخضع القصة كذلك لمقصد إبلاغي ثان، متداخل مع الأول، هو : ضرورة تبليغ الرسالة في أجمل وأكمل الصور، وأكثرها حكمة وإحكاما، مهما تكن العوائق والمخاطر، ومهما يكن المرسل إليه ونوع موقفه.

وقد تضافر المقصدان في تشكيل وتوجيه حركة البناء المدلولي للقصة، وفي تحديد المناطق المنتقاة من جغرافيتها.

لذا كانت الأبنية الدلالية الكبرى للقصة هي :

1- مظاهر الضعف في منطقة المرسَل، والتي تُهدد وتضعِف، بل وتوقف حركة التبليغ. نجد لبنات هذا البناء مبثوثة في كل مشاهد القصة.

2- مظاهر قوة وإبعاد المرسَل إليه " فرعون وقومه"، فهو أقوى من كل المرسلين إليهم في القصص اللاحقة، وقد كان مدعي ألوهية، ولا ذنب أعظم.

3- التدعيم الإلهي قولا وفعلا، من أول إلى آخر محطة في القصة.

4- حكمة موسى عليه السلام، وإحكام تبليغه، يُظهر ذلك خاصة مشهد المُحاجّة.

5- إثبات عظمة القدرة الإلهية المطلقة، وأنّ كل شيء خاضع لها، مُسيَّر وفق مشيئته تعالى، حتى وإن كان ظاهر المشاهد والأحداث يقول غير ذلك. ومشهدا إيمان السحرة، والإغراق والإنجاء بالوسيلة نفسها، خير منبئ عن ذلك.

II- أما قصة إبراهيم؛ فمختصة بأمور :

1- مجيئها في مرتبة ثانية؛ وذلك عائد إلى الغرض التواصلي، والمتلقي المستهدف بها. فهي موجهة إلى دائرتي التلقي السابقتين (المغلقة والمفتوحة)، وأولاهما مقصودة لذاتها، وهي في

الوقت نفسه واسطة إلى الثانية. فرتبة القصة متناسبة ورتبة المتلقي، الذي كان الخطاب مطلع السورة متجها إليه : " واتل عليهم نبأ إبراهيم".

2- المقطع المعروض من قصته، هو " النبأ" : الخبر العظيم الخطير. فالملاحظ أنه لا أحداث فيها؛ بل هو حوار، وأبو إبراهيم وقومه ليسوا المتلقي الوحيد لخطابه؛ بل هم – إلى جانب ذلك وأهم منه- واسطة. مصداق ذلك :

- مرجع الضمير في " يبعثون"
- والاسم الموصول في " إلا من أتى الله بقلب سليم".

3- فالبنية الدلالية المركزية في القصة هي :

- بناء العلاقة بين " الله تعالى" : رب العالمين، و" الإنسان" : أرقى العالمين، وتصحيح الخلل الكامن فيها، والخلل المحتمل حدوثه مستقبلا. ما يجعل منها قانونا ومعيارا عاما مطلقا، تُحاكَم إليه الحياة البشرية في دائرتها المطلقة من قيود الزمان والمكان.

لذلك؛ كان الانتقال منها مباشرة إلى يوم التقييم والجزاء النهائيين المبنيين على : إما موافقة وتمثّل العلاقة كما وضحها إبراهيم عليه السلام، وإما مخالفتها. وقد استتبع ذلك بداية المشهد الأخروي بوضع العناوين الفارزة، مع بسط تصوير نهاية المخالفين؛ تحقيقا لأحد أهم مقاصد النص : الإنذار :

- الجنة ← للمتقين.
- الجحيم ← للغاوين.

ونهاية المشهد : تمني الفئة المخالفة العودة؛ لتصحيح بناء العلاقة : " فنكون من المؤمنين".

4- والتلاحم الدلالي قوي بين محتوى الخطاب الإبراهيمي، والنسق الثاني، الذي هو – كما سبق تبيينه- خاتمة محتوية ما سبقها، والذي نجد فيه : " ولا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين". كما نجد الحركة الدلالية ممتدة إلى النسق الأول : " تلك آيات الكتاب المبين"، وإلى " إن في ذلك لآية"، والتي نجدها في قصة إبراهيم، بل في آخر المشهد الأخروي بعدها.

III- مجموعة القصص المرتبة فيما بينها زمنيا، جاءت في المرتبة الثالثة، والقصد منها مركب:

1- التسلية.

2- ضرورة مواصلة التبليغ والبيان المحكم الحكيم الهادئ.

3- الإنذار والتخويف والترهيب.

4- ترسيخ السنة الاجتماعية المتعلقة بتلقي البشر للرسالات، ومآل المتلقي السلبي.

وتأخير المجموعة القصصية يرجع إلى سببين:

أ- المخاطب بها غير معيَّن، فهي حيادية المداخل؛ وبالتالي، فهي موجهة إلى كل المتلقين السابقين.

ب- طبيعة الذنوب فيها أدنى حدة مما في القصتين الأوليين، اللتين كان محورهما : الألوهية. أما البواقي فمجالها بشري. ويوحّدها كونها جميعها مظاهر مخالفة للتقوى. وهي " إنسانية" غير مقتصرة على أقوام الرسل. والنظرة المستكشفة الواعية إلى حاضرنا تثبت ذلك.

أخيرا، إن جمع الذنوب الموزعة على جميع القصص يعطي كلا واحدا مقابلا للإيمان :

الذنوب ≠ الإيمان ⇐ و / ما كان أكثرهم مؤمنين /

-الفصل الرابع-

-التراكيب المكررة-

تمـهيد:

سبقت الإشارة إلى سبب إفراد هذه التراكيب بفصل خاص، ونزيد هنا، والآن، ما يأتي:

مجيئها مفاصل لها سوابق ولواحق؛ فمن الوجهة النظمية، تؤدي هذه التراكيب وظائف دلالية، وإخبارية، وجمالية بإزاء ما تقدمها وما تلاها.

فكان لذلك إيثار إفرادها، تحليلا، لا حشرها في سياقها؛ لأنه مظنّة للوقوع في التكرار الممجوج منهجيا؛ لما فيه من فضول.

وقبل الخوض في تحليلها، نقف أولا عند أبرز خاصية فيها، وهي التكرار الفني، أو كما سماه الدكتور مرتاض: الترداد[1] ، فتكرار أية وحدة أسلوبية يعكس أهمية خاصة؛ لِما تؤديه من وظائف في بنية النص. هذه الوظائف يمكن حصرها مبدئيا ونظريا في[2] :

1- إعطاؤها طابع الاستمرارية في النص.

2- إبرازها أمام انتباه القارئ؛ قصد تحديد نوعية الدور الذي تقوم به بين مجموع الوحدات المشكلة للنص، والذي ينبغي مراعاته في أي تأويل محتمل.

وتتشكل من مجموعتين تركيبيتين.

- مج ت1:

يمثلها قوله تعالى: " **إنّ في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين، وإنّ ربك لهو العزيز الرحيم** ."

هي في ظاهر بنائها التركيبي الهيكلي ثلاث جمل اسمية بسيطة موسعة، غير أنّ الربط النحوي: " الواو "، والدلالي، وترددها النمطي بالصيغة نفسها دون أدنى تغيير في كل

[1] د. عبد المالك مرتاض. نظام الخطاب القرآني. ص55.
[2] د. حميد لحمداني. القراءة وتوليد الدلالة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت. ط1، 2003. ص 117، و: ص 121.

المواضع، كل ذلك، يقوّي الاتصال ليرقى بها إلى مستوى الجملة الواحدة المركبة تركيب تعدد، فهي أشبه ما تكون بصيغ الأمثال والحكم.

وقد جاءت خواتيم تعليقية في ثمانية مواضع من النص:

أ- نهاية النسق الأول.

ب- نهايات كل قصة من قصص النسق الثاني.

وغابت عن نهاية النسق الثالث، أي نهاية النص.

هذه الموضعة السياقية تنبّه إلى أن تواتر هذا التركيب يؤدي دورا مفصليا مهما بإزاء ما تقدمه وما يليه.

كما يشد في التركيب خاصية التشاكل في بنائه الهيكلي على مستويين:

أ- المستوى الداخلي: وقد سبق ذكره، ونعيده مفصلا:

1- الاسمية المحضة.

2- البساطة.

3- التوسيع: وتتواتر من بين العناصر الموسعة: وسائل التوكيد، ممثلة في:

(إنّ + اللام) × 2 + كان[1]

وقد أنتج توزيعها على مستوى الوحدات الإسنادية تناظرا هندسيا جماليا؛ إذ نجد " إنّ " و" اللام " في الوحدتين الأولى والثالثة، تتوسطهما " كان " في الوحدة الثانية. وتزيد الوحدة الأخيرة وسيلة ثالثة هي العماد " هو ".

ب- المستوى الخارجي: إذ يمتد التشاكل إلى خارج التركيب، وتحديدا بينه وبين الوحدتين المفتتحتين للنسقين الأول والأخير – ترتيبا –: " **تلك آيات الكتاب المبين** " و" **إنه لتنزيل رب العالمين** ". والوجه في ذلك هو بين الوحدات المشكلة للتركيب و الوحدتين المذكورتين من حيث:

1- الاسمية المحضة.

2- البساطة.

[1] الألوسي. روح المعاني 19/ 7 / 62. و: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ص 102.

3- العناصر الموسعة.

وتزيد الوحدة الأولى في التركيب، فوق ذلك، التشاكل المورفولوجي بينها وبين الوحدة الأولى في النسق الأول: (تلك – ذلك) + (آيات – آية). ويتدخل السياق لتفسير نسبة التباين الملحوظة بين العناصر.

يوجه ما سبق إلى ما يأتي:

1- مظاهر التشاكل الداخلي، والتي يتقاطع فيها التركيب على المستوى الخارجي مع الوحدات المذكورة، يعفي من إعادة تفصيل ما لهذا النوع من البنيات التركيبية من دور دلالي تواصلي، سبق تناوله في مواضع شتى، والرأي أنّ التذكير الموجز مغنٍ؛ فهذا النوع من الهياكل ينحصر في حدود التقرير، والتعليم، وترسيخ الحقائق، وتغوير الدلالة التي لا تتجاوز حدود المعادلة القائمة بين المخبر به والمخبر عنه، والتي تتّسم بالعمومية والإطلاق والتفلّت من قيود التأطير الزمكاني والحدثي.

2- لا مراء في أنّ مظاهر التشاكل الخارجي صورة مادية للتعالق الدلالي.

- و ح إ1 : / إنّ في ذلك لآية /

تكشف الملفوظات المكونة لهذه الوحدة الانتقاء البديع، والتوزيع الدقيق، والتشكيل الأسلوبي المعجز، الذي غيّبته الأهواء والقلوب المريضة عن نظر من وجد في التكرار مدخلا للطعن في بلاغة القرآن، والقول بأنه أدخل الاضطراب على أسلوبه، كما ذكر صاحب " الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية "[1].

وأبرز ما يكشف الهوية القرآنية المتفردة للوحدة:

1- **إنّ + اللام:**

[1] محمود السيد حسن مصطفى. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية. ط 1، 1981م. ص 118.

المكتنفتان الموضوع والمحمول؛ مبالغة في تقوية لحمة الإسناد، المدعّمتان صفة الثبوت في طابعها الاسمي المحض، وهذا يضفي على المقصد الإبلاغي مركزية وتبئيرا، ويموضع المتلقي في قلب دائرة الاهتمام.

وتؤدي " إنّ " دورا ثانيا، هو ربط وتوحيد وحدتها الإسنادية، وبالتالي التركيب بكامله، بما قبلها، وتأليفها معه، حتى كأن أحد الكلامين قد سبك في الآخر، كما ذكر الجرجاني[1]. وسيتضح، بعد فحص بقية سلسلة الملفوظات، مع أيّ الوحدات الكلامية تآلفت، وأيهما قد سبك في الآخر.

2- **حرف النسبة " في " :**

فدلالة الظرفية فيه توجّه المتلقي إلى تجاوز الظرف إلى المظروف، السطح إلى الباطن، إلى محاولة الاهتداء بالمعنى إلى معنى المعنى – بالمصطلح الجرجاني الأصيل-، وتجاوز الحاضر إلى الغائب بحركة ذهنية نفسية عمودية؛ قصد الوصول إلى الأسلوب الأمثل للتلقي، فتحقق الرسالة غرضها الإبلاغي.

3- " ذلك ":

تتضافر خصائصه البنائية مع حرف النسبة؛ لتشكيل كيان المحمول ذي الدلالة الثرية بصورة بليغة، بل معجزة. ونتجاوز خصائصه المورفيمية التي يتشاكل فيها مع المسند إليه في أولى الوحدات " **تلك آيات الكتاب المبين** "، إلى المحتوى الدلالي المتشكل بتضافر مكوناته وعلاقاته التركيبية السياقية:

أ- ذا+ إنّ:- يتظاهر مورفيم الإشارة و" إنّ "، بواسطة ثاني أدوارها المشار إليه سابقا، لتحديد اتجاه الحركة الذهنية النفسية للمتلقي – والتي بيّن حرف النسبة إحدى خصائصها-؛ فهي ارتدادية إلى ما سبق الوحدة.

ب- ذا+ اللام:- إلى جانب تحديد العنصرين السابقين اتجاه الحركة، فإنهما يبينان كذلك مجالها، والذي يبرز واضحا محددا بدخول لام البعد، الذي من معانيه " بعد المسافة بالنظر إلى مبدأ القصة "[2]، فمجال الحركة هو كل ما سبق الوحدة، وتحديدا: النسقان الأول، والثاني-

[1] الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 290.
[2] الألوسي. روح المعاني. 19 / 89.

ترتيبا في النص–، ولو أن المحتوى الدلالي للنسق الأول يحصر مجال الحركة في حدود التركيب السابق للوحدة[1].

يؤدي المورفيمان، كذلك، دور تبيين خصائص الظرف، ممّا يلمّح إلى الموضوع ويستدعيه، ويهيئ المتلقي له بتحريك فضوله لمعرفته. هذه الخصائص هي– كما ذكر المفسرون–[2]:

1– عظم الشأن. 2– بعد المنزلة في الفضل. 3– الهول والفظاعة.

وهي دلالات، على تنوعها بفعل تنوع تضاريس ومناخات الظرف، متداخلة، وتشكل أوجها متعددة لبناء واحد.

فإذا أضفنا هذه الدلالات إلى مجال الحركة الواسع في أحياز متعددة متنوعة، دون إغفال الترداد النمطي للعنصر ووحدته في كل المواضع، تَنبّهْنا إلى هذه القدرة الخارقة التي أكسبها اختيار الملفوظ وموضعته وترداده – على اقتضابه الصوتي –، والمتمثلة في توسيع دائرته، وامتداده، وتفاعله السياقي الذي يكاد يغطي كامل النص. وهو، فوق ذلك، يدفع المتلقي ليقوم بوظيفة تحويل تلك المواد الأولية المتفرقة – إن جاز المجاز – إلى منتَج واحد ذي إثر مفصلي مصيري في حياتيه، هو المجسد لغويا في صورة الموضوع:

4– آية:

المتميز بمجموعة من الخصائص التجعله متآلفا تآلفا تاما مع سابقيه. فقد ورد: – مفردا، رغم تعدد المشار إليه خاصة في النسق الأول.– غير معين (– ال). وحين نفسح المجال لمورفيم التوكيد (اللام)، يصل بنا هذا المركب الصرفي النحوي إلى مدلوله: اتحاد المشار إليه في محتواه، سواء أريد بالآية الجنس[3]، أو كانت على التوزيع[4].

ثم إنّ في التنكير ذهابا إلى صفة العظمة[5] المتراسلة مع لام البعد في اسم الإشارة.

كما أن الآية تدل على الوضوح، والسير بناظرها، والأخذ إلى مقصد أو نتيجة[6]. وهذه الدلالات يعضدها الأصل اللغوي للكلمة؛ فهي في قول مشتقة من التّأيّي، وهو التثبت والإقامة على الشيء، و" تأيّى بالمكان: تلبّث عليه وتأنى"[7]. وهي في قول آخر واوية العين في

---

[1] انظر: التحرير والتنوير.ص 102. و : روح المعاني. 19 / 62.

[2] البقاعي. نظم الدرر. 5 / 365 و377 و389 – تفسير أبي السعود. ص ص 235 و246 – الألوسي. روح المعاني.19 / 89 و 91.

[3] البحر المحيط. ص 06.

[4] التحرير والتنوير.ص 102.

[5] انظر: البحر المحيط. ص 20.و : نظم الدرر.5 / 365و377.

[6] غالب حسن. نظرية العلم في القرآن.ص 75.

[7] الفيروز آبادي. القاموس المحيط. ص 1135.

أصلها؛ فهي مأخوذة من أوى يأوي[1]. فهي، بالتالي، مفتوحة على دلالات غائبة تشكل باطنا توحيديا. فالمسند إليه هو مركز الوحدة، والتي ينفذ إليها المتلقي بحركة عمودية بتوجيه من حرف النسبة. وهذا المحتوى المخدوم يفسر:

1- سبب مجيء المسند خبرا صوريا.

2- سبب العملية التحويلية : تبادل المواقع بين طرفي الوحدة، ممّا لا ينفيه كون العملية إجبارية.

وإذا كانت دائرة المسند متسعة ممتدة تكاد تغطي النص بكامله، فإنّ دائرة ال "م إ " أوسع؛ لأنه يكتسب طابع الاستمرارية على مستوى جميع أنساق المدونة والوحدات المشكلة للنص، ويؤدي أهم دور في تحديد شبكة البناء الداخلي، وربط خيوطها ببعضها، وكذا توجيه حركة العلاقات الداخلية، التي هي منطلقة منها آيلة إليها.

وأول العناصر التي تمتد إليها خيوط التعالق الدلالي، لفظ: " آيات " في أولى وحدات النص: " **تلك آيات الكتاب المبين** "؛ إذ يقابل تعددها إفراد " آية "، فالآيات شاملة آية المكان في النسق الأول، وآيات الزمان المشكلة مفردات ثاني الأنساق ترتيبا.

وعدم التعيين في " آية " يمكّن من توسيع مدلولها لـ: عظيمة من آيات الكتاب المبين، فكل ما يأتي من الصور المكررة لـ: آية، تفصيل وبيان لكل واحدة من تلك الآيات.

كما يمتد التقاطع الدلالي إلى مواضع أخرى في النص، هي:

1- " **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية** " : النسق الأول.

2- " **قال كلا فاذهبا بآياتنا** " : النسق الثاني.

3- " **قال أولو جئتك بشيء مبين** " : النسق الثاني.

ذلك أن الشيء المبين: " يريد به المعجزة؛ فإنها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته، وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده، والتعبير عنها بشيء للتهويل "[2].

4- " **فأت بآية إن كنت من الصادقين** " : النسق الثاني": 5- " **أتبنون بكل ريع آية تعبثون** " : النسق الثاني.

---

[1] غالب حسن. نظرية العلم في القرآن. ص 75. وجاء في لسان العرب: " وأصل آية: أوية ". مج1. ص 140.

[2] الأوسي. روح المعاني. ص 74.

6- " **أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل** " : النسق الثالث.

وإذا كانت لفظة " آية " أو " آيات " مشتركة في الأصل اللغوي[1] الذي هو العلامة الثابتة الظاهرة، وكذا في كونها جميعها – بما في ذلك الشيء المبين في الرقم03- مكتسية معنى: التوجيه والسير بناظرها إلى مقصد، فإن الفعل السياقي يخلّف تباينا دلاليا يمكن توضيحه كما يأتي:-

1- في الرقم05 : ، 3ل إنساني للدلالة على قدرة إنسانية، فهي خارج دائرة ما نحن بصدده[2].

2- في الرقم06[3]: محصورة في حدود محتوى دلالي لا يتعدى سياقيا: " **وإنه لتنزيل رب العالمين** ".

3- في الأرقام: 4،3،2 نجد مدلول الآية، في مختلف اللغوية، مكتسيا مجموعة من الخصائص المشتركة:

أ- مادية محسوسة. ب- محدودة زمكانا.

4- في الرقم01: إلى جانب اشتراكها مع السوابق في الخاصيتين الآنفتين، فإنها تزيد عنها أخريين:

أ- معلقة. ب- فيها إرغام.

وصفتا: الحسية، والمحدودية الزمكانية، تتلاءمان وطبيعة رسالات الرسل السابقين، كما تناسبان مستوى المرسلين إليهم.ولذلك، ولصفة الإرغام؛ عُلّقت آية النسق الأول، فهي أدنى مستوى من الرسالة الخاتمة، ولا تحتوي المقصد منها.

5- يحيل مدلول " آيات " أولى وحدات المدونة، قياسا إلى السوابق، إلى:

أ- أنها المعتمدة حجة وموجِّها؛ لاعتمادها الإقناع لا الإرغام، فهي المفضلة المختارة دون النوع الآخر، وهذا أكسبها صفة أخرى:

ب- احتواء بقية آيات المدونة؛ إذ تمثل – في إطار وحدتها الإسنادية – أهم الأبنية الدلالية الكبرى للنص، فهي، وإن كانت موظَّفة بمعناها الاصطلاحي: " طائفة من القرآن منقطة عما قبلها وعما بعدها "[4] كما ذكر الجرجاني، الذي أضاف مبينا سبب تسميتها آية: "

[1] جاء في اللسان: " والآية: العلامة... وتأيّا الشيء: تعمّد آيته وشخصه. وآية الرجل: شخصه " . مج1. ص 140.
[2] انظر تحليل جملتها في المجموعة التركيبية الثامنة من الفصل الثالث.
[3] انظر: الفصل الثاني، المجموعة التركيبية الثانية.
[4] الشريف الجرجاني. التعريفات. ص 61.

لأنها عجيبة من جهة نظمها ومعانيها المستترة فيها، فهي علامة على أنها كلام العليم الحكيم سبحانه "[1]، فإنها – انطلاقا من الأصل اللغوي الذي منه جاءت التسمية الاصطلاحية – تؤدي وظيفة التوجيه والسير بناظرها إلى الغاية الكبرى: الإيمان بالله وتوحيده. وتتقاطع، في هذا، مع آية الوحدة قيد التحليل، والتي تمثل، كما سبق، تفصيلا وبيانا؛ فهما كلتاهما: " آية " و" آيات "، علامات ثابتة ظاهرة بارزة، تقود إلى مجموعة من الغايات، هي المبينة في المدخل: مواضيع السورة، وفيما سبق تحديده أثناء تحليل الحروف المقطعة من مواضيع، وهي غايات قائدة إلى الغاية الكبرى السابقة. كما أنهما تحتضنان قضيتين سالبتين تشكلان بنيتين دلاليتين كبريين هما: – شدة حزن الرسول، صلى الله عليه وسلم، و– عدم إيمان المدعوين؛ لذا، كانت المبالغة في ترسيخ معنى الوضوح في الآية بوسائل:

– في الأولى: النعت " المبين ".

– في الثانية: مورفيما التوكيد: إنّ + اللام . وترداد الوحدة.

ونقف أخيرا عند خاصية الانفتاح في الموضوع: آية؛ إذ لا نجد فيه تحديدا لشيئين: آية لمن؟ وعلى ماذا؟. فهي، أولا، حيادية المدلول، لا تتجه إلى فئة محددة من المتلقين، وبالتالي تتسع لفئتيهم: المؤمنين، والكافرين. وهي، ثانيا، مفتوحة على مدلولات تقود إليها، تتسم بالتنوع لتنوع المشار إليه[2]، وجميعها أنهار تصب في بحر واحد: الإيمان بالله، وهو المحتوى المصرح به في ثاني وحدات النص: " **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ". عير أن الحدين الطارئين على يميني طرفي الإسناد: مورفيما التوكيد: إن+ اللام، إلى جانب أثرهما الوظيفي المبيَّن سابقا، يؤديان وظيفة أخرى هي الإيماء إلى فئة بعينها من المتلقين، هي المنكرة المحتوى المنبثق من تعاقد طرفي الإسناد، خاصة إذ نلاحظ مواصفات الآية: واضحة، بينة، منيرة، وتؤدي وظيفة العلامة الدالة السائرة بناظرها، والآخذة إلى مقصد أو نتيجة. فهي في أصلها لا تحتاج إلى تدعيم لإثبات هويتها (كونها آية). فالتنافر بيّن بين هذه العناصر، ووظيفة عناصر التوكيد التي دعّمها بها الخطاب القرآني. وفي ذلك مبالغة في إزالة أدنى غموض أو إبهام؛ لأن المقصد ذو شقين ظاهرين:

1– إثبات صلاحيتها وجاهزيتها الكاملتين لأداء وظيفتها.

2– إثبات أن الخلل ليس فيها، ولا في البلاغ، ولا في المبلِّغ.

---

[1] المصدر نفسه. وفي اللسان: " والآية: العلامة ... وأيّا آية: وضع علامة ". مج1. ص ص 140، 141.

[2] لمعرفة هذه المدلولات بالتفصيل، يُرجع مثلا إلى: - نظم الدرر.5/ 365و 377.و- روح المعاني. ص ص 93،91،89،62.

- و ح إ 2: و/ ما كان أكثرهم مؤمنين /

تبين مما سبق أن المقصد الإبلاغي يبقى غير مكتمل، حتى يتضح موضع الثّم الذي استدعيت المؤكدات لسده. وهذا أكسب مورفيم المفصلة الحدّية الخارجية :" الواو" شرعية وضرورة التواجد على مستوى سطح النص. وهو محتمل تأويلين: مطلق الجمع بين الوحدتين المتعاطفتين، والحالية[1].

أما الوحدة فتتميز بافتتاحها بمكونين موسِّعين تركيبيا ودلاليا، يؤدي الأول دور سلب التعالق الدلالي بين قطبيها: م + م إ، ونفي اتصاف موضوعها بمحمولها. ويتدخل الثاني بوظيفته المزدوجة: التأكيد والترسيخ[2]؛ مغوّرا دلالة السلب في مورفيم النفي: " ما " من جهة، ومدعّما دلالة الاستقرار والاستمرار في الطابع الاسمي المحض للوحدة. ولم يكن لدوره النحوي (إخضاع طرفي الإسناد وسيطرته عليهما بتغيير سمتهما الحركية) أثر على المستوى المدلولي المخدوم، فقد أُفرغ من محتواه الزماني، وشحن بالمحتوى السابق ذكره.

ظهر أساس الوحدة إلى السطح في هيئة مستقلة لها سماتها الواضحة، وامتدادها التركيبي داخل السلسلة الخطية للعناصر، بفضل ثنائيته البنيوية الدنيا: " مر إض ".

وقد استوجب البناء المدلولي المخدوم؛ لتتم دورته وتلتحم لبناته – حرصا على إبلاغية الوحدة –، إن تفرض القوانين المفرداتية الخادمة قيودا صارمة يتم بمقتضاها اختيار القالب اللفظي للمسند إليه: – مستقل. – مركب بسيط.

وكذلك الصورة السمعية (الكلمة) ذات البعد المدلولي، فقد تم اختيار كلمة: " أكثر+ هم "، ذات المورفيمين: 1– الحر: أكثر. 2– المقيَّد: هم.

وقد أكسبه بناؤه المزدوج دقة وثراء في محتواه المدلولي.

طرفه الأول متجه إلى المتلقي المستهدف بالوحدة السابقة، وهو فئتان من المتلقين:

– مذكور: ويتميز بالكثرة العددية الغالبة.

– غير مذكور مسكوت عنه: ويأتي في الطرف المقابل.

فئتا المتلقين:

[1] نظم الدرر. 5/ 377. و: معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص 480.
[2] التحرير والتنوير. ص175.

[————————————] الأكثر: مذكور

[——] الأقل: مسكوت عنه

وعمليتا: الرجحان المبين، والذكر والحذف، ناتجتان عن الاتجاه الفكري المهيمن على شبكة البناء الداخلي للنص: إنذار غير المؤمنين[1].

أما الطرف الثاني لأساس الوحدة، فقد تمظهر في صورة زمرة نسخ للأصل المحذوف، ومرجعه غير معيَّن في حدود النص، غير أن المقصد التواصلي، وحركة علاقات البناء المدلولي، يوجهان إلى صفات للمتلقي أكثر مما يومئان إلى شخصه؛ فهو متسع لدوائر التلقي الثلاث، وخاصة دائرة الخطاب العالمي المفتوح، وهي بذلك ترتدّ إلى الوحدة الأولى الأساسية في التركيب؛ داعمة وظيفة مورفيم المفصلة، ومكسبة الوحدة الآنية وظيفتها البنائية الهامة للشبكة المضمونية. والصفات هي: المشاهدة، والسماع، والعلم[2]. غير أن هذه الصفات ذات المصدر الخارج عن ذات المتلقي– رغم الإلحاح عليها، وتنويع مثيراتها، ونظرا لغياب محطة بؤرية في عملية التلقي الإيجابية، هي التي وجّه إليها عنصران في الوحدة السابقة:" حرف النسبة + الموضوع "– لم تستطع تحريك المرآة الذاتية الداخلية لتعكس الأثر المستَهدف، المتمظهر على السطح في صورة المحمول: " مؤمنين "، المنتَقى لطبيعته المورفولوجية: " اسم فاعل "، ولمحتواه المدلولي: عقيدة راسخة في القلب[3]. وذلك لا يتأتّى إلا بالنظر وإعمال الفكر وتقليبه في جهات وشؤون وتضاعيف الآية، بملاحظة الأشياء من خلال حركتها، والعلاقات بينها من خلال تفاعلها. وهذا "هو جوهر الآية"[4]. فالآية ليست دليلا جاهزا. وتلكم هي المحطة الغائبة في عملية التلقي. وأما سبب غيابها، فهو سببان يتّسعان لجميع فئات المتلقين:

– الأول: " توسل المناهج الخاطئة في التعامل مع أشياء الكون وحوادث التاريخ وظاهرات الحياة "[5].

– الثاني: عبّر عنه الخطاب القرآني بمصطلح " الرّان "[6] الذي يدل على " الحجاب الكثيف الذي يطمس البصائر لألا تنعكس فيها صورة الحق واضحة جلية، ويعطل القلوب والعقول

---

[1] " وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ". الشعراء 192 – 194.

[2] انظر: البقاعي. نظم الدرر. 5/ 365 و 377.

[3] يثبت ذلك آية الحجرات: " قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ". الحجرات 14.

[4] غالب حسن. نظرية العلم في القرآن. ص 78.

[5] المصدر السابق. ص 80.

[6] في قوله تعالى: " ويل للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين، وما يكذب به إلا كل معتد أثيم، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". المطففين 10- 14.

عن الإدراك السليم للأشياء والأفعال والأفكار "[1]. فهذا الصنف من المتلقين تمكّن العناد من ضمائرهم " إلى حدّ التعامل السلبي المطلق مع الحقائق من الوهلة الأولى "[2].

يتضح، عند هذه النقطة من التحليل، موضع الثم المشار إليه آنفا، ويتضح أيضا ذلكم التقابل بين مضموني الوحدتين، فبينهما تراسل دلالي: الإثبات المؤكد في الأولى استدعاه مَعقد الإسناد في الوحدة الثانية، والنفي المؤكد في هذه استدعاه مضمون تلك.

ويمكن تقريب صورة التضافر الدلالي بين الوحدتين بما يأتي:

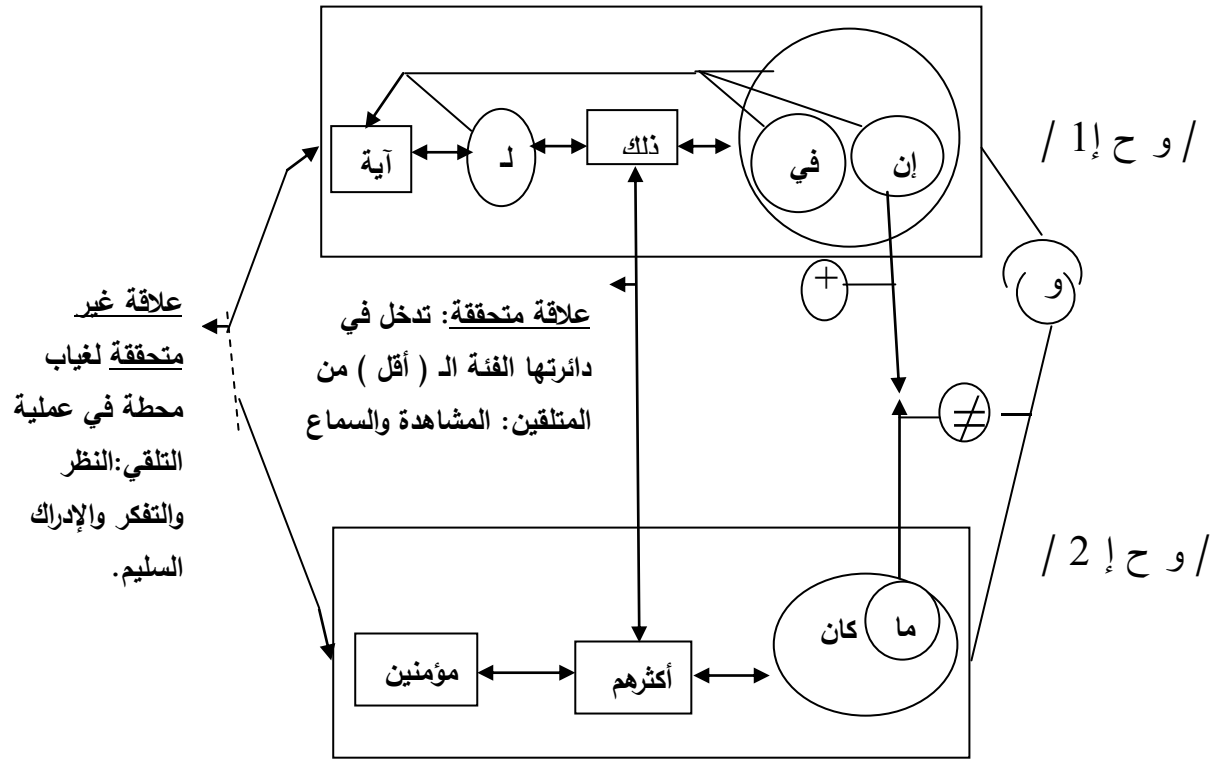

ونقف عند محطة أخيرة في تحليل هذه الوحدة، هي مظاهر التعالق والامتداد الدلالي، والذي يظهر خاصة من خلال التشاكل المستوياتي مع عدة وحدات في المدونة موزعة على كل الأنساق، فنجد:

1- في المقدمة: " لعلك باخع نفسك **ألا يكونوا مؤمنين** ".

[1] د. أحمد رحماني. التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا. منشورات جامعة باتنة. الجزائر. 1998. ص 156.
[2] غالب حسن. نظرية العلم في القرآن. ص 80.

2- في القصص: - " إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا **أن كنا أول المؤمنين** ". في قصة موسى.

- " فلو أن لنا كرة **فنكون من المؤمنين** ". في آخر الاستطراد الأخروي.

- " **أنؤمن لك** واتبعك الأرذلون ". في قصة نوح.

3- في التعقيب: " ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم **ما كانوا به مؤمنين**".

يشكل المكوّن التركيبي الدلالي " مؤمنين" محورا دلاليا رئيسا، يتحكم في الشبكة الداخلية للنص؛ ذلك أنها، من خلال مواقف الأطراف المختلفة منها، تتجه اتجاهين متضادين:

1- **إيجابي:** تجسده:

أ- الحركة النفسية للرسول في فاتحة النص، والمتجهة بقوة إلى ترسيخها في قلوب المدعوين.

ب- موقف السحرة في قصة موسى، والذين يمثلون أنموذجا رائعا متفردا لتمثّل الصفة (مؤمنون)، في ظرف كانت كل العوامل متجهة إلى ترسيخ نقيضها، باستثناء عامل واحد هو: قوة إقناع حجة وآية موسى، عليه السلام، المدعوم بالتأييد الرباني.

2- **سلبي:** وهو المهيمن على أغلب الوحدات، يجسده موقف المرسَل إليهم: الرفض المبدئي المطلق المطبق المغلق.

وبملاحظة أساس الوحدات المجسدة حركة الإيمان، وتوزيع الوحدات على المستوى الأفقي للنص، نجدها كما يأتي:

* ألا يكونوا مؤمنين ← وما كان أكثرهم مؤمنين.

* فنكون من المؤمنين ← وما كان أكثرهم مؤمنين.

فالمسند إليه مختلف بين الطرفين: الأيمن والأيسر؛ أما الأيمن فيتميز بالعموم والإطلاق، وأما الأيسر فمحدود. وتأويل ذلك أنّ وحدات الطرف الأيمن خاضعة لسياقها متلائمة معه، ووحدات الأيسر تتويجية لما سبقها، تقريرية لنتيجة تشكل قانونا إنسانيا وسنة اجتماعية، مهما اختلف الزمكان والأشخاص والآيات، فهي تمارس دورا تصحيحيا توجيهيا، وهذا ما استدعى تكرارها، وهو أيضا ما جعلها تأتي في قلب التركيب؛ إذ إنها قلب بنائه المدلولي.

والنتيجة هي أن حركة الإيمان في النص (أكثرها) انتفاء. وهي كذلك في الحياة؛ لذا يبقى الخطاب القرآني مفتوحا على التفاعل الإنساني، ومهمة المبلِّغ – الرسول، صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون من بعده – يجب أن تستمر.

– و ح إ 3: و/ إنّ ربك لهو العزيز الرحيم /

تتشاكل وسابقتيها في قدرتها على التمدد والاحتواء والاتساع المدلولي، وفي الطابع الإشاري السيميائي.

وهي منبثقة من مصدرين: ▪– الدوائر السابقة للتركيب الذي هي منه.

▪– مضمون الوحدتين السابقتين لها.

وتتميز عنهما بكون تينك مجالهما بشري أرضي، أما هي فمجالها إلهي سماوي؛ لذلك جاءت محتوية إياهما، وهي، بالنتيجة، مكتنفة ما احتوتهما.

يجسد هذه المضامين سلسلة الملفوظات المنتظمة على المستوى الخطي المادي للوحدة:

1– **وسائل التوكيد:**– التي تتجاوز فيها وبها عددا الوحدتين الأوليين:

إنّ + اللام المزحلقة + العماد (هو)

والعنصر الأخير متسع لتعدد دلالي:

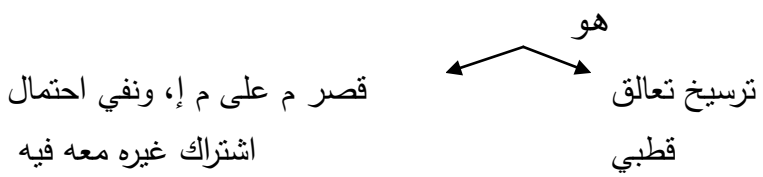

2– **م إ :**

المتمظهر في صورة ثنائية متلاحمة الطرفين (مر إض)، شكلت كيانا موحَّدا اكتسب هويته المستقلة المكتملة نحويا ودلاليا:

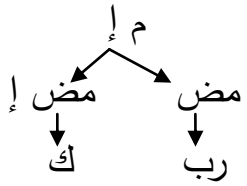

رشح السياق والاتجاه الفكري للبناء الداخلي للنص، من البدائل الممكنة للطرف الأول، لفظة " رب " دون " الله " مثلا[1] – وهي الأقرب لمجانسة مدلولها لهما –؛ فهي حاملة دلالات: التربية والرعاية بشمول العلم وعظيم القدرة، والتغذية بالنعمة، والتدبير بالحكمة والإحسان[2] – وقد سبق الوقوف على وصف أدق وأشمل على لسان إبراهيم، عليه السلام –[3].

بينت الوحدة السابقة إحدى أهم حركات الشبكة المدلولية للنص، وهي المتجهة من المدعوين إلى ربهم، ورأينا بأن الغالب عليها هو: عدم الإيمان، فكان اختيار هذا الملفوظ " رب " قصدا إلى الغرض التواصلي: التذكير والتنبيه إلى الحركة المضادة – اتجاها ومعاملة –، وتوجيه المتلقي إلى المنهج الصحيح في استقبال ومقابلة حركة ربه نحوه: منهج الإيمان، بما تتسع له كلمة " الإيمان " من دلالات، وأهمها في هذا المقام: شكر النعم.

ومن أهم خصائص الملفوظ " رب "، الطابع الانتشاري لدلالته، كما هو معلوم[4]، وكما سبق تبيينه في المحطة التعريفية الموسوية حين محاجته فرعون: " رب العالمين "، فحيزها مفتوح واسع الأمداء. غير أنّا نجد طرفه الثاني (مض إ) يؤول به إلى الانحصار، ليجعل حيزه مرجع الضمير: الرسول، صلى الله عليه وسلم، ويجعل المدلولات السابقة للعنصر مقصورة عليه، ويزيد عليها معاني: التقريب، وإعلاء الشأن، والتفضيل. غير أن المقصد الإبلاغي يعود به إلى الانتشارية لينفتح على كل مؤدٍّ لوظيفة التبليغ والدعوة، ويغدو الانحصار ترتيبا لأفراد المجال.

3– م :

لم يأت المسند على المستوى الخطي التوزيعي مجاورا للعنصر الوظيفي الأول: م إ، بل فصلت بينهما عناصر متممة، أدت وظيفة معاكسة للفصل الخطي، هي تقوية لحمة الإسناد؛ متساندة في ذلك مع المتمم الطارئ حدا أيمن للوحدة الإسنادية. وقد استدعى حشدها دلالات مخالفة، أو مضادة لِما انبثق من تعالق طرفي الوحدة، مصدرها:

1– داخلي: الدوائر السابقة للوحدة، خاصة النسق الثالث (القصص).

2– خارجي: متلقي النص.

---

[1] وقد تكررت كلمة " رب " في متن المدونة خمسا وثلاثين مرة، ولم ترد كلمة " الله " إلا ثلاث عشرة مرة.

[2] انظر: البقاعي. نظم الدرر. 5/ 366 و 391.

[3] الشعراء 78 – 82. وانظر تحليله في الفصل السابق؛ المجموعة التركيبية الخامسة.

[4] يثبت ذلك وروده في جميع القرآن مضافا، باستثناء موضع واحد، هو الآية الثامنة والخمسون من سورة يس: " سلام قولا من رب رحيم ". انظر في ذلك: محمد فؤاد عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص 285.

ويمكن حصر هذه الدلالات في:

أ – إحلال موضوع آخر محل موضوع الوحدة.

ب – إشراك غيره معه، ومساواته به.

ج – عدم الإدراك السليم الواضح لطبيعة العلاقة بين الموضوع والمحمول، أو حؤول عوارض بينها وبين حضورها الذهني النفسي الدائم.

وقد ظهر الخبر إلى مستوى البنية السطحية متعددا، ولا شك أنّ ذلك يسهم إلى حد كبير في توسيع شحنته المعنوية؛ لتزداد، من ثَمّ، حصيلة المبتدأ ورصيده؛ إذ إنّ قيمة الخبر وتميّزه الوظيفيين يكمنان، بصفة أساسية، فيما يقدمه من خدمات للعنصر الوظيفي الأول.

والطريف أن يأتي المسند متقابل الجزأين دلاليا (العزيز≠ الرحيم)؛ فهما شدة ولين، ينبثق من امتزاجهما صفة الكمال الواجبة المميزة للمسند إليه (رب)، وللحركة الصادرة عنه المتجهة إلى البشر، المغطية جميع أصنافهم، وفي كل أحوالهم دون تقييد زمكاني. وهذا أحد وجوه احتواء الوحدة سابقتيها.

وقد كانت الخصائص المورفولوجية للطرفين خادمة المستوى المدلولي؛ إذ وردا صفتين مشبهتين معيَّنتين (+ال)، ففي ذلالرحمن.اختصاص الموصوف بالصفة ودوامها فيه.

والملاحظ أن الطرف الثاني قد سبق وروده في النسق الأول ببناء صرفي مختلف (صيغة مبالغة): " وما يأتيهم من ذكر من **الرحمن** ... "، والتي تدل " على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل، وهي إفاضة النعم والإحسان "[1]، وهي صيغة دالة على

خاصيتين: 1– صفة عارضة. 2– الكثرة والمبالغة.

وقد كانت الصيغة الثانية: " الرحيم " ليَكمُل الاعتقاد " على الوجه الذي يليق بالله تعالى "[2]، ويتضح " أنّ لله صفة ثابتة هي صفة الرحمة التي عنها يكون أثرها، ويكون ذكرها كذكر الدليل بعد المدلول ليقوم برهانا عليه. "[3]

أما عملية توزيع طرفي المسند على المستوى الأفقي للوحدة، فهي عائدة إلى اتجاه الشبكة المدلولية للنص والعناصر الغالبة عليها: حركة انتفاء الإيمان. ويمكن أن ننظر إلى محطة انطلاق العملية التصحيحية في النسق الأول: "إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلت

[1] د. مصطفى ناصف. مسؤولية التأويل. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. ط1، 1425هـ - 2004م. ص: 90. عن: رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم. ص 46.

[2] المرجع السابق.

[3] نفسه.

أعناقهم لها **خاضعين** "، وإلى النهايات العقابية في النسق الثاني، وآخر تراكيب النص: " وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ". فكلها مظاهر تشاكل وتقاطع دلالي ترشّح الطرف الأول (العزيز) لاحتلال المرتبة الأولى.

ونجد احتواء طرفي المسند عناصر الدوائر السابقة للتركيب، المجموعة في الوحدتين الأوليين من التركيب، على الشكل الآتي:

1- **العزيز**: - أكثرهم:-

أ- قوم الرسول، صلى الله عليه وسلم، في النسقين الأول والثاني: تهديد ببيان القدرة على القسر على الطاعة، والإهلاك حال المعصية[1]. وهو استقبالي قريب (فسيأتيهم + المشهد الأخروي بعد قصة إبراهيم + وسيعلم).

ب – أقوام الأنبياء في النسق الثالث: – ماضوي واقع. – تدعيم وإثبات للسابق.

ج – متلقي النص المفتوح.

2- **الرحيم:**

أ – مض إ في م إ (ربك) + الرسل السابقون + المؤمنون (الأقل المخفي وراء الأكثر السابق): التأييد والنصرة والتثبيت وإعلاء الشأن والتسلية.

ب – الأكثر: إدرار النعم، الإمهال، إرسال الرسل، إنزال ما يبين ما يسخطه وما يرضيه، عدم الإهلاك إلا بعد إعذار.[2]

ج – متلقي النص المفتوح.

وإن كان الطرف الثاني للمسند قد تكرر في النسق الأول، فإن الطرفين كليهما قد تكررا في النسق الثاني: " **وتوكل على العزيز الرحيم** ".

وتكشف مظاهر التباين النحوي عن إحدى أهم حركات الشبكة المضمونية للنص، والتي عنوانها: تسلية الرسول، صلى الله عليه وسلم، وكل من اتبع آثار نهجه الدعوي. ومحطات هذه الحركة الرئيسةُ هي:

1- " **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** " ← 2- " **وإن ربك لهو العزيز الرحيم**" ← 3- " **وتوكل على العزيز الرحيم** ".

---

[1] البقاعي. نظم الدرر. 5/ 377.

[2] انظر: نظم الدرر. 5/ 366.

والرسم الآتي يبين اتجاه الحركة ومحطاتها:-

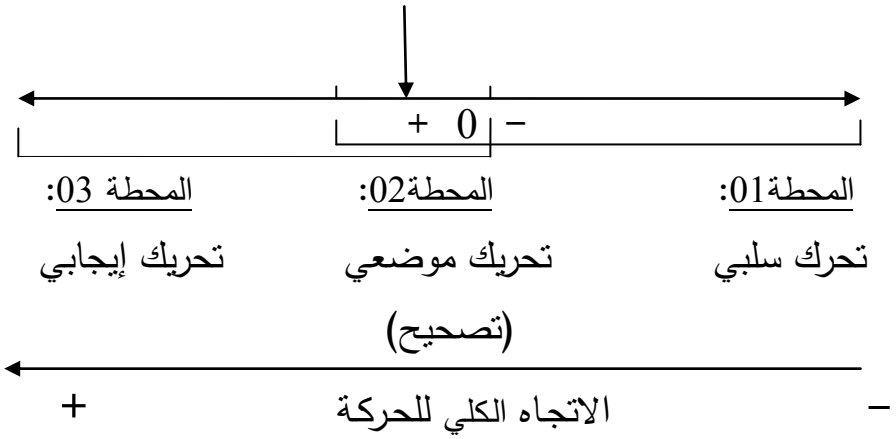

وهذا ما يفسر الطابع الاسمي المحض للمحطة الثانية وسمتها الخبرية، والطابع الفعلي الإنشائي الطلبي الأمري للمحطة الثانية.

وقد أفضى تحليل وحدات التركيب إلى أن حركة بنائها المدلولي موضعية توسيعية؛ لذا كان مورفيم المفصلة بينها: " الواو". فالوحدة الأولى يدور محتواها حول عملية: التبيين والتبليغ وإقامة الحجة. ولعل هذه هي البنية الدلالية المحورية لسورة الشعراء: " **تلك آيات الكتاب المبين** "، فهي دائرة حول " أهمية توصيل الرسالة إلى الناس بأحسن الوسائل المؤثرة "[1] و" إرشاد المسلمين والدعاة إلى الله، في كل زمان ومكان، إلى استخدام أفضل الأساليب وأوضحها في الدعوة "[2]. والمبلِّغ مدعوم مرعيّ منصور " **وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ". أما المدعوون المنكِرون فهم محصورون بين: إقامة الحجة عليهم، وعزة ورحمة ربهم. بكلمة وجيزة: هم ضعف بين قوتين متعاضدتين.

- مج ت 2:

[1] عمرو خالد. خواطر قرآنية ؛ نظرات في أهداف سور القرآن. الدار العربية للعلوم. بيروت. ط1، 2004. ص 274.
[2] المرجع السابق. ص 277.

جاءت هذه المجموعة بدايات لقصص الرسل: نوح، صالح، لوط، وشعيب عليهم السلام ، مع أقوامهم. وهي قصص تُعرض في الغالب في سلسلة مع بعضها[1].

وتتميز بغياب التطابق الكامل بين صورها المكررة، نشرح ذلك كما يأتي:

أ- **1-** " **كذبت قوم نوح المرسلين** "

2- " **كذبت عاد المرسلين** "

3- " **كذبت ثمود المرسلين** "

4- " **كذبت قوم لوط المرسلين** "

5- " **كذب أصحاب الأيكة المرسلين** "

ب - " **إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون** ": لا تغيير إلا في أسماء الرسل، مع استثناء الرقم 05؛ إذ حُذفت لفظة " أخوهم "، فجاءت: " إذ قال لهم شعيب ".

ج - " **إني لكم رسول أمين** ": لم يلحقها تغيير.

د - " **فاتقوا الله وأطيعون** ": لم يلحقها تغيير.

هـ - " **وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين**": لم يلحقها تغيير.

و - " **فاتقوا الله وأطيعون** ": محذوفة في الأرقام: من 02 إلى 05. غير أنّا نجدها بعد تراكيب في الأرقام: 02، 03، 05 مع تغيير في الأخيرة: " **واتقوا الذي خلقكم والجبلّة الأولين** ".

يشكل بناءها الهيكلي التراكيب الآتية:

1- م ت ت: / كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون /

2- إ ب مو: / إني لكم رسول أمين /

3- م ت إ: / فاتقوا الله وأطيعون / × 2

4- م ت إ: / وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين /.

يبدو التعقد والتمدد على المستوى الهيكلي ميزتها الغالبة، حال الكثير من التراكيب التي سبق تحليلها، مع غلبة ظاهرة للحركية الفعلية. كما أنها موزعة بين الخبر والإنشاء الطلبي بفعل إطارها الحواري. وتتشاكل في هذه الخصائص مع تراكيب الأشواط الحوارية من هذه القصص في النسق الثالث، ومن قصتي موسى وإبراهيم عليهما السلام.

[1] سيد قطب. في ظلال القرآن. 5/ 19/ 2606.

أما مظاهر التغيير في الصور المكررة، فهي راجعة إلى التباين السياقي، يصدق هذا خاصة على : و– " فاتقوا الله وأطيعون ".

وفيما يتعلق بإثبات تاء التأنيث في " كذبت" مع حذفها في: 05، فإنه راجع إلى كون الفاعل في الأربعة الأوائل مؤنثا[1]، أو بمعنى الأمة أو الجماعة[2].

وأما حذف كلمة " أخوهم " في:05؛ فلأنه لم يكن منهم[3]. في مقابل إثباتها للوط عليه السلام، رغم أنه لم يكن ممن أُرسل إليهم نسبا، لكنه كان منهم سكنا في البلد، ومناسبة لهم بمصاهرتهم، وإقامة بينهم مدة مديدة، وموافقة لهم في كونه قرويا[4].

أكسب التكرار هذه المجموعة التركيبية طابع الاستمرارية في النص كسابقتها، وجعلها تؤدي دورا مفصليا في نسج الشبكة المدلولية.

فقد جاءت تدعيمية للأبنية الدلالية الكبرى:

1– تسلية وإيناس وتثبيت الرسول، صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين.

2– مهمة المرسَل البلاغ المبين في أحسن الصور وبأحسن الأساليب.

3– حركة انتفاء الإيمان. وبالتالي موضوع:

4– الإنذار والتخويف والتهديد.

تَجسّدَ ذلك على مستوى سطح النص في ملفوظ يدل على حركة مضادة للرسالة: " كذّب ". فهذا المسند الفعلي لأولى وحدات المجموعة يمثل بؤرة ومركزا نحويا ودلاليا يجذب إليه بقية عناصر جملته، وكلّ تراكيب المجموعة؛ لتشكل دائرته الكيان الدلالي الكلي لها، بداية بالمنقولة إليهما حركته: م به (المرسلين) + م فيه (إذ). أما أولهما، فقد عدل به الخطاب عن صيغته الصرفية المطابقة للحدث التاريخي: " المرسَل "، إلى صيغته المتعددة " الجمع"، وقد أنتج ذلك إثراء وتوسيعا لمحتواه المدلولي، وارتفاعا به إلى المستوى الإشاري السيميائي، فكانت الدلالة المنبثقة: اتفاق الرسل جميعا فيما يدعون إليه: توحيد الله أو الإسلام، وبالنتيجة: تكذيب أحدهم تكذيب لجميعهم. ويدعم ما سبق تعيين العنصر (+ال)، وفي ذلك دلالة على الاستغراق والشمول.

---

[1] " القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ": الزمخشري. الكشاف. 4/ 174.

[2] التحرير والتنوير.ص 156.

[3] انظر الهامش الأول في تحليل المجموعة التركيبية الحادية عشرة من النسق الثالث.

[4] البقتعالى:م الدرر.5/ 383.

أخيرا، فإن اختيار صيغة اسم المفعول من جدول البدائل العمودي، فيه إيماء إلى أن المشمول الحقيقي لحركة فعل التكذيب هو اسم الفاعل الموحَّد، أما المرسلون جميعا فهم واسطة مهمتهم التبليغ؛ لذلك كان تكرار الرسالة بالصيغة نفسها مع جميع الرسل.

وأما ثاني العنصرين "إذ"، فهو مبين المجال الزمني لحركة الفعل، ويتميز بخاصيتين[1]:

1- الامتداد الزمني: وقد كان بالنسبة لأول المرسلين: نوح عليه السلام، الأطول[2]. ويمارس العنصر، على اقتضابه الصوتي، عملية ضغط لهذا الامتداد الزمني ليخرجه في الصورة اللاحقة، والمتمثلة في الحوار الموجز بين المرسلين والمرسلين إليهم.

2- تغطية عملية التبليغ من بدأتها إلى منتهاها، والتي زامنتها حركة فعل التكذيب منذ انطلاقها حتى آخر لحظة. فهو يثبت ما ينفيه في آن.

ولِما سبق؛ نجد فعل التكذيب يمتد، ليس فقط إلى نهاية هذه المجموعة التركيبية، بل حتى نهايات القصص؛ إذ تكرر في أكثرها مقرونا بالعقاب الإلهي، أما التي لم يتكرر فيها، ففي نهاياتها تلميح أغنى عن التصريح بلفظه.

ونرى أنه من الأهمية توجيه الانتباه إلى الملاحظة الآتية:

مظاهر التشاكل والتباين بين:

أ- " **فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون** ": النسق الأول.

و ب- " **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**": النسق الثاني (الأخير في النص).

والصورة المكررة لفعل التكذيب المقرون بالنهايات العقابية، نكتفي بذكر أنموذج لها من آخر قصة:

ج – " **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم**": النسق الثالث (الثاني في النص).

أهم مظاهر التشاكل:

1- الفاء التعقيبية السببية في طرفي وحدتي التركيبين: الأول والأخير (أ،ج).

2- تقاطع الحقلين الدلاليين للأفعال الماضية: كذّب × 2 + ظلم.

3- الفعل المضارع الاستقبالي المقرّب المحقّق بالسين في: أ + ج: سيأتيهم، سيعلم.

وأهم مظاهر التباين:

---

[1] انظر : روح المعاني. ص 106.

[2] قال تعالى : " فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما". العنكبوت 14.

1- الاستقبال في الطرف الثاني من" أ " وفي" ب "، والمضيّ في الطرف الثاني من"ج"
2- الإبهام والعموم في: أ- " أنباء ما ".و ب- " أي منقلب" ≠ الوضوح والتحديد في الطرف الثاني من " ج ".
3- حقل " ظلم " الدلالي أوسع من حقل " كذّب "، والتكذيب مما يدخل في دائرته.

ونعود إلى امتدادات فعل التكذيب من خلال ما تبقى من المجموعة التركيبية، والتي يتحلق بناؤها الدلالي حول قضيتين بارزتين:

أ- عملية تبليغ الرسالة في أحسن وألطف وأكمل صورها.

ب- كشف رسوخ فعل التكذيب، وإثبات كونه فعلا قبيحا شنيعا ينطوي على جلافة وقسوة في القلوب، ويذكر بـ " الران ".

يحمل ذلك إلى السطح ما يأتي:

1- **فعل القول**: المثبت ما سبق ذكره من أن التكذيب بدأ بمجرد النطق بالرسالة، فلم يكن " بعد إذ قال"، بل مباشرة " إذ قال"، فالمكذبون " لم يتأنوا بطلب دليل، ولا ابتغاء وجه جميل"[1].

2- **أخوهم**: أسند الفعل إلى صفة الفاعل الحقيقي (نوح وسائر الرسل) الذي ورد معطوفا عليها عطف بيان[2]. وقد باشر الفاعل ضميرهم ليشكلا كيانا واحدا متصل الجزأين (م إض)؛ قصدا إلى غرض إخباري هو إبراز علاقة الرسول بالمدعوين من ناحيتين:

- الارتباط الاجتماعي.
- الارتباط النفسي الشعوري: حب جلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم.

والمفترض أن ذلك دافع إيجابي لتقبل الرسالة.

ومن عجائب التشاكل أن تكون هذه الأخوة من ناحيتها الاجتماعية منتفية بين المرسلين والمرسلين إليهم في أول وآخر القصص: موسى وشعيب عليهما السلام؛ فمع الأول كان المرسَل إليهم متحلقين حول فرعون مرتبطين به (قوم فرعون)، ومع الثاني كانوا مرتبطين بأيكتهم (أصحاب الأيكة). وفي ذلك ما فيه من تسلية وتثبيت رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، ومن خلفه.

3- **ألا**: وتحتمل تأويلين:

أ- مركبة من مورفيمين: همزة الاستفهام + " لا " النافية.

---

[1] البقاعي. نظم الدرر. ج 5. ص374.
[2] معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص 486.

وتركيبها يفرز دلالة الإنكار المفضية إلى رفض الدعوة.

ب- مورفيم واحد غير مركب: ودلالتها التحضيض الموجِّه إلى التباطؤ عن التصديق.

وكلا الدلالتين تنبئان عن موقفين:

- موقف القوم: إصرار على التكذيب.
- موقف الرسول: ثبات على الدعوة مع أمل في بلوغ غايتها المتمثلة في فعل التقوى:

4- **تتقون**: الذي يشكل وحور الرسالة؛ لذلك كُرر مع تدعيمه بما نقية مقنعة مرغوبا فيها.

وقد ورد أولا عاما دون تحديد مفعوله، وفي ذلك تحفيز وتشويق وتنبيه:

أ- تشويق لمعرفة جهة وقوع الفعل.

ب- تنبيه إلى طابع السلبية والفساد والفوضى في حياتهم، والذي نتج عن إسناد نقيض هذا الفعل إلى الفاعل واقعا؛ ذلك أنّ مفهوم التقوى، كما أورده الراغب: " جعل النفس في وقاية مما يُخاف "[1]، يتسع لدلالات أخرى أساسية؛ فكلمة التقوى " أكثر ما تتعلق بفكرة المسؤولية، واحتمالها، والنهوض بتبعاتها، والشعور الناضج بالصعوبات، في غير خوف أصمّ يقتل الإحساس بالحياة "[2]. كما أن حضور المتَّقى في ضمير الإنسان يؤدي إلى " الجدية في الحياة، بدلا من الغفلة والطيش "[3]. فالتقوى امتثال للأوامر، واجتناب للزواجر[4]. وبالتالي، فإن تعريف المتقي " لا يختلف من حيث الجوهر عن تعريف "المسلم" و "المؤمن" "[5].

ج- تحفيز لمعرفة الدافع إلى هذا التصريح القولي.

ولما سبق؛ جاءت الوحدة الموالية:

5- **إني لكم رسول أمين**: المفتتحة بمورفيم توكيد " إنّ "؛ لتوقع إنكار مضمون الوحدة.

وقد خضعت لعملية تحويلية اختيارية بتقديم: م ن (لكم) على المحمول مركز البنية الدلالية (أخوهم). وتؤدي الوحدة دورا تعريفيا ترغيبيا إقناعيا، ولعنصر: ن (أمين) بصيغته الصرفية الدالة على الثبوت أثر محوري في ذلك؛ فهو استشهاد بالتجربة وبعهدهم به. ومما يبدو جديرا

---

[1] الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق رضوان عدنان داوودي. دار القلم، دمشق – الدار الشامية، بيروت. ط2، 1418هـ - 1997م. ص 881.

[2] د. مصطفى ناصف. مسؤولية التأويل. ص 161.

[3] توشيهيكو إيزوتسو. الله والإنسان في القرآن؛ علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم. ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد. نشر المنظمة العربية للترجمة. توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط1، 2007. ص 361.

[4] انظر: السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص 569.

[5] توشيهيكو إيزوتسو. المرجع السابق. ص 367.

بالتذكير به في هذا المقام أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان– كما هو مشهور– موصوفا في قريش بهذا الوصف نفسه " الأمين ".

ولما مرّ؛ كان تسبيب التركيب الموالي عن الحالي بالفاء التعقيبية:

6– **ف / <u>اتقوا الله وأطيعون</u>/:**

فيها ترقّ بياني، مع ما يومئ إليه هذا التدريج من تهيئة نفسية للمخاطبين، وتلطّف في التبليغ. يظهر هذا المحتوى إلى المستوى المادي:

أ– الصيغة الطلبية لمسندي الوحدتين: المر.

ب– تحديد الـ م به المطلوب من م إ نقل حركة فعل التقوى إليه: الله سبحانه وتعالى. واختيار لفظ " الله " دون " رب " لكون الحركة هنا متجهة من البشر إلى الله: التوحيد والعبادة.

ومما يمكن أن يحول دون بلوغ الرسالة غايتها، تشويهها بالحط من قيمتها من خلال ربطها بغرض دنيوي، مما يستتبع تشويها لسبب الدعوة والدافع إليها، فتنتفي بذلك عن الداعي صفة " رسول أمين ". لكل ذلك؛ جاء التركيب الموالي:

7– و / **<u>ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين</u>** / .

يقوم البناء الدلالي للتركيب على التقابل بين نفي مؤكَّد وإثبات مؤكَّد. ومركزه الذي تتحلق حوله جميع العناصر: م ب 2 في وح إ1 موضوع وح إ 2: " أجر ".

ويكشف إحكام نسج الخطاب المحقق: البلاغ المبين، حكمة وواقعية وإقناع الرسول. وانظر تصريح نوح عليه السلام بعد ذلك: " إن أنا إلا نذير مبين "، والتعليل الإلهي لإنزال التنزيل على قلب محمد، صلى الله عليه وسلم: " لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " في أول تراكيب النسق الثاني. فهو لم ينف سعيه إلى الأجر من وراء ما يدعو إليه (المرجع المفهوم من السباق للطرف الثاني من م ن: عليه)، هو بشر مثلهم، لكنه أرقى منهم؛ إذ أسند أجره إلى مرسِله. وتحمل هذه الدلالات سلسلة الملفوظات الآتية:

– / ما أسألكم عليه من أجر/ :

إذ نفى طلب الأجر منهم، بل أيّ شكل من أشكال الأجر، وأيّ نوع منه، وقد دلت على ذلك: " من " الجارة الزائدة الداخلة على " م ب "، المؤثرة من وجهين:

1– نحوي: بتغيير السمة الحركية لمدخولها دون وظيفته.

2– دلالي: إثراء مدلوله بزيادة معنيي التوكيد والعموم.

وأما العملية التحويلية بتقديم " م ن: عليه " على " م ب "، فهي اختيارية، لكنها خاضعة للدلالة المخدومة؛ فالمقدم علة والمؤخر معلول. ثم إنّ الحديث عن الأجر من صلب الرسالة؛ لأنهم يستفيدون أعظم الفوائد؛ لذلك هم لن يستطيعوا إيفاءه حقه، ولن يرقى أيّ أجرمنهم إلى مكافأته.

- م: على رب العالمين:

يمثل محور وحدته، ويتميز بالثراء المدلولي بفعل تركيبه (م ن + م إض)؛ فحرف النسبة: " على " دال على إيكال أمر تحديد نوع وشكل " م إ " إلى الطرف الثاني من م ن: م إض " رب العالمين "، وفي ذلك مقابلة لرفض أيّ شكل من أشكاله مهما عظم إن كان مصدره المدعوون، ممّا يغلق أبواب الثني عن الدعوة بالإغراء.

وهو، أخيرا، دليل ثقة كبرى في المرسِل (رب العالمين)، وتعظيم وتقدير للأجر ومانحه؛ فكلما عظمت الفائدة عظم الأجر، وعظم شأن وقدر المأجور ومانح الأجر. لكل ذلك، قصره على مرسِله. وقد نهج محمد، صلى الله عليه وسلم، مع قريش نهج إخوانه[1]. والقصة مشهورة.

هذا " م إض " الذي استدعى السياق طرفه الثاني: " العالمين " دون ضمير الرسول (الياء) كما في: " أجري ". وفي ذلك دقة في اختيار العنصر لبناء دلالة محكمة؛ فالمقام هنا مقام دعوة وخطاب موجّه إلى القوم المدعوين إلى اتقاء الله، الذي هو ربه وربهم ورب العالمين. وقد مرّ نظير هذا في قصتي: موسى وإبراهيم، عليهما السلام، وفي أول النسق الثاني:

1- 3 فقولا إنّا رسول رب العالمين ".

2- " فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ".

3- " وإنه لتنزيل رب العالمين ".

مع ما فيه من موافقة للفاصلة.

ونعود إلى ما بدأنا به تحليل مج ت من تبيين للأبنية الدلالية الكبرى التي تتقاطع معها، وإلى ما لها من أثر مركزي في المقصد التواصلي؛ زيادة توضيح وتأكيد:

أ- يمثل المكون الدلالي: " التقوى " واحدا من أهم مكونات إحدى القضايا والموضوعات المهيمنة في المدونة؛ لذلك نجد في النص تواترا للعناصر والتراكيب المنضوية تحت حقلها

[1] انظر: د. محمد عابد الجابري. مدخل إلى القرآن الكريم؛ الجزء الأول في التعريف بالقرآن. ص 301.

الدلالي، وللصيغ المشتقة منها. وقد سبق ذكر بعضها في ثنايا تحليل المجموعة، أما غيرها فنجد:

- في النسق الثالث خاصة:

1- " أن ائت القوم **الظالمين** قوم فرعون **ألا يتقون** ".

2- " وأزلفت الجنة **للمتقين** ".

3- " إني **أخاف** عليكم **عذاب** يوم عظيم ".

ب- تنفتح شبكة البناء المدلولي للمجموعة إلى خارج بنائها التركيبي؛ متحركة على مستوى النص وخارجه، ممّا يجعل من طرفي العلاقة داخلها (الرسل، الأقوام) نماذج بشرية إيجابية وسلبية، ورموزا مستمرة في بث الإشارات؛ خارجة عن دائرتها التاريخية المحدودة إلى المستوى التواصلي المفتوح على متلقي النص بدائرتيه. لذا؛ نجد بعدها إثباتا لنهاية العلاقة (حركة التدافع) بين الطرفين بتدخل القوة العليا المتحكمة في جميع الحركات: الله سبحانه وتعالى، بحركة تصحيحية مبرزة سنة النهايات: إزالة ومحو السلبي، وإبقاء وتثبيت الإيجابي.

-الخاتمة-

أصل، بعد هاتيك الرحلة الشائقة الشاقة داخل ذلك البناء الرحب الفريد، إلى آخر محطة فيها.

فقد بذلت جهدي في درس نسج الخطاب القرآني في سورة الشعراء دراسة وصفية تحليلية، حريصا، ما استطعت، على إكسابها الدقة والعلمية، قاصدا ما استقام لي النظر والتعقل، ملامسة بعض مظاهر فرادته في تشكيله الأسلوبي المتحد وجهي النسج، وكشف ترابطه وانسجامه وتماسكه الدلالي، وتحسس سطح الإفضاء الإعجازي لمقوله، وما يوفره كل ذلك من إمكانات ترقى بالعملية التبليغية إلى أعلى درجات التأثيرية والفاعلية. وخرج البحث بمجموعة متنوعة من النتائج، يؤطرها عنوانان كبيران: عامة، وخاصة.

1-النتائج العامة:

أ. تحليل نسيج الخطاب القرآني، لا بد أن يكون تشريحا لبنائه الظاهري إلى الباطني، الذي يقدم تفسيرا وتعليلا للخصائص الفنية الجمالية المميزة شكله، ويتفاعل معه لتحقيقها. وهذا أمر قد تبين عسره؛ لأن التعامل هنا مع خطاب خارق حديّ، مباين في أعرافه وأدبيته للأدبية العربية، متميزة بثراء معناه، وعمقه، واتساع فضائه الذي يغطي محوري الزمان والمكان.

ب. يتأبى النص القرآني على التأطير المنهجي؛ فهو مفتوح للقراءة والتفاعل؛ فلا يمكن لعدة تحليلية إجرائية واحدة أن تغني لمحاصرة مظاهر إفضائه الإعجازي. والرأي أن التركيب المنهجي المتسع المرن، المنطلق من ثمار جهود علمائنا الأوائل، والمنفتح على المناهج الحداثية، مع الاستفادة من العلوم المشتغلة على النص، أجدى بكثير.

ج. غياب القرآن عن العقل العربي المسلم عامة، وعقل الأديب واللغوي والناقد خاصة، ابتعاد عن قلب الثقافة العربية؛ لذلك، من الواجب إعادة إحياء وتقوية ربط ذهنية العربي المسلم وذوقه الجمالي، مصدره الأسمى: حفظا، وتحليلا، وتوظيفا في كل مجال معرفي.

2-النتائج الخاصة:

أ. <u>مستوى النسيج التركيبي</u>:

1-توظيف مستويات التركيب في النص، كان في أعلى درجات الدقة والإحكام؛ إلى على المستوى التوزيعي الأفقي، أو على المستوى الرأسي الاستبدالي. يشمل ذلك: المكونات الصوتية، والصرفية، والموضعة التركيبية السياقية.

2-كان توزيع أصناف التراكيب على مستوى الفضاء المادي للنص، بناء وهندسة فريدين، يتلاءم بدقة بالغة وإحكام متقن وخصائص الأبنية الدلالية للمدونة، كما يتفق والأنماط النصية الموظفة فيها:

أ. تراكيب النمطين الحواري والحجاجي، متميزة بـ:

- التقدم في درجة التعقيد.
- اطراد التوسيع، وحشد المتممات، خاصة الأدوات الملونة التركيب.
- تنوع الوظائف.
- تداخل النسوج الإسمية والفعلية، وتنوع صورها.
- الميل إلى الإنشاء الطلبي خاصة، ممثلا في صورتين بارزتين: الأمر، والاستفهام المحوّل إلى الإنكار والتوبيخ، والذي كانت أداته الأثيرة "ألا".
- اطراد التركيب الشرطي التهديدي، الغالبة فيه "إن" أداة شرط.

ب. أبرز مميزات تراكيب النمط السردي:

- التقليل، في الغالب، من الكم التركيبي.
- الميل إلى البساطة، وإلى الأسلوب الخبري.
- طغيان الحركية الفعلية، وتأطيرها بالزمن التاريخي، مع تحويل السياق أزمنتها عن الزمن الصرفي، ما أكسبها بعدا إشاريا سيميائيا، خاصة في المشهد الأخروي.

ج. تراكيب النمط الإخباري التقريري، الذي يقوم على تقرير وتثبيت حقائق عامة مطلقة غلب عليها:

- الطابع الاسمي المؤكد.
- البساطة.

- الأسلوب الخبري.

3-تتضافر التراكيب وتتعاضد منفتحة على بعضها؛ لتشكيل بنائها الدلالي المكتفي، ولإثراء مضمونها وتوسيع امتدادها؛ لتؤدي دورها كاملا في تشكيل البنية الكلية للنص. تستوي في ذلك المتجاورة والمتباعدة؛ لذا، فإن الفصل الحاد بينها، له مخاطره الطامسة الحائلة.

4-نجد مجموعة من العناصر اللغوية تتردد في المدونة بصورة لافتة:

- المؤكدات: ويؤثر منها الخطاب القرآني "إن" في المقام الأول، ثم "اللام المزحلقة" خاصة. ويرجع تواترها إلى حركة التدافع التي تميز العلاقة بين طرفين متضادين من حول الرسالة، وإلى الطابع الحجاجي الإقناع يذيب السلطان الأقوى في النص.
- الاسم الموصول: المستثمر واسطة إلى صلته في مقامات التفصيل والتدقيق والتعليل، مع ما يؤدي كشف الكيان النفسي.
- الضمير: وهو أكثر المكونات دورانا في النص، وأبرز وظائفه:

أ- الاختصار.

ب- الربط: على مستويين:

1-داخلي من ناحيتين: أ- بين الجمل. ب- بين الأنساق. وله عائد في السياق.

2-خارجي: وسيأتي ذكره في المستوى التواصلي.

ومن الضمائر المستخدمة في النص: ضمير العظمة، العائد عليه سبحانه وتعالى، وتعليل ذلك راجع إلى إظهار القدرة المطلقة والسيطرة والتحكم الكاملين، إحدى أهم الأبنية الدلالية الكبرى المشكلة كيان النص الباطني.

5-غلب توظيف كلمة "رب" على استخدام كلمة "الله" في النص، بنسبة خمس وثلاثين مرة (35) للأولى، وثلاث عشرة مرة (13) للثانية. وتعليله كما يلي:

الربوبية = الحضور الفاعل = الخلق والسيطرة والرعاية والإحسان = متجهة إلى المخلوقات

الألوهية = العبودية = حركة متجهة من الإنسان إلى الله = نتيجة للسابقة.

والأولى متحققة على مستوى النص، أما الثانية فشبه غائبة. وهذا يتناسب والاتجاه الحجاجي ألإقناعي للنص، الذي من أعهم وسائله: إظهار أنعمه تعالى على عباده.

ب. مستوى النسيج الدلالي:

1- سورة الشعراء هي سورة: تقرير وتثبيت حقائق تاريخية، وسنن اجتماعية، تتعلق بطبيعة البشر في تعاطيهم مع رسالة السماء، وبمنهج ومبادئ الحركة التبليغية. وهذا ما يمثل البنية العليا للنص، المتحكمة فيه، جاعلته بناء متواشجا متكاملا.

2- يحتوي النسق الأول البنيات الدلالية الكبرى المشكلة مفردات البنية الكلية؛ فهو، بذلك، متحكم في النسقين الآخرين. وبالتالي؛ فإن ترتيب الأنساق في النص، هو الترتيب، رغم ما يبدو ما بين الأول والأخير من تقاطع، ومن مباينة كليهما للثاني، غير أنهما يحتضنانه كلاهما، فهو خادم الاثنين. ويمكن تجسيد العلاقات بين الأنساق كما يأتي:

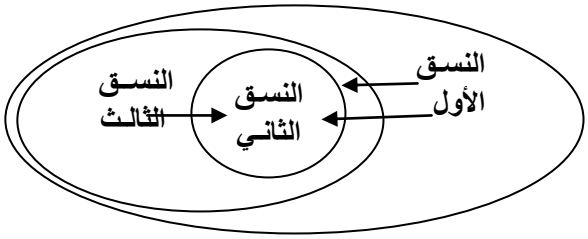

3- تؤدي مج ت 1من التراكيب المكررة، دورا تذكيريا بالبنية الكلية، وتنظيميا رابطا لآخر تراكيب النسق الأول، وللصور المختلفة من النسق الثاني بها، كما أنها تشكل نقطة تقاطع بين السماوي المطلق الثابت (الرسالة)، والأرضي المحدود المتغير (الإنسان)؛ لذا، تكررت في النهايات، وغابت عن آخر النسق الثالث. وتؤدي معها قصة إبراهيم

الوظيفة نفسها، خاصة في طرفها الأول (التذكير)، فلم تختم بها، وأخرت إلى نهاية المشهد الأخروي.

أما مج ت 2 منها، فمجالها الأرضي؛ لذا وجدناها تبدأ بما كان سببا في النهاية: التكذيب.

4-يكسب السياق في النص القرآني دلالات الألفاظ هويتها القرآنية المتميزة، التي هي غير دلالتها المعجمية، ولا هي دلالاتها في الاستعمال اللغوي العربي. وذلك عائد إلى المرجعية المتحكمة في إنتاجها، وهي متباينة بين الطرفين. فالسياق القرآني يأخذ اللفظة أو البناء التركيبي المحصور، لتتحرك في مختلف الاتجاهات داخل النص وخارجه. ويمكن التمثيل لذلك بلفظتي "التقوى" و"الشعراء".

5-توجد علاقة تجاذب بين الطابع الاسمي المحض البسيط للجملة، وكونها بؤرة دلالية، تمارس بتحررها من قيود الزمان والمكان والحدث، دورا توجيهيا للحركة في التراكيب الفعلية، وتحريرا لها من قيودها؛ لتغدوا ذات بعد إشاري سيميائي، وتحديدا لوظيفتها التواصلية.

6-تكرار عناصر أو بنيات تركيبية من أبرز الوسائل التي يصطنعها الخطاب القرآني لتشكيل البنية الكلية الدلالية للنص، ومد خيوط التعالق بين البنيات الدلالية الصغرى. من ذلك: ضمير الرسولε، ربك، التكذيب، الإيمان، التقوى، الظلم.

7-تتميز لغة النموذج الإنساني الكافر في دلالتها بكونها: تأكيدية توهينية تهويلية تهديدية افترائية إفكية، غير ثابتة (لا يصدقها الواقع)، مضطربة. فهو يمارس عملية تقليب للغة عن وجهها الصحيح؛ لذا، يبدو في العملية جهد وشدة ومعالجة، ويمكن أن ننظر ونتأمل في: "تنزّل على كل أفّاك أثيم". أما لغة النموذج الإنساني المؤمن (ممثلا في الرسل) فيمكن وسمها بـ: البلاغ المبين،: صدق، وصحة، وإحكام، وإقناع، وهدوء.

ج. المستوى التواصلي:

1-يمثل المستوى الإبلاغي، والتأثير في كيان المتلقي، الغاية التي يجند لها الخطاب القرآني كل عناصر جميع مستويات اللغة.

2-يتداخل المتلقي الداخلي مع الخارجي بدرجاته، في التوجه إليهم جميعا، ومستوى الاهتمام والعناية القوية نفسها، بخطاب واحد منسوج بشكل بديع محكم، بكل يسر وسلاسة ومنطقية.

3-الضمير الذي لا عائد له في النص، عائده خارجي، وهذا مما يبدي الغرض التواصلي، ويدل على أن تفاعل مركب.

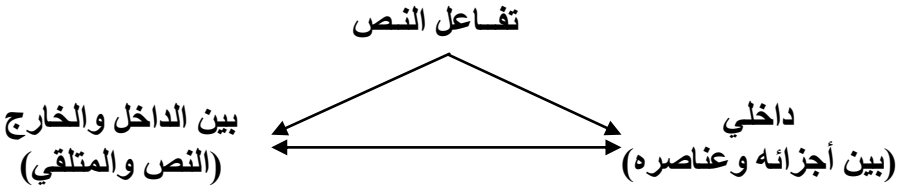

وقد كان الربط الخارجي في بدايات ونهايات الأجزاء خاصة؛ فمنها نافذتان على الطرفين المتفاعلين: لعل(ك)، يكون(وا)، أكثر(هم)، نادى رب(ك)، واتل$^{\emptyset}$ علي(هم).

4-أشكال الحذف والإيجاز المختلفة، والتعدد والثراء المعنوي المتحقق في كل أنماط التراكيب، وفسح المجال للأصوات الشركية كي تنبئ عن نفسها بنفسها، وتأجيل تدخل العناية الإلهية بالحركة التصحيحية إلى النهايات، بعد اتضاح مآل التدافع الحجاجي وحركة التبليغ، خاصة في مجموعة القصص المتشاكلة، كل ذلك إثراء للكم الإخباري، وتحقيق لنسبة عالية من التأثيرية في كيان المتلقي، من زاويتين:

أ- استثارة عقله وخياله ودفعه إلى التفكر والتأمل والنبش عن المعاني الثاوية في الغياب.

ب-تحفيز وتحريك كيانه النفسي الوجداني؛ ليفتح أبواب قلبه لروح الرسالة.

-مُلحَق التّصويبَاتْ-

الصفحة	س(السطر)هـ (الهامش)	الخطأ	الصواب

9	هـ(2)+(3)	مكتبة لبنان ناثرون	مكتبة لبنان ناشرون
17	س7	خمسة عشرة آية	خمس عشرة آية
22	س4	فتوح	فنوح
62	س7	من قبله	من قلبه
67	س8	استقرار	استمرار
74	س2	المواضيع	المواضع
90	س10	الأقوام	الأقوال
94	الجدول(س2)	المضاف والنكرة	المضاف النكرة
95	الجدول(رقم3)	قصة لإبراهيم	قصة إبراهيم
102	س5+ الجدول(الخانة3)	في بداية كل+ الأمر:07	في بداية كلامه تعالى+المضارع:07
103	س11	المراجعة الفكرة	المراجعة الفكرية
106	س11	المفعول: لمّح	وهو أيضا يلمّح
113	س19	مستوياتها	مستوياتيا
121	س14	جاء بع موسى	جاء به موسى
125	س8	قصدا على	قصدا إلى
128	هـ(2)	تحقيق والعدم	تحقيق
138	س الأخير	تموضعها	تمظهرها
140	س قبل الأخير	لجملة الإسناد	لحمة الإسناد
141	هـ (5)	وتختص بالمكن	وتختص بالممكن
147	س13	غاية إبلاغه	غاية إبلاغية
152	س1	كما أم	كما أنّ
170	س17	مثر	مثير
181	س15	بسير	بيسر
186	س11	وكمال وعيش	وكمال عيش
187	س9	جمع المنطوق كثير	جمع لمنطوق كثير
187	س11	قصد إلى	قصدا إلى
190	س15	معالمسند	مع المسند
201	س12	لإحاطة عمله	لإحاطة علمه
211	س19	من معاينة	من معانيه
220	س5	في خاتمة النص	في مقدمة النص
221	س10	الوحدتين الأوليتين	الوحدتين الأوليين
222	هـ(4): الآية	" من رب العالمين"	" من رب رحيم"
234	س8	والتركيب	والتراكيب

نص الآية	رقمها	السورة	الصفحة

- فهرس الآيَات القُرآنيةْ -

1- " فسيكفيكهم الله "	137	البقرة	27
2- " فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين"	41	فصلت	41
3- " واذكر في الكتاب إبراهيم"	40	مريم	102
4- " واذكر أخا عاد"	21	الأحقاف	102
5- " واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب"	45	ص	102
6- " سنفرغ لكم أيها الثقلان"	31	الرحمان	107
7- " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم"	34	البقرة	108
8- " واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قربانا"	27	المائدة	108
9- " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم"	172	الأعراف	108
10- " وإذ قال يوسف لأبيه"	04	يوسف	108
11- " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم"	61	الإسراء	108
12- " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم"	50	الكهف	
13- " قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين"	111	الأعراف	122
14- " ووجدك ضالا فهدى"	07	الضحى	127
15- " ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ..."	51- 73	الأنبياء	154
16- " وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا"	30 15	النحل	163
17- " من أشد منا قوة"	16	فصلت	184
18- " فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا"		فصلت	187

19- " وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية"	06 79	الحاقة	187
20- " وأضلّ فرعون قومه وما هدى"	85	طه	191
21- " وإلى مدين أخاهم شعيبا"	36	الأعراف	198
22- " وإلى مدين أخاهم شعيبا"		العنكبوت	198
23- " قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم"	14	الحجرات	218
24- " ويل للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين، وما يكذب به إلا كل معتد أثيم، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"	10- 14 58	المطففين	218 222
25- " سلام قولا من رب رحيم"		يس	

-فهرس الأَحَاديث النَّبويَّة-

نص الحديث	الصفحة

1- "... وأعطيت طه وطسم من ألواح موسى"..... 14

2- " ... وأعطاني الطواسين مكان الزبور..."..... 14

3- " سأل أناس رسول اللهε عن الكهان، فقال لهم
رسول الله ε ليسوا بشيء، قالوا يا رسول الله فإنهم
يحدّثون أحيانا بالشيء يكون حقا، قال رسول الله ε
تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنّي فيقُرّها في أذن
وليّه قرّ الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة"..... 90

4- " إنّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع
الرحمان كقلب واحد يصرّفه حيث يشاء"..... 135

-فهرس المَصَادر وَالمراجِعْ-

أولا : القرآن الكريم
ثانيا:
1- إبراهيم أنيس
/ الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. الطبعة الرابعة. 1971م.
2- **ابن الأثير**، ضياء الدين
/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: د.أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة. دار الرفاعي. الرياض. الطبعة الثانية، 1983م.
3- أحمد رحماني
/ التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا. منشورات جامعة باتنة. الجزائر. 1998م.
4- أحمد الشايب
/ الأسلوب؛ دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. مطبعة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة السادسة، 1966م.
5- أحمد محمد قدور
/ مبادئ اللسانيات. دار الفكر. دمشق- دار الفكر المعاصر. بيروت. الطبعة الأولى.1416هـ- 1996م.
6- أحمد مختار عمر
/ دراسة الصوت اللغوي. توزيع عالم الكتب. القاهرة. 1976م.
7- أحمد مصطفى المراغي.
/ علوم والبلاغة. دار القلم. بيروت. لبنان. د- ت.
8- إميل بديع يعقوب
/ معجم الإعراب والإملاء. دار اشريفة. الجزائر. د- ت.
9- **الألوسي**، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي
/ روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. نشر وتصحيح وتعليق: إدارة الطباعة المنيرية. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الرابعة، 1405هـ - 1985م.
10- أبو أوس إبراهيم الشمسان

/ الجملة الشرطية عند النحاة العرب. مطابع الدجوي. عابدين. مصر. الطبعة الأولى. 1401هـ- 1981م.

11- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر

/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م.

12- تمام حسان

/ مناهج البحث في اللغة. دار الثقافة. الدار البيضاء. المغرب.1979م.

13- توشيهيكو إيزوتسو

/ الله والإنسان في القرآن؛ علم دلالة الرؤية القرآنية. ترجمة وتقديم: د. هلال محمد الجهاد. نشر المنظمة العربية للترجمة. توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. الطبعة الأولى، 2007م.

14- الثعالبي، أبو منصور بن إسماعيل

/ فقه اللغة وأسرار العربية. دار مكتبة الحياة. بيروت. د- ت.

15- جـتولف برجشتراسر

/ التطور النحوي للغة العربية. أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: د.رمضان عبد التوّاب. مكتبة الخانجي. القاهرة- دار الرفاعي.الرياض.1402هـ- 1982م.

16- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن

/ دلائل الإعجاز. موفم للنشر. الجزائر. 1991م.

17- الجرجاني، علي بن محمد الشريف

/ التعريفات. تحقيق وزيادة: د. محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار النفائس. بيروت. الطبعة الأولى، 1424هـ - 2003م.

18- جعفر دك الباب

/ الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني. مطبعة الجليل. دمشق. الطبعة الأولى. 1400هـ- 1980م.

19- جماعة من كبار اللغويين العرب

/ المعجم العربي الأساسي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. 1989م.

20- ابن جني، أبو الفتح عثمان

/ الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار.المكتبة العلمية. دار الكتب المصرية. د- ت.

21- حميد لحمداني

/ القراءة وتوليد الدلالة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. الطبعة الأولى. 2003م.

22- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي

/ البحر المحيط، وبهامشه النهر الماد من البحر لأبي حيان، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفي النحوي. دار الفكر. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م.

23- الخطيب الإسكافي

/ درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز. برواية أبي الفرج الأردستاني. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الرابعة، 1401هـ-1981م.

24- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن

/ التلخيص في علو م البلاغة. ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي. بيروت. د- ت.

25- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل

أ- / مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دار القلم. دمشق- الدار الشامية. بيروت. الطبعة الثانية، 1418هـ - 1997م.

ب-/ المفردات في غريب القرآن. تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة. بيروت. د- ت.

26- الرضيّ الإستراباذي

/ شرح الكافية في النحو. دار الكتب العلمية. بيروت. د- ت.

27- زتسيسلاف واورزنياك

/ مدخل إلى علم النص؛ مشكلات بناء النص. ترجمه وعلق عليه: أ.د.سعيد حسن بحيري. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى، 1424هـ – 2003 م.

28- **الزركشي**، بدر الدين محمد بن عبد الله

/ البرهان في علوم القرآن. تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة. بيروت. طبعة ثانية منقحة ومحررة. د– ت.

29- **الزمخشري**، جار الله محمود بن عمر

أ– / أساس البلاغة. دار الفكر. بيروت. 1420هـ – 2000م .

ب–/ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر. مراجعة الطبع: شعبان محمد إسماعيل. دار المصحف. القاهرة. د– ت.

30- **ابن السّرّاج**، أبو بكر محمد بن سهل

/ الأصول في النحو. تحقيق: عبد المحسن الفتلي. مطبعة النعمان. النجف الأشرف– بغداد. 1973م.

31- **السعدي**، عبد الرحمن بن ناصر

/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. قدم له الشيخ محمد بن صالح العثيمين. مكتبة الصفاء. القاهرة. الطبعة الأولى، 1422 هـ – 2002م.

32- **أبو السعود**، محمد بن محمد العمادي

/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية، 1990م.

33- **سعيد حسن بحيري**

/ علم لغة النص؛ المفاهيم والاتجاهات. الشركة المصرية العامة للنشر– لونجمان. مصر– مكتبة لبنان ناشرون. بيروت.ط1، 1997.

34- **السكاكي**، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي

/ مفتاح العلوم. دار الكتب العلمية. بيروت. د– ت.

35- **سليمان عشراتي**

/ الخطاب القرآني؛ مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1998م.

36- **سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر

/ الكتاب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. الطبعة الأولى.1973م.

37- سيد قطب

أ- / التصوير الفني في القرآن. دار الشروق. القاهرة – بيروت. الطبعة الشرعية السادسة، 1400هـ - 1980م.

ب-/ في ظلال القرآن. دار الشروق. القاهرة – بيروت. الطبعة الشرعية السادسة عشرة. 1410هـ - 1990م.

38- **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

أ- / لباب النقول في أسباب النزول. دار إحياء العلوم. بيروت. الطبعة الرابعة، 1403هـ-1983م.

ب-/ المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرح وضبط وتصحيح وعنونة للمواضيع وتعليق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية. صيدا- بيروت. لبنان. 1408هـ - 1987م.

39- صلاح فضل

/ بلاغة الخطاب وعلم النص. سلسلة العالم المعرفة. رقم164. أغسطس 1992م. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

40- **ابن عاشور**، محمد الطاهر

/ تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر. تونس- المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984م.

41- عباس حسن

/ النحو الوافي. دار المعارف. القاهرة. الطبعة العاشرة. د- ت.

42- عبد السلام المسدي

/ في آليات النقد الأدبي. دار الجنوب للنشر. تونس.1994م.

43- عبد العزيز عتيق

/ علم المعاني. دار النهضة العربية. بيروت.1985م.

44- عبد الله بوخلخال

/ التعبير الزمني عند النحاة العرب. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. د- ت.

45- عبد الله الغذامي

/ الخطيئة والتكفير؛ من البنيوية إلى التشريحية. دار سعاد الصباح. الكويت. الطبعة الثالثة. 1993م.

46- عبد المالك مرتاض

أ- / التحليل السيمائي للخطاب الشعري؛ تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي. دار الكتاب العربي. الجزائر. 2001م.

ب-/ نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيمائي مركب لسورة الرحمن. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. 2001م.

47- عبد الهادي الفضلي

/ دراسات في الفعل. دار القلم. بيروت. الطبعة الأولى. 1402هـ - 1982م.

48- عفت الشرقاوي

/ بلاغة العطف في القرآن الكريم؛ دراسة أسلوبية. دار النهضة العربية. بيروت، لبنان. د- ت.

49- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله

/ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا – بيروت. طبعة منقحة. 1411هـ - 1990م.

50- العكبري، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله

/ إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. 1399هـ- 1979م.

51- عمرو خالد

/ خواطر قرآنية؛ نظرات في أهداف سور القرآن. الدار العربية للعلوم. بيروت. 2004م.

52- غالب حسن

/ نظرية العلم في القرآن؛ ومدخل جديد للتفسير. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1421هـ- 2001م.

53- **الفرّاء**، أبو زكريا يحيى بن زياد

/معاني القرآن. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثالثة.1403هـ- 1983م.

54- **الفيروز آبادي**، محمد بن يعقوب

/ القاموس المحيط. ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. إشراف مكتب البحوث والدّراسات. دار الفكر. بيروت. لبنان.1425، 1426هـ- 2005 م.

55- **القاسمي**، محمد جمال الدين

/ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل . وقف على طبعه وتصحيحه، ورقّمه وخرّج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر. بيروت. الطبعة الثانية 1398هـ - 1978م .

56- **القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

/ الجامع لأحكام القرآن. ضبط ومراجعة على الأصول: صدقي جميل العطار. خرج حديثه الشيخ عرفان العشا. دار الفكر، بيروت. الطبعة الأولى، 1424هـ- 2003م.

57- **ابن قيم الجوزية**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر

/ بدائع الفوائد. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: معروف مصطفى زريق، محمد وهبي سليمان، علي عبد الحميد بلطه جي. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الأولى. 1422هـ - 2001م.

58- **ابن كثير**، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل

/ تفسير القرآن العظيم. طبعة مقابلة مدققة على جميع النسخ الخطية في دار الكتب المصرية وعلى جميع النسخ المطبوعة. أشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. د- ت.

59- محمد أبو القاسم حاج حمد

/ منهجية القرآن المعرفية؛ أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الأولى، 1424هـ - 2003م.

60- محمد بدري عبد الجليل

/ دراسات في النصوص القرآنية. مكتب كردية إخوان. بيروت. 1984م.

58- محمد السيد حسن مصطفى

/ الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية. الطبعة الأولى، 1981م.

59- محمد طول

/ البنية السردية في القصص القرآني. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. د- ت.

62- محمد عابد الجابري

/ مدخل إلى القرآن الكريم؛ الجزء الأول: في التعريف بالقرآن. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. الطبعة الثانية، 2007م .

64- محمد عبد المطلب

/ جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت- الشركة المصرية العامة للنشر، لونجمان. الطبعة الأولى، 1995م.

65- محمد عزام

/ الأسلوبية منهجا نقديا. وزارة الثقافة. دمشق. الطبعة الأولى،1989م

66- محمد علي أبو حمدة

/ فن الكتابة والتعبير. مكتبة الأقصى. عمّان. الأردن. الطبعة الأولى. د- ت

67- محمد علي الخولي

أ- / قواعد تحويلية للغة العربية. دار المريخ. الرياض. الطبعة الأولى، 1981م.

ب-/ معجم علم اللغة النظري . مكتبة لبنان . بيروت، 1982م.

68- محمد الغزالي

أ- / عقيدة المسلم. دار القلم. دمشق. الطبعة العاشرة. 1420هـ- 1999م.

ب-/ المحاور الخمسة للقرآن الكريم. دار الهدى. عين امليلة. الجزائر. د- ت.

ج-/ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم. دار بغدادي للطباعة والنشر. الجزائر. 2000م.

69- محمد فؤاد عبد الباقي

/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار الفكر. بيروت. الطبعة الأولى.1401هـ - 1981م.

70- محمود أحمد نحلة

أ-/ لغة القرآن الكريم في جزء "عمّ". دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.1981م.

ب-/ مدخل إلى دراسة الجملة العربية. دار النهضة العربية. بيروت.1408هـ- 1988م.

71- مصطفى حميدة

/ نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية. مكتبة لبنان ناشرون- الشركة المصرية العامة، لونجمان.الطبعة الأولى، 1997م.

72- المنصف عاشور

/ التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة؛ دراسة وصفية إحصائية. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1982م.

73- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم

/ لسان العرب.إعداد وتصنيف: يوسف خياط. دار لسان العرب. بيروت. د- ت

74- ميجان الرويلي – سعد البازعي

/ دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء – بيروت. 2002م.

75- ميشال زكريا

/ الألسنية؛ علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الثانية. 1403هـ - 1983م.

76- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين

أ- / شرح قطر الندى وبل الصدى. ومعه كتاب: سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى لمحي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا- بيروت. لبنان. 1409هـ- 1988م.

ب-/ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: ج الفاخوري. دار الجليل. بيروت. الطبعة الأولى،1411هـ- 1991م.

ثالثا: الدوريات.

77- عبد الرؤوف اللبدي

/ " رسائل لم يحملها البريد". مجلة الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. العدد53. السنة14 (المحرم، صفر، ربيع الأول 1402هـ).

78- عبد الله ربيع محمود

/ "أصوات العربية والقرآن الكريم؛ منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب". مجلة كلية اللغة العربية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض. العدد العاشر. 1400هـ- 1980م.

79- محمود توفيق محمد سعيد

/"وحدة السورة القرآنية بين القبول والرفض". مجلة الفيصل. السعودية. العدد111. السنة العاشرة. رمضان 1406هـ- ماي/ جوان1986م.

رابعا: الرسائل الجامعية.

80- أحمد غرس الله

/ "الجملة الفعلية البسيطة في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري". رسالة ماجستير مخطوطة. جامعة قسنطينة .1992-1993م.

81- منصور خلخال
/ " بناء الجملة الطلبية في شعر المتنبي؛ دراسة توليدية تحويلية". رسالة ماجستير مخطوطة. جامعة عين شمس. القاهرة. 1408هـ- 1988م.
82- النواري سعودي
/ " بناء الجملة الخبرية البسيطة ودلالتها في جزء- عمّ-؛ دراسة وصفية تحليلية". رسالة ماجستير مخطوطة. جامعة قسنطينة. 1995- 1996م.

خامسا: المراجع الأجنبية.

83- Jean Dubois et autres .Dictionnaire de Linguistique. Larousse. Paris. Janvier 2001.

ـفهرس المحتوياتـ

- **المقدمة** ..... أ- ز
- ثبت الرموز المتوخّاة في الوصف ..... ح- ي
- **المدخل** 3- 23
I. النظري: المنطلقات المنهجية الإجرائية 3- 12
أ-النص 3
ب- أدوات تحليله 3- 12
1- التحليل الأسلوبي 5
2- إجراء التشاكل 5
3- علم النص 6
4- الجملة وأصنافها 9
II. التطبيقي: بناء النص 14- 23
1- مواضيع السورة 14
2- النسق العام للنص 16
3- الخصائص الظاهراتية العامة للأنساق 17
4- بناء النص 20
- **الفصل الأول: النسق الأول (المقدمة)** 25- 50
1- طسم 26
2- / تلك آيات الكتاب المبين/ 28
3- الجزء الثاني من النسق 32
- **الفصل الثاني: النسق الثاني (التعقيب)** 52- 96
I.المقطع الأول 52
مج ت01 52
وح إ1 56
وح إ2 58
وح إ3 60
مج ت02 62
وح إ1 63
وح إ2 65
II. المقطع الثاني 67

1- الكتلة التركيبية الأولى 68
2- الكتلة التركيبية الثانية 80
- **الفصل الثالث: النسق الثالث (القصص)** 98- 206
مج ت01 98
مج ت02 113
مج ت03 131
مج ت04 144
مج ت05 154
مج ت06 166
مج ت07 175
مج ت08 181
مج ت09 188
مج ت10 193
- **الفصل الرابع: التراكيب المكررة** 208- 234
مج ت01 208
وح إ1 210
وح إ2 216
وح إ3 221
مج ت02 226
- **الخاتمة** 236
- **ملحق التصويبات** 244
- **قائمة المصادر والمراجع** 246
- **فهرس المحتويات** 258